عدد ممتاز

اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

■ اليسار / العدد التاسع والتسعون / مايو ١٩٩٨ م / محرم ١٤١٩ هـ / الثمن : ٣ جنيهات ■

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

لماذا وقف اليسار ضد تحالف كوبنهاجن؟

"إسرائيتل" الشهير بكيريينكو .. يثير أزمة سياسية كبرى فى موسكو

اكاذيب حقيقيةفي السينما الأمريكية

الأقباط و الكونجرس الأمريكي.."الحماية" والعقاب

التغييرات الصحفية والإنتهاك الصارخ للقانون

خلدون غرايبة

تيجي نقسم القدس
أنا نص
وانته نص

فى هذا العــدد

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق
المستشارون
ابراهيم دراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. خليل حسن خليل
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عادل غنيم
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمد وفاء حجازى
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR1KARIM
EL DAWLASTTALAAT
HARB SQ
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٤ جنيها للأفراد و٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.
الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX : 5786298

لليسار در

أعياد وأحزان



حسين عبد ربه

كان الشهر الماضى شهرا غريبا جدا. وكان اعداد هذا العدد للصدور امرا بالغ الصعوبة. فما بين الاعياد والاجازات والاحزان انتزعت المجموعة الصغيرة المسئولة عن هذا العدد أوقات العمل لتنهى مادة هذا العدد فى موعدها. **عمل خالد البلشى ونسرين سعيد** فى الاجازات. وتأخرت **سحر** عن مواعيد الانصراف

ولم يكن حال رئيس التحرير بأفضل منهم، خاصة وقد فوجئ بالمرض أو السفر يؤدى لاعتذار كل من **نجلاء العمرى** (باريس) **ونبيل يعقوب** (برلين) **وحنا عميرة**(القدس) **ومحمد جمال إمام وماجدة موريس** (القاهرة)

كانت الأعياد -عيد الأضحى المبارك، وعيد القيامة المجيد- وتحرير سيناء- ورأس السنة الهجرية -مدعاة للفرح والسعادة.. ولكن..

فقد رحل عنا فى هذا الشهر الفنان الكبير **عبد الغنى أبو العينين**. وظل رئيس التحرير عاجزا عن الكتابة عنه إلى أن حلت الساعة «الخامسة والعشرون» كما يقولون فأمسك بالقلم ليكتب عنه. وفى اليوم الأخير -وبعد إنتهاء إعداد العدد تماما- فوجئنا برحيل المناضل السياسى والفنان المسرحى والكاتب **حسين عبد ربه** بعد صراع طويل مع المرض. ولم يكن هناك وقت للكتابة عن هذا الانسان الجميل، الذى نهدى إليه هذا العدد الذى يعالج عديداً من الهموم التى كانت محور حياته دائما

وكان مخططنا لهذا العدد أن يكون محوره «**خمسون عاما على اغتصاب فلسطين**» ولم نستطع لكل الأسباب السابقة أن نكمل مواد هذا المحور الذى ننشر فيه ثلاثة موضوعات.. استطلاعا للرأى بين شباب الجامعات (أساسا) حول قضية فلسطين يكشف عن مدى سوء المناخ السياسى والفكرى الذى يعيش فى ظله هذا الجيل.. ودراسة هامة عن عرب ١٩٤٨ الصامدين داخل اسرائيل .. وعرض لكتاب هام عن دور المساعدات الخارجية لاسرائيل. ونأمل أن نكمل مواد الملف فى العدد القادم.

فى الساحة المصرية يحلل **رئيس التحرير** التغييرات الصحفية الأخيرة، ويكتب «**عريان نصيف**» عن تنمية القرية المصرية، و«**علي مجاهد**» عن قضية مستأجرى الأراضى الزراعية و«**سمير مرقص**» عن قضية الاقباط والتدخل الأمريكى ، و«**د. أحمد محمد صالح**» عن مسئولية الاعلام عن انتشار لارهاب

ويحتل الفكر مساحة هامة. ففى باب مداخلات يناقش«**أحمد عبد القوى زيدان**» و«**صلاح عدلى**» قضية اشتراكية المستقبل، ويطرح «**فؤاد النمرى**» رؤية خاصة حول الماركسية والاوضاع الحالية فى العالم. وفى باب فكر تنشر ترجمة لمقال كتبه **جورج سوروس** يستحق التأمل ، ودراسة **ليسرى مصطفى** حول الأسباب الثقافية للعنف.

وفى الساحة الدولية يواصل«**سمير كرم**» القاء الضوء على اليسار الأمريكى الصاعد. ويكشف **أحمد الخميسى** أبعاد الصراع الدائر فى موسكو يلتسين. ويزيح«**د. محمد مراد الحاج**» الستار عن الاتجاهات العنصرية فى دولة التشيك.

وبالطبع لن نستعرض كل مادة العدد ، سواء رسائل العواصم العربية أو السينما أو الفن التشكيلى ومشاغبات ورحيق السنين. ولكن هناك حاجة للفت الأنظار إلى عودة باب«**يمين × شمال**» الذى نأمل أن يستمر.

وإلى اللقاء فى عدد قادم.

موقفنا

التسوية السياسية
بين التنازلات .. ومقاومة الاحتلال



ابطال انتفاضة الحجارة وقناع واق من الغازات

بدأت إسرائيل احتفالاتها بمرور **خمسين عاما على تأسيس الدولة الصهيونية فى فلسطين** ، بإعلان و أنه« **يسعى للسلام الآمن** » بدلا من« **السلام العادل** »، وأن ينبغى اخضاع الفلسطينين للسيطرة الإسرائيلية .فى أى تسوية نهائية، وأنه يرفض قيام الدولة الفلسطينية أو تقسيم القدس أو العودة لحدود ٤ يونيه ١٩٦٧. وأعلن أيضا عن بناء **كنيس (معبد) يهودى للمستوطنين** فى قرية فلسطينية فى الضفة الغربية.

وفى **القاهرة** شارك أعضاء تحالف كوبنهاجن من المصرين فى الاحتفال باعلانهم فى نفس اليوم عن قيام« **جمعية القاهرة للسلام** » التى تستهدف اختراق صفوف المثقفين والنقابات والهيئات الرافضة للتطبيع.

ووصل إلى المنطقة يوم السبت الماضى« **دنيس روس** » مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط والمنسق الأمريكى لعملية(السلام) التسوية السياسية فى المنطقة ، **ومارتن أنديك** مساعد وزير الخارجية الأمريكية فى محاولة جديدة لتقريب وجهات النظر بين الاسرائيليين والفلسطينيين.

وزار القاهرة **بنيامين نتنياهو** -بناء على طلبه- يوم الثلاثاء الماضى (٢٨ أبريل) للقاء الرئيس **حسنى مبارك** وتبادل الرأى معه.

قبلها بأيام عقد الرئيس **حسنى مبارك** مباحثات مفاجئة مع الرئيس حافظ الأسد فى اللاذقية، تناولت الوضع الراهن فى المنطقة وتطورات عملية التسوية السياسية.

وأدلى ياسر عرفات بتصريح أعلن فيه أن السلطة الفلسطينية ستعلن قيام الدولة الفلسطينية فى مايو ١٩٩٩ إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق نهائى بين إسرائيل والفلسطينيين بحلول هذا التاريخ الذى حددته اتفاقية أوسلو. رد **نتنياهو** محذرا من اتخاذ مثل هذا الاجراء مهدداً بإعادة احتلال الأجزاء التى انسحب منها الجيش الإسرائيلى فى الضفة الغربية .ورد **«الطيب عبد الرحيم»** الأمين العام للرئاسة الفلسطينية قائلا:« **إذا دخل الجنود الاسرائيليون مناطقنا فلن يخرجوا منها سالمين** ».

وفى **بيون** التقى **عرفات والملك حسين** حيث ناقشا الموقف فى المنطقة وتتم هذه اللقاءات والاتصالات والتصريحات تمهيدا للقاء الذى سيعقد فى لندن بين **مادلين أولبرايت وكل من رئيس الوزراء الاسرائيلى بنيامين نتنياهو والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات**،كل على حدة. حيث ستعرض على الطرفين مسودة مبادرة جرى صياغتها وتطويرها خلال الأشهر الماضية دون إعلانها رسميا.

والسؤال هل يحمل لقاء لندن فى ٤ مايو الحالى أى احتمال لعودة عملية التسوية بين إسرائيل والفلسطينيين- على أسس مدريد واتفاقيات أوسلو والقاهرة وطابا والخليل- إلى الحياة مرة أخرى؟.

قد يكون من المفيد للإجابة على هذا السؤال أن نلقى نظرة على المبادرة الأمريكية فى خطوطها العريضة- كما تسربت إلى أجهزة الاعلام- وموقف الاطراف المختلفة منها.

تقوم هذه المبادرة على أساس وضع خطة لتطبيق الاتفاقات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية وتضييق الهوة بين الطرفين فى شأن الاتفاق المرحلى. وتحدد الخطة ثلاث مراحل للتطبيق على مدى ١٢ أسبوعا.

المرحلة الأولى ومدتها **٥ أسابيع** تتضمن تحويل إسرائيل أراض مساحتها ٩ر١٪ من المنطقة (الضفة الغربية) من المنطقة (ج) الخاضعة للسلطة الاسرائيلية كاملة ،إلى المنطقة(ب) الخاضعة للسيطرة العسكرية الاسرائيلية والسيطرة المدنية الفلسطينية . وتحول إسرائيل مساحة حوالى ٢٠ كيلو مترا مربعا من المنطقة(ج) أيضا إلى المنطقة(أ)

حسين عبد الرازق

الخاضعة للسيطرة الفلسطينية مدنيا وعسكريا (المدن السبعة الفلسطينية) . وتحول اسرائيل أيضا ٧٪ من المنطقة(ب) إلى المنطقة(أ).

وخلال هذه المرحلة «تصدر السلطة الفلسطينية أمرا رئاسيا يمنع أى شكل من أشكال التحريض فى مناطقها ، وتشكل لجنة مشتركة اسرائيلية فلسطينية للبحث فى حالات التحريض ودرس أسباب الغاء ملفات مشتبه فيهم بارتكاب أعمال عنف ، وتصادق اللجنة التنفيذية العليا لمنظمة التحرير على تعديل الميثاق الوطنى.

المرحلة الثانية وتمتد من الاسبوع السادس إلى الاسبوع الثانى عشر وتتضمن تحويل اسرائيل إلى السلطة الفلسطينية مساحة أخرى من الأراضى بحجم ٥٪ من المنطقة (ج) إلى المنطقة(ب) أى إلى السيطرة المدنية الفلسطينية مع استمرار السيطرة الأمنية العسكرية الاسرائيلية . وتنقل السلطة الفلسطينية إلى إسرائيل قائمة بأسماء عناصر الشرطة الفلسطينية الـ٧ آلاف المكلفين من السلطة حسب اتفاق أوسلو. أى انهاء خدمة ٢٣ ألف عنصرا أمنى فلسطينى من ٣٠ ألف يشكلون الآن قوام قوات الأمن . وتشكل لجنة أمنية اسرائيلية فلسطينية أمريكية لاجراء مناقشة اتهامات اسرائيل للسلطة بتهريب أسلحة إلى مناطق السلطة الفلسطينية من وراء ظهر إسرائيل، وتجتمع لجنة التوجيه الفلسطينية الاسرائيلية لبحث المطالب الاسرائيلية بتسليم مشبوهين فلسطينيين بارتكاب أعمال ارهابية.

المرحلة الثالثة فى الأسبوع الثانى عشر وتنهى اسرائيل خلالها الانسحابات والنقل من منطقة إلى أخرى بنسبة ١ر١١٪ من أراضى الضفة الغربية ،وتستأنف المفاوضات على التسوية النهائية. والمعروف أن السلطة الفلسطينية لا تسيطر حاليا إلا على ٣٪ فقط من أراضى الضفة الغربية، وتتولى الشئون المدنية فى ٢٤ ٪ من الضفة الغربية مع وجود عسكرى اسرائيلى أمنى فيها ، بينما لا تزال ٦٣٪ من أراضى الضفة تخضع بأكملها للاحتلال الاسرائيلى.

وكانت اسرائيل قد طرحت الافكار الاساسية لهذه المبادرة فى يناير الماضى وعرضها **دينيس روس** عليهم واستمع إلى آرائهم وتم تنقيحها ثم أعاد عرضها فى جولته خلال شهر مارس الماضى تمهيدا لوضع الصيغة النهائية لهذه الاقتراحات الأمريكية.

وجاء الرد الاسرائيلى على المبادرة الأمريكية واضحا وحاسما. فبصرف النظر عن أن إسرائيل نسفت منذ فترة طويلة تجاوزت



حيدر عبد الشافى



ياسر عرفات

العامين صيغة مدريد ودمرت نهائيا اتفاق أوسلو ، فقد أعلنت اسرائيل قبل وصول **دنيس روس** فى جولته قبل الأخيرة (مارس ١٩٩٨) أن الحكومة الاسرائيلية اتخذت قرارا برفض (المبادرة) الأمريكية كتدبير وقائى وعرض نتنياهو على روس بدلا من الاقتراح الأمريكى بالانسحاب من ١ر١٣٪ من الأراضى الفلسطينية ، أن يتم الالتزام بالنسبة الاسرائيلية المحددة(٩٪) على أن تسلم اسرائيل للفلسطينين «أراضى ذات نوعية أفضل تسهل تواصلا اقليميا بين **رام الله وبيت لحم** ، وبين **نابلس وطولكرم**».

وطالب **نتنياهو روس** اقناع **كلينتون** بعدم نشر المبادرة الأمريكية إلى أن يتم تعديلها بما يتفق مع المطالب الاسرائيلية.

وأكد نتنياهو لأعضاء حكومته أنه لن يتخذ قرارا بشأن الانسحاب من الضفة الغربية أثناء اجتماعه مع **مادلين أولبرايت** فى لندن(٤ مايو الحالى).

واستند الموقف الاسرائيلى القوى والرافض للمبادرة إلى تعهد أمريكى عند توقيع بروتوكول الخليل فى ١٥ يناير ١٩٩٧ بأن يكون لإسرائيل وحدها تحديد المساحات والمناطق التى ستسحب منها بصورة منفردة وبلا أى تشاور. وقد أعلن **مارتن انديك** وقتها« ان الولايات المتحدة تعتبر عملية إعادة الانتشار العسكرى من المناطق الريفية فى الضفة الغربية ومساحة الأراضى التى ستنقل إلى الفلسطينيين مسئولية إسرائيلية وليست مسائل تفاوض مع الفلسطينين»

وتحرك أنصار إسرائيل فى الولايات المتحدة ، فقدم ٨١ عضوا بمجلس الشيوخ و١٥٠ نائبا فى الكونجرس (جمهوريين وديمقراطيين) رسالة إلى الرئيس كلينتون حذروا فيها من الضغط على إسرائيل لحملها على قبول خطة سلام لا تحمى مصالحها.

على الضفة الأخرى لم يكن الموقف الفلسطينى بنفس القدر من الوضوح ، فقد عبروا عن ميل لقبول اقتراح واشنطون الانسحاب من ١ر١٣٪ بعد أن كان مطلبهم الانسحاب من١٥٪ من المنطقة(ج) و ٢٠٪ من المنطقة(ب) ،على أن يكون هناك ترابط جغرافى بين هذه المناطق ، وذلك اذا ضمنت الولايات المتحدة وجود مرحلة انتشار ثالثة ، وهى ما غاب عن المبادرة الأمريكية . وطرح الجانب الفلسطينى على رووس فى جولة مارس عدداً من القضايا «التواصل- وقف الاستيطان- الممر الآمن بين قطاع غزة والضفة».

وقد انتهت جولة **روس** إلى الفشل أمام الرفض الاسرائيلى.

ومع ذلك حرصت واشنطون على القول أن مهمة روس فى المنطقة حققت بعض التقدم، وأنها لن تجبر إسرائيل على قبول مبادرتها . وأكد مارتن انديك ان الادارة الأمريكية «لن تفرض حلا ولن تمارس أى ضغط على أسرائيل لاجبارها على القبول بما لا تراه مناسبا خصوصا بشأن المفاوضات مع الفلسطينين» وأكد متحدث رسمى باسم الخارجية الأمريكية تعليقا على رسالة أعضاء الكونجرس » أن ادارة كلينتون هى أكثر الادارات الأمريكية التى ساندت وتساند اسرائيل» . وأعلنت أولبرايت أن المبادرة لن تعلن الآن.

ولا يغير من حقيقة الموقف الأمريكى تحذيرات مادلين أولبرايت -أمام مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية فى واشنطون- من خطر انهيار عملية السلام(التسوية) اذا ما فشل دينس روس فى اقناع اسرائيل والفلسطينين بالافكار الأمريكية ، وأن



نتنياهو

انسحاب أمريكا من المسيرة السلمية بأكملها سيكون هو البديل لعدم قبول المبادرة: أو تصريح «جيمس روبن» الناطق الرسمي باسم الخارجية الأمريكية بأن العملية السلمية تعيش« وضعا يدعو إلى القلق الشديد» وأن روس يحاول اقناع الاسرائيليين والفلسطينيين» باتخاذ قرارات صعبة ، وإلا سنواجه أخطارا حقيقة ونصبح عاجزين عن إحياء عملية السلام فى حال الاستمرار فى اضاعة الوقت .. لم يعد هناك متسع كبير من الوقت أمام الحريصين على السلام فى الشرق الأوسط».

فالثابت أن الضغوط الأمريكية تتوجه أساساً للفلسطينين، الذين قدموا ويقدمون التنازل تلو الآخر ، لأمريكا وليس لاسرائيل كما يقولون.

ويرى بعض المراقبين أن تورط السلطة الفلسطينية فى تبرئة اسرائيل من جريمة اغتيال محى الدين الشريف واعتقال قادة من حماس والصاق الجريمة بهم، وقبل ذلك الاعلان عن اكتشاف ٧ مصانع كبيرة لصنع المتفجرات فى غزة تعود إلى«حركة المقاومة الاسلامية حماس واعتقال ١٠ من أعضاء حماس ، والحكم على اثنين من أعضائها بخمسة عشر عاما مع الاشغال الشاقة لكل منهما لقيامها بإعداد شحنات متفجرة استخدمت فى هجمات انتحارية فى القدس خلال يوليو وسبتمبر الماضى أدت إلى قتل ٢١ اسرائيليا .. تصب جميعا فى محاولة لتأكيد استجابتها للمطالب الأمريكية الاسرائيلية بضرورة تدمير البنية التحتية للقوى المناوئة لاسرائيل وتوفير الأمن كما تحدده إسرائيل.

ومع كل هذه التنازلات فلا يوجد أى بصيص من أمل أن يتم احياء اتفاقات أوسلوالتسوية السياسية إلا بمزيد من التنازلات لا تستطيع القيادة الفلسطينية- مهما كانت مرونتها- أن تقبلها ،مما يؤكد استمرار الجمود فى عملية التسوية .. وبالتالى طرح السؤال الضرورى عن البديل.

لقد أعلن **عمرو موسى** وزير خارجية مصر فى ٢٩ مارس الماضى خلال جولة **دينس روس** ..«أن تقديم الفلسطينيين علي طبق لحكومة الليكود ليست وظيفتنا . فمصر لا تستطيع هذا ولا تقبله ولن تقوم به-. وما تستطيع مصر أن تقوم به هو أن تقنع حين تقتنع. ولن تقتنع إلا بسلام متوازن. وإذا كان الرفض هو الموقف النهائى لإسرائيل ، فإنها بذلك تضفى طابعا سلبيا بشكل مدمر على العملية السلمية . بعدها يصبح من الضرورى التفكير ببدائل أخرى».

فهل هناك بالفعل بدائل أخرى.

الاجابة نعم .. ونعم.

علينا أن ندرك أن التحرك الأمريكى عقب حرب الخليج واعلان **جورج بوش** لمبادرته فى مارس ١٩٩١ والتى قادت إلى **مدريد وأوسلو**- ومهما كانت الاعتراضات والانتقادات الصحيحة لها -كان من ضمن أسبابه «ما شكلته الانتفاضة الفلسطينية من ضغط على إسرائيل وإحراج لها ولأصدقائها فى المحافل الدولية. وهو ما دفع اسرائيل للبحث عن مخرج وأدى إلى طرح مبادرة **شامير** من أجل إنهاء الانتفاضة عبر اقامة حكم ذاتى فى الضفة والقطاع.

ولا يمكن تغيير الموقف الاسرائيلى- وبالتالى الأمريكى -ما لم يحدث تغيير فعال على أرض الواقع يجبرها على البحث عن مخرج.

لقد طرح وفد القوى الديمقراطية الفلسطينية الذى زار مصر أخيرا برئاسة د.**حيدر عبد الشافى** ثلاث مهام نضالية فلسطينية لتغيير الواقع الحالى على الأرض ، حددها د. **مصطفى البرغوثى فيما يلى:**

١- تفعيل جبهة مقاومة الاحتلال وضد نظام الفصل العنصرى.

٢- بلورة بديل ثالث- غير السلطة وحماس وليس ضدهما- بديل تقدمى يسارى ديمقراطى يطرح رؤيته لادارة النضال الوطنى وادارة البلاد.

٣- تفعيل جبهة تضامن عربى تطرح فى مقدمة أعمالها مقاومة التطبيع الرسمى والشعبى.

ويقودنا هذا الطرح الصحيح إلى الدور المصرى والعربى.

لقد حان الوقت لرسم استراتيجية مصرية وعربية جديدة ،من خلال قمة لدول الجوار، وقمة عربية شاملة تعمل على وقف التطبيع الرسمى والشعبى وفى القلب منه التطبيع الذى تمارسه الحكومات التى وقعت اتفاقيات صلح مع إسرائيل .. واتخاذ اجراءات ضاغطة علي إسرائيل وأمريكا تستند إلى أوراق القوة العربية- القليلة- التى لم تستخدم حتى الآن.

ان استمرار الرهان على أمريكا وأحيانا علي دور أوروبى مع استبعاد عناصر القوة والضغط الفلسطينية والعربية ، لن تؤدى إلا إلى الجمود الذى يؤدى إلى الموت ، أو تصاعد التنازلات والتى تؤدى إلى هزيمة أخطر أشد من كل هزائمنا السابقة.

التغييرات الصحفية والانتهاك الصارخ للقانون

فى تحرك مباغت أشبه بمفاجآت العمليات الحربية ، صدرت قرارات بتعيينات جديدة لرؤساء مجالس ادارات ورؤساء تحرير فى بعض المؤسسات الصحفية المملوكة للدولة(المؤسسات القومية).

فقد أعلن فى الصحف عن عقد جلسة مفاجئة لمجلس الشورى يوم الخميس ٢٣ أبريل لمناقشة **مشروع قانون بتعديل بعض أحكام قانون هيئة قضايا الحكومة الصادر بالقانون رقم ٧٥ لسنة ١٩٦٣** . ولم يفهم الأعضاء أو الرأى العام مغزى هذا الاستعجال فى مناقشة مشروع قانون عادى جدا . ولكن عندما عقدت اللجنة العامة لمجلس الشورى اجتماعها صباح الخميس وقبل اجتماع المجلس اتضح السبب الحقيقى لهذه الدعوة. **فإذ بمشروع القانون ليس إلا مجرد غطاء لدعوة الأعضاء ومفاجأتهم والأوساط الصحفية بقرارات تأخرت أكثر من عامين بتعيينات لبعض رؤساء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية وبعض رؤساء تحرير الصحف والمجلات القومية.**

عرض رئيس المجلس الترشيحات التى وصلته فى ظرف مغلق -**ولم يكن يعلم عنها شيئا**- على أعضاء اللجنة العامة ، لكى يتبنوها دون مناقشة حقيقية، ويتقدموا بها إلى المجلس فى الجلسة العامة باعتبار ترشيحاتهم(!) ، وليوافق عليها المجلس -الذى يمارس حقوق الملكية على هذه المؤسسات نيابة عن الدولة -دون مناقشة.

والقراءة التحليلية السريعة لهذه القرارات تشير إلى عدد من الخطوط الرئيسية.

* تم إبعاد **مصطفى نجيب** رئيس مجلس ادارة ورئيس تحرير وكالة انباء الشرق الأوسط عن منصبه والذى كان يتولاه خلال السنوات الثلاث الماضية بالمخالفة للقانون ولاحكام قضائية حصل عليها عدد من الصحفيين العاملين بالوكالة. وعين بدلا منه **محفوظ** ←

الانصارى، رئيس تحرير الجمهورية ،والذى سبق له العمل فى الوكالة عدة سنوات مراسلا من الجزائر وباريس.

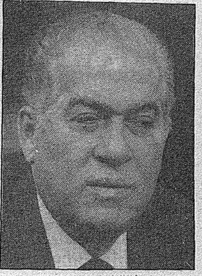
*حلت ترقية **محفوظ الانصارى** إلى رئيس مجلس ادارة وكالة أنباء الشرق الأوسط وإبعاده من الجمهورية مشكلة مزمنة فى دار التحرير، نتيجة للخلافات الدائمة- والحادة أحيانا- بين **سمير رجب** رئيس مجلس الادارة، **ومحفوظ الأنصارى** رئيس تحرير الجمهورية، وكان **سمير رجب** غير راض عن عدم توليه شخصيا رئاسة تحرير الصحيفة الرئيسية التي تصدر عن الدار(الجمهورية) خلافا لما يحدث فى كافة المؤسسات الصحفية الأخرى.

وبهذا القرار تم تصحيح الوضع بالنسبة لسمير رجب وتولى رئاسة تحرير الجمهورية إلى جانب رئاسة مجلس ادارة دار التحرير. وعين رجاله في الاصدارات الأخرى(المساء وحريتى).

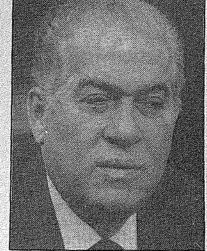
*استكملت القرارات تأديب القائمين على أمور مجلة روزاليوسف . فبعد نقل **عادل حموده** الذى كان الرئيس الفعلى لتحرير مجلة روزاليوسف ، ابعد **محمود التهامى** بصفته المسئول القانونى (رئيس تحرير روزاليوسف ورئيس مجلس الادارة). **ومن الواضح أنه كان مطلوبا عقاب كل المسئولين عن روزاليوسف للحملات التى شنوها ضد الفساد وبعض المسئولين تحديدا.** ويبدو أن **د.كمال الجنزورى** رئيس الوزراء الذى كان غاضبا بشدة من روزاليوسف لانتقاداتها له (فى ظل تولى **عادل حموده** المسئولية أساسا)حسم الموقف فى اتجاه هذا التغيير، مؤيدا من **صفوت الشريف** وزير الاعلام الذى لم يغفر لروزاليوسف حملتها الناجحة ضد أحد أبرز أعوانه « **ممدوح الليثى**» ،وهى الحملة التى أطاحت بالليثى، وأصابت **صفوت الشريف** برذاذها ، بحيث أصبح مرشحا من جهات عديدة للخروج فى أول تعديل وزارى.

وجاء تعيين محمد عبد المنعم رئيسا لمجلس ادارة وتحرير روزاليوسف بمثابة حكم باعدام المجلة وقتل مع سبق الاصرار للتوجه الذى أدى إلى نجاحها في السنوات الأخيرة .

والمعروف أن **محمد عبد المنعم** لصيق الصلة بأجهزة الأمن السياسى ولا يعرف عنه أى قدر من السماحة وقبول التعدد فى الآراء ، بالاضافة لموقفه المؤيد بشدة للتطبيع



كمال الجنزورى



ابراهيم نافع

والعلاقات الخاصة مع إسرائيل.

* رغم أن **جلال عيسى** تم ترقيته إلى رئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية هي دار الشعب ورئيسا لتحرير رأى الشعب ،بعد أن كان رئيس تحرير مجلة أسبوعية(**آخر ساعة**) التى تصدر عن دار أخبار اليوم . إلا أن القريبين من الحياة الصحية والسياسية ، يرون فى هذه الترقية والنقل «شلوتا إلى أعلى» . البعض يفسره بأنه عقاب له علي موقفه من القانون **٩٣ لسنة ١٩٩٥** ، قانون إغتيال حرية الصحافة ، وآخرون يفسرونه بأنه قرار لحساب **ابراهيم سعده** رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ،والمعروف بعدم ميله إلى **جلال عيسى** وضيقه به والسعى للتخلص منه.

ويدعم هذا الرأى الأخير أن **أغلب التعيينات التى تمت فى مؤسسة أخبار اليوم لا تفسير لها إلا أنها اختيارات ابراهيم سعده الشخصية علي أساس رضاه عن هؤلاء دون غيرهم** ،بصرف النظر عن الكفاءة والقدرة . وان كان ذلك لا ينفى كفاءة بعض من تم اختيارهم لرئاسة تحرير المجلات التى تصدر عن المؤسسة.

***ولكن أخطر ما فى هذه القرارات وأكثرها دلالة ،هي التغييرات التى لم تحدث** ،فالمعروف أن **ابراهيم نافع** رئيس مجلس ادارة ورئيس تحرير الاهرام أحيل للمعاش طبقا للقانون منذ يناير ١٩٩٤ حيث بلغ سن الستين قبل صدور قانون جواز مد السن وتولى المسئوليات القيادية حتي سن الخامسة والستين . وأصدرت الجمعية العمومية للفتوى والتشريع فتوى قاطعة بعدم جواز استمراره فى منصبه بعد بلوغه سن الستين . وحصل عدد من الصحفيين العاملين فى الاهرام على حكم بعدم شرعية استمراره فى منصبه. وقد تعطل صدور قرارات الصحافة- رغم ان مدد عدد من روساء مجالس الادارات ورؤساء التحرير انتهت طبقا للقانون منذ سنوات ، وبلغ عدد آخر سن المعاش فى دار الهلال والوكالة منذ سنوات أيضا -لوجود قرار غير معلن بأن يستمر **ابراهيم نافع** فى منصبه حتى يبلغ سن الخامسة والستين ، بصرف النظر عن القانون وأحكام القضاء.

المثير والغريب أن تصدر هذه القرارات الأخيرة دون أن تقترب من ابراهيم نافع وأن يستمر فى منصبه رغم أنف الجميع.

الدلالة الوحيدة لهذا الموقف- والذى شمل أيضا روساء تحرير عدد من المجلات فى دار الهلال- أن هناك من يريد أن يقول للرأى العام الصحفى والسياسى،« **أنا القانون والقانون أنا** » .. ومن حقى أن أفعل ما أشاء دون معقب، وما عليكم إلا الطاعة.. وليذهب القانون والقضاء إلى الجحيم.

وهى مقولة بالغة الخطورة.

القضية **ليست ابراهيم نافع** .فربما يكون أفضل كثيرا من الاسماء المرشحة للحلول مكانه عندما يترك منصبه . ولكن **القضية هي فى دلالة هذا الانتهاك الصارخ للقانون والتحدى لكل السلطات من أجل ما قيل أنه وعد لابراهيم نافع أن يستمر فى منصبه حتى يبلغ سن الخامسة والستين في يناير القادم.**

وكم فى هذا الوطن المظلوم بحكامه من مآس ومبكيات.

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

عرب ١٩٤٨ .. شوكة فى حلق النكبة



مظاهرة نسائية لعرب ٤٨ تطالب بالد ولة الفلسطينية «دولتان الشعبين»

* النكبة مزقت الشعب الفلسطينى ، إربا إربا. لكن العرب لم يتعرفوا الا على المشردين منه خارج الوطن. وهناك مجموعة منه بقيت فى الوطن فى ظروف مأساوية مرعبة ، عاشوا التشرد مرتين والمعاناة أضعاف أضعاف . والعرب تنكروا لهذه المجموعة . ولم يكتشفوها الا بعد نكسة ١٩٦٧ ،عندما ارتفع صوتها يقول لحكومة اسرائيل المنتصرة : «إن هذا النصر شر من هزيمة» هؤلاء هم«عرب ٤٨» ،فما هى قصتهم؟ ما هى أحوالهم ؟ هل هم ابطال مقاومة، أم انهم هم أيضا ، مثل بقية العرب، دبت فيهم أمراض الصراعات الحزبية والسياسية والدينية الأصولية؟!.

نكبة العرب فى فلسطين ، العام ١٩٤٨ ، تركت مجموعة من *الفلسطينيين داخل الوطن* .. **وكان بقاؤهم صمودا ، لكنه خيانة** . فقام العرب بنبذهم . وأصبحت مأساتهم مضاعفة .

أولئك هم المواطنون العرب الفلسطينيون فى إسرائيل المعروفون فى العالم العربى باسم **«عرب ٤٨»**.

انهم جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى والأمة العربية، وفى سنة ١٩٤٨ ، عندما قامت اسرائيل، وسعى قادتها إلى تفريغ فلسطين من أهلها العرب ، بقوا فى الوطن ولم يبرحوه . قسم ضئيل منهم استسلموا أمام اسرائيل ووعدوا بالاخلاص لها ، فبقوا فيها شرعيا. قسم آخر منهم كانوا على علاقة حسنة بجيرانهم اليهود الانسانيين أو اليساريين فبقوا فى الوطن بفضل أولئك الجيران . وقسم منهم رحلوا مع من رحلوا ، ثم **عادوا إلى الوطن تسللاً ، بعدما رأوا أن النكبة كبيرة ، والغيبة ستكون طويلة، وخلال عودتهم سقط عدد منهم شهداء .لكن الكثيرين نجوا ووصلوا إلى الوطن.** والغالبية الساحقة منهم بقيت فى الوطن صمودا.

ففى تلك الفترة نشطت **عصبة التحرر الوطنى** (منظمة الشيوعيين الفلسطينيين الذين انفصلوا عن الحزب الشيوعى الفلسطينى اليهودى العربى. فصار للشيوعيين اليهود حزبهم . وللشيوعيين العرب منظمتهم). وقد وافقت العصبة على قرار الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين(صدر فى ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثانى سنة ١٩٤٧) معتبرين رفضه يخدم اعداء الشعب الفلسطينى فقط، واصدروا منشورا شهيرا **يدعو المواطنين ويرجوهم بألا يرحلوا عن الوطن وان يتشبثوا به مهما يكن الثمن**.وفى بعض الأماكن، مثل **حيفا والناصرة** ،رمى أولئك الناس بأجسادهم أمام شاحنات الترحيل

نظير مجلى

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

البلدوزرات الاسرائيلية تغير طبيعة الأرض فى باقى فلسطين

وافشلوا العديد من عمليات الترحيل.

وإذا كان معظم الشعب الفلسطينى المشرد قد رحل خوفا من المذابح ، وقد استعملت الصهيونية المذابح اسلوبا لترحيل الفلسطينيين ونفذت مذبحة فى كل قرية ومدينة، فان العديد من القرى التى جرت فيها مذابح صمدت ولم ترحل ، مثل :**عيلبون وعيلوط** وغيرهما. وهذا يؤكد عملية الصمود . ولم تكن تلك عملية سهلة. فبالاضافة إلى تحدى المذابح ، كان هناك تحد آخر يتعلق بالتهديدات العربية فعندما أعلن **دافيد بن جوريون** عن إقامة دولة اسرائيل /فى ١٥ مايو / ايار ١٩٤٨ ، خرجت الاذاعات العربية بتهديد للعرب الباقين داخل حدودها:«**عليكم بالرحيل خلال اسبوعين .بعد هذه المدة ستدخل الجيوش العربية الباسلة وتقضى على دولة اليهود بمن فيها. وقد اعذر من انذر .فاخرجوا منها وارحلوا إلى إحدى الدول العربية المجاورة لتأويكم مؤقتا ،حتى نهزم العدو**».

بعض الناس خافوا التهديد فعلا ، فرحلوا . لكن الكثيرين بقوا.

وفى سنة ١٩٤٩ ،جرت فى **جزيرة رودس اليونانية** مفاوضات اسرائيلية -عربية لرسم خط الهدنة . وخلال التفاوض مع الأردن (كان ذلك فى زمن الملك عبد الله) اتفق على أن **ينسحب الجيش الاردنى من منطقة المثلث الفلسطينية (من أم الفحم شمالا وحتى كفر قاسم جنوبا) ويسلمها لإسرائيل** .وهكذا ، أصبح عدد المواطنين الفلسطينيين فى إسرائيل (عرب ٤٨) حوالى ١٥٤ ألف نسمة.

التهويد والعسكرة

لقد شعرت الحكومة الاسرائيلية بأن «عرب ٤٨» سيكونون شوكة فى حلق مخططاتها ، فقررت أن تتعامل معهم ومن البداية بالقبضة الحديدية . ويتضح مما ينشر عن الأبحاث الحكومية فى تلك الفترة ، أنهم « **أرادونا مجرد حطابين وسقاة ماء» ، أى خدم لليهود.**

فحرصوا أولا على إجراء عملية تشريد داخلية إذتم **هدم ٤١٢ قرية عربية عن بكرة أبيها ،مع أن** قسماً من سكانها كانوا موجودين فيها. ومن المفارقات المأساوية فى هذا الشأن ، فانك كنت تجد قرية ما مثل قرية «**شعب**» فى الجليل ، تم حرمان أهلها من السكنى فيها. وبعد عدة أشهر غيرت الحكومة سياساتها ولم تهدمها، لكنها جلبت إليها لاجئين عربا من قرى أخرى . ومنعت أهلها من العودة وعاشوا كلاجئين فى قرى أخرى ،حتى يومنا هذا.

وقصة أهالى **اقرث وبرعم** معروفة. فقد تم ترحيلهما بالخداع ،إذ اخبرتهم السلطة ، بواسطة مطران الطائفة المسيحية والشيخ الاسلامى بأنها تحتاج القريتين لغرض التدريبات العسكرية لمدة أسبوعين فقط ، وبعدها يعودون . وها قد مضت ٤٩ سنة على هذا الوعد من دون أن يتم تحقيقه ، رغم صدورقرار من محكمة العدل العليا الاسرائيلية يقضى باعادتهم لا بل أن الحكومة أقامت على أراض كل قرية منهما مستوطنة يهودية جديدة.

وثانيا: حاولت السلطة ضرب الامكانيات الاقتصادية لعرب ٤٨ ،**فمنعت وصول الفلاحين إلى القرى** ، ولم تخلق بدائل عمل. وانتشر الفقر وربما الجوع . وكان الهدف اجبارهم على العمل فى الأعمال السوداء لدى أصحاب العمل اليهود.

وثالثا: ،فرضت حصارا سياسيا خانقا عليهم ، بواسطة فرض **حكم عسكرى خاص** عليهم (لم يكن مفروضا بشكل جغرافى بل فقط بشكل قومى ، على العرب) ودام ١٨ سنة متواصلة. **وبموجب أنظمة الحكم العسكرى لم يتح لأى مواطن أن يغادر بلدته أو قريته من دون تصريح خطى من الحكم العسكرى.**فكان هذا التصريح يستغرق وقتا وجهدا .وفى الكثير من الأحيان استعمل التصريح اداة ضغط وابتزاز سياسى أو اقتصادى. فمن لا يرضى عنه الحاكم العسكرى لا يحصل على تصريح عمل. فيعانى الضائقة الاقتصادية . وقد اضطر الكثيرون إلى الذهاب للعمل من دون تصاريح ، وضبط العديدون منهم وحكم عليهم بالسجن.

ورابعا: ومع أن القوانين الاسرائيلية تضمن حرية التنظيم الحزبى وحرية الصحافة، فانها قمعت المعارضة السياسية والحزبية فى الوسط العربى . فمنعت **تنظيم الأرض القومى العربى . وقمعت بالقوة نشاطات الشيوعيين العرب المنتظمتين فى صفوف الحزب الشيوعى الاسرائيلى اليهودى -العربى.** واعتقلت المئات منهم، ومنعتهم من الوصول إلى وظائف حكومية قطعا ، خصوصا فى مجال سلك التعليم.

وخامسا: ،بدأت بعمليات مصادرات واسعة للأراضى وقيدت وقلصت مساحات القرى والمدن العربية **وانتهجت سياسة إهمال وتمييز عنصريين بشكل مقصود فى كل مجالات الحياة**.ومع أنها رصدت ميزانيات كبيرة للمشاريع التطويرية الاساسية (البنية التحتية) فى البلدات والمستوطنات اليهودية، فانها **تركت القرى العربية بلا شوارع ولا مجار** .والتيار الكهربائى وصل إلى الكثير من القرى فى سنوات السبعينيات (فكنت ترى القرية العربية مظلمة ، بينما قن الدجاج التابع

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

للمستوطنة اليهودية أو الكيبوتس ، مشع بأنوار الكهرباء) ، وحتى المياه لم تصل بشكل منتظم.

وسادسا، إلى جانب كل هذا ، حاولت السلطة الاسرائيلية استغلال القطيعة ما بين عرب ٤٨ وأمتهم العربية ، لصالح سياستها. فراحت تحرضهم على العالم العربي غير الديمقراطي والذي لا يسأل عنهم. وكرست لذلك صحيفتين يوميتين بالعربية **(اليوم ثم «الانباء» و«حقيقة الأمر»** وإذاعة وفيما بعد محطة تلفزيون . ويذكر في هذا السياق ، انها حاولت سنة ١٩٥٨ ، تنظيم احتفالات خاصة بينهم بمناسبة مرور عشر سنوات على قيام إسرائيل. ودعى إلى هذه الاحتفالات صحفيون أجانب عديدون. لكن **أكبر هذه الاحتفالات وأولها (الذى عقد فى الناصرة أكبر مدينة عربية فى اسرائيل) جرى تفجيره (حسب قرار داخلى لفرع الحزب الشيوعى . ولا أحد يعرف كيف تم التفجير يومها. إذ كانت أرض الاحتفال مطوقة بقوات عسكرية كبيرة ورجال المخابرات منتشرون فى قاعة الاحتفال وفى كل المدينة** وهناك فرق الحراسة الخاصة للوزراء الذين حضروا ،ومع ذلك ، وما أن أعلن عريف الحفل عن افتتاحه ،حتى بدأت الكراسى تتطاير فى سماء القاعة. وخلال دقائق كان الجمهور كله والموسيقيون والراقصة الشرقية التى احضرت خصيصا ، والوزراء ، هاربين خارج القاعة) . وهكذا تقرر الغاء كل الاحتفالات.

وسابعا: حرصت السلطة خلال عشرات السنين على التعامل بقسوة مع المواطنين العرب بهدف كسر شوكتهم فهم مشبوهون على طول ، أينما يذهبون. يوقفهم أى رجل شرطة، ويعطى كامل الحرية فى التفتيش وحتى الاعتقال. من يخالف القانون منهم يعامل بقسوة مضاعفة. والكثيرون منهم يعاقبون بلا مخالفة. من يبنى بلا ترخيص يهدم بيته ، علما بأن السلطات البلدية لا تسارع فى إعطاء تصاريح(**يوجد اليوم ٢٢ ألف بيت عربى بلا ترخيص ١٢ ألفا منها مهددة بالهدم).**

ولم ينج عرب ٤٨ حتى من سياسة المجازر . ففى سنة ١٩٥٦ ، ارتكبت بحقهم مذبحة راح ضحيتها ٤٩ شخصا من سكان كفر قاسم . وفى سنة ١٩٦١ قتل ثلاثة شبان ، عندما حاولوا الهرب إلى لبنان . وفى سنة ١٩٧٦ قتل ستة اشخاص ، بينهم فتاة ، فى مذبحة يوم الأرض .

وقد كشف النقاب سنة ١٩٧٣ عن **مخطط عسكرى يهدف إلى ترحيل ٦٠٠ - ٧٠٠ ألف عربى من الجليل والمثلث (عرب ٤٨) والضفة الغربية(عرب ٦٧) ،فى حالة نشوب حرب.**

وفى الشهر الماضى ، كشف النقاب عن **مخطط لتحديد نسل العرب** بشكل قسرى وسرى ، وذلك بواسطة إعطاء أوامر للأطباء اليهود العاملين فى صفوفهم أن يشجعوا النساء العربيات على تناول حبوب منع الحمل.

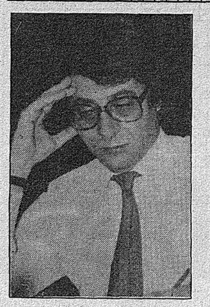
الفعل ورد الفعل

على الرغم من انعدام الدعم الخارجى وانقطاع الصلة مع أمتهم العربية ، وعلى الرغم من شعورهم بأنهم بقوا فى الوطن: «أصبح من الأيتام على مائدة اللئام(كما كان يقول دائما الشاعر **توفيق زياد)** ، فان «عرب ٤٨) تمكنوا من تنظيم أمورهم بسرعة قياسية والتصدى للسياسة الحكومية وللحكم العسكرى بالنضال الجماهيرى الشجاع والمثابر.

وكان هذا بفضل الشيوعيين وبعض اليساريين ، إذ لم تكن هناك .قوى سياسية عربية أخرى فاعلة.**فالقوميون، كما ذكرنا آنفا، حرموا من النشاط السياسى والتزامو بهذا الحرمان. واليمينيون ذهبوا مع السلطة وأحزابها علي طول الخط، لدرجة انهم صوتوا فى الكنيست ضد الغاء الحكم العسكرى عن شعبهم.**

..وهكذا، بدأوا يخوضون المعارك ، الواحدة، تلو الأخرى ، وكان من أوائل المعارك ، تلك التى خاضوها من **أجل لقمة الخبز** عندما انتشرت البطالة بينهم. وبفضلها تم إيجاد اماكن عمل لهم فى القطيف.

ثم كانت **المعركة من أجل الحفاظ على اللغة والتراث والانتماء القومين.** فأجبروا السلطة على التراجع عن خطتها عدم تعليم اللغة العربية فى المدارس. وفتحت صحف هذا الحزب :**«الاتحاد»** (صحيفة اسبوعية تصدر منذ سنة ١٩٤٤ وأصبحت تصدر مرتين فى الأسبوع منذ سنة ١٩٦٩ ثم أصبحت صحيفة يومية منذ العام ١٩٨٣ وحتى اليوم) **«الجديد** (مجلة أدبية) **والغد»**(مجلة شباب) ، فتحت صفحاتها أمام الاقلام الابداعية الوطنية ، علي هذه الصفحات علت أسماء أبرز الكتاب والشعراء:**اميل حبيب** (رئيس تحرير «الاتحاد» واميل توما (المؤرخ والناقد) الذى كان أول رئيس تحرير لـ«الاتحاد» **ومحمود درويش وتوفيق زياد وسميح القاسم وسالم جبران ومحمد نفاع ومحمد على طه وطه محمدى وغيرهم كثيرون.**



محمد درويش

ثم كانت المعركة الشهيرة ضد قطع الانتماء وضد احتفالات العاشور المذكورة.

وكانت المعركة ضد الحكم العسكرى والتمرد عليه.

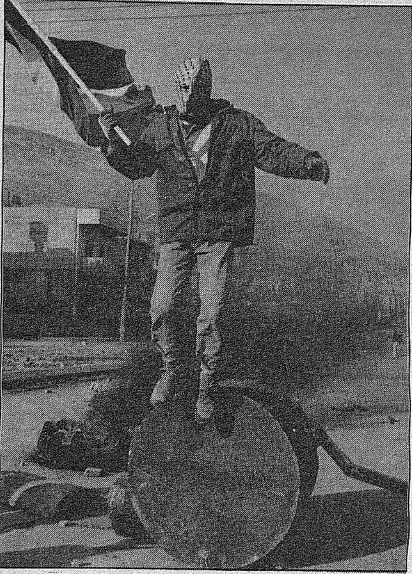
وكانت المعركة ضد مصادرة الأراضى والترحيل والمجازر ومن أجل المساواة القومية والحريات الديمقراطية.

وفوق كل ذلك، حرص «عرب ٤٨ » **على رفع علم الاعتراف بحق الشعب العربى الفلسطينى فى تقرير مصيره واقامة دولته الوطنية المستقلة إلى جانب اسرائيل.**

النكسة

إذا كانت نكبة فلسطين بالنسبة لعرب ٤٨ عبارة عن نكبتين، بسبب تعرضهم للقمع اليومى الاسرائيلى ، فان نكسة١٩٦٧ كانت بالنسبة لهم أيضا نكستين . إذ أنهم كانوا قد وصلوا إلى ذلك العام بانجازات جدية ،منها **:وقف مصادرات** الأراضى ، إلغاء الحكم العسكرى ، ادخال الماء إلى معظم البلدان.. إلخ، وكان العربى يمشى فى الشارع برأس مرفوع وعادى. لكن بعد العام ١٩٦٧ بدأت السلطة ، والتاريخ اليهودى عموما ، يتعاملان معهم باستهتار وبنظرة فوقية ، فهم المنهزمون الذين يواجهون الهزيمة يوميا ، على الارض

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين



وانعكس ذلك حتى بالاعتداءات الجسدية على المواطنين من دون سبب ، فقط بهدف كسر شوكتهم.

ولكن، هنا أيضا ، عرف «عرب ٤٨» كيف يواجهون الوضع الجديد. فخرجوا إلى الميدان الكفاحي بروح قصيدة **توفيق زياد** الشهيرة:

«لا تقولوا لي انتصرنا
ان هذا النصر شر من هزيمة»

وبروح السؤال ذي المغزى :«**ماذا ستفعلون يوما ، اذا الميزان مال**»،ومعروف أن الميزان مال فيما بعد. وهذه الروح المتفائلة، روح:«أدفنوا أمواتكم وانهضوا» .. سادت في كل الاتجاهات . ثم تطورت وتبلورت في إطار نضالات منظمة ، خصوصا في التضامن مع الأشقاء الفلسطينيين (الضفة الغربية وقطاع غزة) والمصرين (سيناء) والسوريين (الجولان) ، الذين «انضموا» إليهم تحت السلطة الاسرائيلية.

وفي هذه الفترة بالذات، رغم المأساة التي رافقت النكسة ، فإن تطورا ايجابيا قد حصل . إذ ان العالم العربي بدأ يكتشف «عرب ٤٨» ، ليس الجمهور الواسع وقضيته ، بل بالأساس الكتاب والمبدعون ، الذين عرفوا باسم: «شعراء المقاومة» و «أدباء المقاومة».

وللحقيقة ، فان هذا الاكتشاف المتأخر كان يحمل حبا زائدا- ربما كنوع من التعويض عن الماضي . وهذا الحب الزائد أساء لعرب ٤٨ . إذ أصبح كل من يظهر منهم في الخارج يلقى الحب والتأييد والاحترام وتحيات الصمود وبعضهم تلقوا أموال الصمود، بينما في الواقع كان الكثيرون تابعين لاحزاب الحكومة ووقفوا ضد مواقف شعبهم.

الانعطاف

في سنة ١٩٧٥ ، بدأ يتبلور انعطاف تاريخي في مكانة وأوضاع الجماهير العربية الفلسطينية في اسرائيل.

كان ذلك في مدينة **الناصرة**، كبرى المدن العربية في ادارة بلديتها وقف طول الوقت رجالات السلطة الحاكمة .وفي تلك السنة جرت انتخابات للبلدية ، فقامت **جبهة وطنية من الحزب الشيوعي وثلاث مؤسسات محلية هي رابطة الجامعيين ورابطة التجار ومنظمة الطلاب الجامعيين ، وفازت الجبهة بأكثرية اعضاء المجلس البلدي وفاز مرشحها الشاعر توفيق زياد ، برئاسة البلدية.**

من بعيد، قد يبدو الأمر بسيطا وصغيرا لكن من يعرف طبيعة الحياة في إسرائيل، خصوصا بين العرب ،في ذلك الحين ، يدرك أن الحديث يجري عن ثورة. وكان اثرها واضحا على مستقبل هذه الجماهير.

الحكومة الاسرائيلية عملت كل جهدها في سبيل منع هذا الانتصار. وعندما صار، حاولت إجهاضه بواسطة منع الميزانيات وبواسطة الاعتداء على **توفيق زياد** (تعرض لثلاث محاولات اغتيال)وتنظيم اعتداءات بوليسية على مختلف المناسبات. لكن هذه الاعتداءات قد فشلت بل بدأت روح الانتصار في الناصرة، تعم في بقية البلدات.

ولما كان أحد أهم بنود برنامج **جبهة الناصرة** الدفاع عن الأرض العربية في وجه المصادرات ، أعلنت الحكومة عن خطة مصادرة واسعة تشتمل على عشرات الوف الدونمات . وكأنها تريد بذلك أن تقول للناس: نحن وليس الناصرة يقرر.

على اثر ذلك، وبمبادرة من الجبهة وبلدية الناصرة أعلنت معركة للدفاع عن الأرض. واقيمت لجنة لهذا الغرض تضم كل القوى الوطنية. وتقرر أعلان الاضراب العام في ٣٠ مارس/ آذار ١٩٧٦ ، الذي أصبح يعرف باسم «يوم الأرض».هنا وقف روساء البلديات الوطنيون (ثمانية رؤساء) مقابل الرؤساء من أحزاب السلطة(٣٥ رئيسا) . فصدر قرار الأكثرية ضد الاضراب. لكن الاضراب تم ونجح . وحاولت السلطة الانتقام ، فقتلت ستة أشخاص . وحاولت اغتيال **توفيق زياد** . وأصابت بالجراح حوالي ٥٠٠ شخص.

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

واعتقلت عددا مشابها.

لكن هذا القمع لم يفد، فقد انطلق القطار.

الحكومة من جهتها جمدت المصادرات لكي تهدئ الأوضاع. والعرب من جهتهم انطلقوا في توسيع ظاهرة الناصرة فأقاموا **الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة** (فازت في انتخابات الكنيست سنة ١٩٧٧ بخمسة أعضاء كنست) **وجبهات عملية (فازت برئاسة وادارة حوالي ٢٥ مجلسا محليا**، فتحولت لجنة الرؤساء إلى لجنة وطنية . وتأثرت المناطق الفلسطينية المحتلة بهذه الروح الوحدوية فقامت هناك أيضا جبهات وطنية فازت في جميع المجالس البلدية والقروية في الانتخابات سنة ١٩٧٦.

ثم بدأت تقوم احزاب وحركات سياسية تتبنى البرنامج الوطني مثل **الحركة الوطنية التقدمية**، التي ضمت عناصر من التيار القومي مع عناصر كانت محسوبة على السلطة، **والحزب الديمقراطي العربي** بزعامة **النائب عبد الوهاب دراوشة** ، الذى كان عضوا في الكنيست على قائمة حزب العمل،والحركة الاسلامية وفي السنة الأخيرة قام حزب جديد هو حزب **التجمع الوطني الديمقراطي** ، الذي يجمع قوى التيار القومي العربي.

للحقيقة، يجب أن يشار هنا إلى أن هذه التعددية الحزبية والفكرية ، التي تبدو ايجابية بحد ذاتها، ترافقت مع تفسخ كبير في الشارع وصراعات اتخذت في بعض الأحيان شكلا دمويا متطرفا . لكنها فتحت الباب أيضا لترسيخ النهج الديمقراطي الليبرالي. ولأن هذه تجربة جديدة ، أفرزت الكثير من الصراعات والتفسخ. فالحركة التقدمية تفسخت إلى أربع مجموعات. والحركة الاسلامية أصبحت حركتين، واحدة تخوض انتخابات الكنيست واخرى تقاطع الانتخابات من منطلق مبدئي. وقامت احزاب صغيرة عشية كل انتخابات وسقطت . وقد سببت هذه الخطوات ضياع عشرات الوف اصوات الناخبين العرب في الكنيست هباء.

لكن هذه الاحزاب ، بمعظمها ، تعلمت درسا في الانتخابات الاخيرة للكنيست ، سنة ١٩٩٦ ، فتوزعت القوى بشكل معقول على النحو التالي:

-قام تحالف بين **الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة** بين **التجمع الوطني التقدمي** (وهذا التجمع بحد ذاته تحالف بين قوى التيار القومي)، وحصل على ٥ مقاعد في الكنيست.

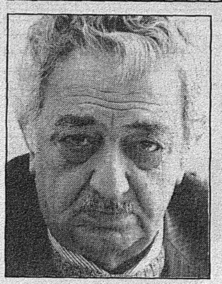
-قام تحالف بين **الحزب الديمقراطي العربي** وبين فرع من الحركة الاسلامية (الفرع الثاني من هذه الحركة عارض خوض الانتخابات) وفاز هذا التحالف بأربعة مقاعد في الكنيست.

-قام تحالف ثالث بين بقية القوى السياسية لكنه فشل، إذ حصل على خمس نسبة الحسم. ولم يعبرها.

وحصلت هذه الاحزاب، التي تضم عمليا القوى الوطنية الاساسية لعرب ٤٨ على حوالي ٦٠٪ من أصوات الناخبين العرب، وهذه أعلي نسبة في تاريخها وأما الاصوات الباقية فتوزعت علي الاحزاب الصهيونية ، علماً بأن قسما من هذه الأحزاب تضع في أماكن مضمونة مرشحين عرباً . وهكذا ، فقد دخل الكنيست عربي من حزب« ميرتس» اليساري الصهيوني (الذي يتزعمه **يوسى سريد**) ودخل الكنيست نائبان عربيان من **حزب العمل** المعارض هما **صالح طريف ونواف مصالحة** (وفي الشهر الأخير استقال النائب موشيه شاحل من الكنيست فدخل مكانه نائب عربي ثالث عن هذا الحزب هو **رفيق حاج يحيى**) . وبذلك أصبح عددالنواب العرب في الكنيست ١٢ نائبا (من مجموع ١٢٠ نائبا) وذلك لأول مرة في تاريخ الكنيست.

صحيح أن هؤلاء النواب العرب، أجمعين، في المعارضة ، وهذا يجعل امكانات تأثيرهم محدودة ، ولكن عددهم الكبير نسبيا يجعل أية سلطة ملزمة بأن تأخذ مواقفهم بالاعتبار.

وكان النواب العرب قد ادوا دورا مؤثرا في الدورةالبرلمانية الماضية ، حينما ساندوا حكومة **رابين** ومن بعدها حكومة **ميرتس** (٨٢-١٩٨٦) ، إذ لم تحظ الحكومة بأكثرية من دون اصواتهم وقد اتخذوا هذا الموقف في حينه ليكونوا جسما مانعا في وجه الليكود ، فسمي تحالفهم مع الحكومة بـ«**الجسم المانع**» وبفضلهم وبفضل تأييدهم نجحت حكومة رابين



اميل حبيبي

في تحرير اتفاقيات أوسلو وانجاح عملية السلام. وخلال المفاوضات مع رابين حققوا مكاسب جدية علي صعيد قضية المساواة للمواطنين العرب في إسرائيل.

ولم يكن ذلك مجرد صدفة، انما بقرار سابق واع صاغته الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في حينه بالقول:**نحن جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل ، وهذا لا يمس ابدا في انتمائنا لشعبنا الفلسطيني وامتنا العربية . وقد اخترنا هذا المصير مساهمة من طرفنا في حل النزاع الاسرائيلي العربي على أساس دولتين للشعبين، اسرائيل وفلسطين. ومن خلال هذا الموقع نريد أن نؤثر في الحياة السياسية والداخلية لاسرائيل ، ونشارك في صنع القرار الاسرائيلي في كل المجالات ، ونسعى لتحقيق المساواة الكاملة ، ونواصل كفاحنا ضد الاحتلال وسياسة الحروب والاستيطان ومن أجل السلام. فاسرائيل ليست دولة اليهود وحدهم ، فقد أصبح العرب فيها ٩٠٠ ألف نسمة** (حسب الاحصائيات الرسمية عدد العرب ١و١ مليون نسمة. لكن هذا العدد يشمل أيضا سكان القدس الشرقية وهضبة الجولان . وهما منطقتان محتلتان ، لا نعترف بضمهما إلى إسرائيل) .**ويجب أن تعترف إسرائيل بهم كأقلية قومية ذات حقوق كاملة. وهذه هي معركة نضالية ذات أبعاد ومغاز عميقة.**

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين


حسام الدين عبد اللطيف


أمل عبد الرازق


أحمد أبو ليلة


رضوى أحمد عبد الفتاح

الشباب يتحدث عن قضية فلسطين

- ١٤٪ من الشباب لايعرفون كامب ديفيد.
  ٣٧٪ لايعرفون جمال عبد الناصر !!
  ١٣٪ لايعرفون أنور السادات
  ٤٣٪ لايعرفون الشيخ أحمد ياسين
  ٢٠٪ لايعرفون حافظ الأسد
  ٦٣٪ لايعرفون شامير
  ٢٠٪ لايعرفون رابين
- الصهيونية أسسها كمال أتاتورك

  " طالبة إعلام"
- جمال عبد الناصر بعت الجيش عام ١٩٤٨ لفلسطين " وبوظ " القضية

  " طالب تجارة"

خالد البلشي

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

■ ٣٤٪ من الشباب .. الحل هو الوحدة العربية.
٢٠٪ الحل هو الحرب .
١٧٪ الحل المفاوضات.
١٠٪ احنا تعبنا وكفاية علينا كده.

فى عام ١٩٧٦ وقبل **مبادرة السادات** بعام كامل كتب **أمل دنقل** قصيدة " **لاتصالح**" محذراً من التوجهات الجديدة التى تنتهجها القيادة المصرية ، وكاشفاً عن أن القيادة المصرية فى سبيلها لعقد صلح منفرد مع إسرائيل .

كانت أحداث مظاهرات الطلاب فى عام ١٩٧٢ - التى سجلها **أمل** فى قصيدته " **اغنية الكعكة الحجرية**" - لم تزل عالقة فى ذهنه يوم خرج إلى ميدان التحرير أكثر من ٢٠ ألف طالب واعتصموا فيه يطالبون بالثأر ويستعجلون تحرير الأرض . هذا الشباب الذى خاض حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكله أمل فى تحرير الأرض وتحقيق أمله لكن الظروف لم تمهله.

راهن **أمل** على هذا الشباب . وأعلن للحكام الموجودين :

إنه ليس ثأرك وحدك
ولكنه ثأر جيل فجيل
وغداً سوف يولد من يلبس الدرع كامله
يوقد النار شاملة
يستولد الحق من أضلع المستحيل

لقد رأى **أمل** مايمكن أن تؤدى إليه عملية صلح منفرد من أثار فكتب محذراً :

أنه الثأر تبهت شعلته فى الضلوع
إذا ماتتالت عليه الفصول.

الآن بعد ٢٣ عاماً هل لازال الرهان قائماً أم أن التحذير قد تحقق؟

بمناسبة مرور **٥٠ عاماً على حرب فلسطين** والاحتلال الإسرائيلى لفلسطين فى مايو ١٩٤٨ قررت " **اليسار**" أن تجرى استطلاعاً للرأى حول رؤية الشباب للقضية الفلسطينية بعد هذه الفترة . فذهبنا إلى شباب الجامعة والخريجين أصحاب مظاهرات الأمس وجنوده نستطلع أراءهم حول الموضوع . فظهر الفارق شاسعاً بين جيل الكعكة الحجرية أبطال حرب أكتوبر الذين ضحوا بأنفسهم فى سبيل تحرير الأرض وجيل كامب ديفيد ومفاوضات السلام الذى نشأ وتربى فى ظلها .

لم نكن نتوقع الكثير ولم نجر هذا الاستطلاع بهدف إدانة أي من الجيلين . فنحن ندرك أن كل جيل إبن لواقعه وأن **هناك فارقاً كبيراً بين جيل تربى على عداوة إسرائيل وجيل خرج ليجد لها سفارة في بلده وعلم يرفرف فى سماء بلاده ولكن أبداً لم نكن نتوقع كل هذا الفارق.**

لم تمر سوى ١٩ عاماً على اتفاقية الصلح المصرية الإسرائيلية فى كامب ديفيد لكن الفارق كان شاسعاً والنتائج مخيفة . رفض عدد كبير من الشباب المشاركة فى الاستطلاع بحجة أنه لايتكلم فى السياسة " **إنتوا عايزين تودونى فى داهية**" وهاجمنا عدد آخر " **حرام عليكم كفاية وجع دماغ . انتو متعبتوش ، احنا ناقصين مش كفاية اللى حصل لنا** " . وأقسم أخرون " **والله مانعرف حاجة عنها** " وكان الطالب **وليد محمود** من كلية الحقوق جامعة القاهرة واضحا بما فيه الكفاية " مفيش فى أيدنا حاجة نعملها ، احنا عملنا اللى علينا وكفاية وجع دماغ " ولخص أحد الشباب القضية فى كلمتين كما قال لى" شوف بقى فلسطين دى أولها فلس وأخرها طين".

عموماً فلم تعدم من كان حريصا على مشاركتنا فى الاستطلاع من مبدأ أنها قضية وطنية وهو ماأسعدنا كثيراً ولكن سعادتنا باتت مهتزة بعد سماع الاجابات على أسئلتنا.



أحمد محمد اسماعيل



وفاء محمد مطر

نؤكد أننا لانريد إدانة هذا الجيل فهو ابن لواقعه وظروفه قبل كل شئ.

شارك فى الاستطلاع **٦٤ من الشباب من الجنسين** . ٤٣ منهم من طلبة الجامعة(٢٢ طالباً ، ٢١ طالبة) من جامعات القاهرة - الأغلبية - وحلوان وطنطا . موزعين بين كليات الاعلام ، الاقتصاد والعلوم السياسية ، الاثار ، الصيدلة ، الهندسة ، الفنون التطبيقية، الحقوق، الاداب ، العلوم ، الخدمة الاجتماعية والتجارة . و٢١ شاباً من شباب الخريجين سواء العاملين أو المتعطلين (١٣ شاباً ، ٨ شابات).

وتضمنت استمارة استطلاع الرأى ١٢ سؤالاً

المشكلة بدأت من وعد بلفور سنة ١٩٤٥

السؤال الأول : متى بدأت قضية فلسطين من وجهة نظرك ؟

خمسون عاما علي اغتصاب فلسطين

قرر أكثر من **٣١٪** من الشباب "٢٠ فرد" أن القضية بدأت مع وعد بلفور فى حين رأى حوالى **٣٠٪** " ١٩ فرد" أنها بدأت مع حرب فلسطين . وكان رأى أكثر من ١٥٪ من العينة « (١٠ أفراد» أن المشكلة بدأت عندما بدأ الفلسطينيون فى بيع الأرض لليهود . **وأعلن حوالى ١٣٪ (٨) أنهم لايعرفون متى بدأت المشكلة أصلاً.**

ورأت **نسرين السعدنى** طالبة فى كلية الاعلام « **أن المشكلة بدأت من سنة ٤٥ لما الانجليز إدت وعد بلفور لليهود لكى يكون لهم حق فى فلسطين** ". ولكن زميلها **قنديل سعيد** - الفرقة الرابعة - اختلف معها وأكد أن المشكلة « بدأت من قبل وعد بلفور سنة ١٩١٥ لما اليهود قرروا يتجمعوا فى مكان واحد وكان الاختيار الشؤم على فلسطين». ولكن أحد طلاب كلية التجارة رفض ذكر اسمه واكتفى بحروفه الأولى(س .ف) رأى أن " **المشكلة بدأت من ساعة الجماعة الفلسطينيين مابدءوا يبيعوا أرضهم لأن الجماعة اليهود دخلوا عليهم وقعدوا يشتروا الأرض وبعد ماأشتروا الأرض سلطوا عليهم النساء بتاعتهم والدعاية بتاعتهم والحاجات المقززة والغرائز الجنسية . وانهم ابتزوا الأموال ثانى . يعنى خدوا الأرض وخدوا الفلوس فالمشكلة مشكلة الفلسطينيين من الأول ».**

سامح شلبى الطالب بكلية الحقوق يرى« أن الخطوات الفعلية فى هدم الدولة الفلسطينية وإقامة الدولة اليهودية بدأت بعد سقوط الخلافة» وأيده فى ذلك **هيثم حسين محمد** من كلية الآداب . وحسمت **منى على** - كلية الآداب الخلاف وأوضحت أن « **المشكلة بدأت من زمان من أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ».**

اليهود ليست لهم حقوق تاريخية . فلسطين عربية

السؤال الثانى : هلى ترى أن لليهود حقوقا تاريخية فى فلسطين؟

أجمع معظم الشباب على أن اليهود ليس لهم حقوق تاريخية فى فلسطين حيث رأى أكثر من **٧٠٪** منهم « ٤٥ فرداً» أنهم ليس لهم آية حقوق فى فلسطين . ورأى أكثر من **١٧٪** « ١١» منهم أن لهم مقدسات ولكن هذه لاترتب حقوقاً . فترى **سميرة الطاهر** كلية الاعلام « يمكن زى مابيقولوا لهم حق تاريخى أو أماكن لكن ده مش ادعى انهم يأخذوا فلسطين . **طب ماإحنا لنا فى السعودية حج ده مش معناه نقعد فى السعودية».**

على هامش الاستطلاع

** عندما استوقفت احدى طالبات اعلام أتت مبتسمة وعندما سألتها عن رأيها قالت لى" شوف أنا حلوة ومعرفش إلا حاجتين إنى ألبس كويس وأكون حلوه".

- طالبة من كلية آداب قالت لى " أنا بقالى ١٤ سنة فى التعليم(٦ ابتدائى ، ٣ اعدادى ، ٣ ثانوى ومعرفش حاجة عن قضية فلسطين يبقى الحكومة هى المسئولة لأنها معرفتنيش"

** طالبة من كلية تجارة قالت لى " معرفش" فقلت لها أن أسئلتنا سهلة فقرأت الأسئلة وقالت" معرفش". قولى اللى تعرفيه فردت " يعنى عايزنى أقولك ١٢ مرة معرفش . طيب ياسيدى معرفش ، معرفش ، معرفش..."

** طالبة أخرى من كلية تجارة قالت لى أنا مبحبش أقرأ الجرايد ولا أشوف نشرة الأخبار فى التليفزيون كل اللى بحب أعمله انى أتفرج على المسلسلات بس وعلشان كده أنا مبعرفش حاجة عن اللى بتقوله

** أثناء اجراء الاستطلاع ظهر الطابع الاجتماعى للطلبة الشيوعيين والماركسيين والناصريين واضحاً . ففى مظاهرة قسم تاريخ فى كلية الآداب جامعة القاهرة اعتراضاً على النتيجة وأثناء هتاف الطلاب.

اصحى ياطالب مصر ياجدع
شوف ايه دورك فى الكلية
مهما بتشقى وغيرك يشقى
تعبك رايح للحرامية!!

تبين أن قواد المظاهرة طالبان ماركسى وناصرى من كلية الحقوق

** عدد كبير من الطلاب بعد اغلاق الكاسيت أكدوا لى أنهم قالوا رأيهم بصراحة إلا فى الجزء الخاص بالرئيس حسنى مبارك

أما **ايمان عمر الطيب** - كلية سياسة واقتصاد - فتقول « أعتقد أن لهم حقوق . بيقولوا إن من زمان الأرض كانت بتاعتهم والفلسطينيين فرطوا فيها وباعوا أرضهم .» ويوافقها **مصطفى** - كلية الهندسة - **رفض ذكر اسمه علشان فيه واحده مستنياه** - ويقول « تقريبا لهم لكن أنا مش ضليع فى التاريخ" . وأكد أحمد حافظ « محاسب» كلامهما وقال ." على **ماأسمع فيه**".

ولكن **ميرفت محمد** - كلية الآثار ، قسم آثار اسلامية - تحسم الأمر وتؤكد « ليس لهم حقوق تاريخية ، هذه أرض مقدسة . فلسطين من بادئ التاريخ ليست يهودية . سيدنا ابراهيم زار فلسطين « بيت المقدس» فى عهد أسرة اليابوسيين (ده كلام احنا بندرسه السنه دى) وعندما زارها فان هذا يدل على أنها كانت أرض مقدسة وليست يهودية.

اليهودية زى الصهيونية الاثنين عايزين الابادة

السؤال الثالث: هل هناك اختلاف بين اليهودية والصهيونية من وجهة نظرك؟

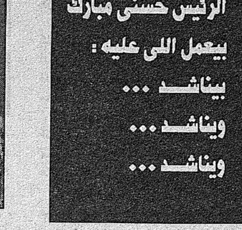
٣١٪ من العينة (٢٠ فرداً) قالوا أنه لايوجد فرق بين اليهودية والصهيونية أو كما قالت **ايمان عمر الطيب** رابعة سياسة واقتصاد (**بالطبع لأ The same).**

بينما رأى أكثر من **٢٣٪** (١٥ فرداً) أن اليهودية دين والصهيونية نظام سياسى وأكد **٢٣٪** آخرون أنهم لايعرفون . أما **قنديل سعد** - كلية الاعلام - فيقول" يوجد فرق . وان كنت لاأعرفه" وترد عليه ميرفت عاطف عويضه - حاصلة على معهد فنى تجارى -" اليهودية زى الصهيونية الاثنين عايزين الابادة " . وتختلف معها **لولا أحمد محمد** - دبلوم ادارة محلية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - " لا اليهودية أشد من الصهيونية ولكن معنديش عمق".

أما **عادل الهو** تاجر فيؤكد " دول أوحش من بعض" ويرى **سامح شلبى** - كلية الحقوق - " **حالياً الاثنين وجهان لعملة واحدة وان كان فيه صهاينة بس مش يهود** ". ولكن **أميرة حسنى** - اعلام - تختلف معه وتؤكد " بالطبع الاثنين مختلفين فيه يهود مؤمنين أن فلسطين للعرب ولكن الصهاينة عايزين يأخذوا كل الأرض".

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين







سامى طه



منى على

ويقول **عاطف أحمد**- كلية الهندسة -" من حيث العقيدة لاأعتقد أن هناك خلافاً . من حيث الأسلوب أو الطريقة ، اليهودية زى الاسلام . انما الصهيونية أسلوب سياسى زى الشيوعية وزى الرأسمالية والاشتراكية بس هى بتتبع أساليب ملتوية" ويرى **أحمد حافظ**- محاسب - أن " اليهودية ديانة غير التمييز العنصرى".

وتحسم **مروه مجدى** - كلية الاعلام - الأمر وتقول " **فيه اختلاف اليهودية موجودة من أيام الرسول عليه الصلاة والسلام . فيه فرق بين اليهود والصهيون . الصهيون كان دائما يتزعمه كمال أتاتورك .**"

إسرائيل دولة استعمارية ديمقراطية

السؤال الرابع: ما رأيك فى دولة إسرائيل؟

رأى أكثر من **٥٥٪** «٤١ فرداً» من الشباب أن دولة إسرائيل دولة استعمارية استيطانية . على حين رأى حوالى**١٣٪** منهم «٨» أن دولة إسرائيل دولة استعمارية ولكنها ديمقراطية من الداخل . ورأى حوالى ٨٪ «٦» منهم أنها دولة ديمقراطية . على حين رأى شابان فقط أنها دولة ديكتاتورية .

وترى **دعاء اسماعيل** - كلية التجارة - أن إسرائيل دولة مستبدة ولكن جواهم سياستهم كويسة مع بعض ولكن هى دولة تقوم على أكتاف غيرها واستعمارية" وترى **أمل عبد الرازق** - اعلام - " أنها دولة مش قايمة على أى أساس لادينى ولاأخلاقى ولاسياسى ولامبادئ سياسية محترمة"

ويختلف **سامح شلبى** - كلية الحقوق معها ويقول" **إسرائيل حالياً دولة عظيمة بالنسبة للانجازات اللى حققوها على العرب بسبب تخاذل الحكام العرب يبقى همه ناس يستحقوا انهم ينتصروا . يوم احنا مانتبع خطواتهم ونبص لمصلحتنا مش لمصلحة أمريكا ، والحكام بتوعنا يبصوا لمصالح الشعب وميبصوش للكرسى وهيقعدوا عليه قد إيه ممكن نهزم إسرائيل**"

ولكن **س.ف** - كلية التجارة - يقول " دولة إسرائيل مفيهاش ريحة الديمقراطية والدليل على كده أن أربع وزراء قدموا استقالتهم **لنتنياهو** هو الآن مش عاجبهم الأسلوب بتاعه لأنه ماشى بعقله . هو ماشى بالعقلية اليهودية".

ويقول **أحمد عبد الفتاح أبو ليلة** - كلية الاعلام -" أنا لاأعترف بدولة إسرائيل علشان أقول فيها رأى " وتؤكد زميلته **سميرة الطاهر** على كلامه وتقول " أنا أعترض انك تقول دولة إسرائيل أصلاً . أنا لاأعترف بها . ممكن نقول مستعمرة إسرائيل دول ناس بينزعوا الناس من جذورهم ويحطوا أنفسهم مكانهم والفلسطينيين مش سالمين من الضرب والقتل ولو واحد فلسطينى قتل جندى إسرائيلى يموت مكانه ألف"

أما **باسم شاهين** " مخرج بدار الأوبرا المصرية" فيقول إسرائيل دولة استعمارية من الدرجة الأولى من قبل وعد بلفور من زمان . **لأنهم بدأوا يضعوا المخطط بتاعهم سنة ١٨٨٨**

إسرائيل أفضل من العرب

السؤال الخامس : فى إطار المقارنة بين دولة إسرائيل والواقع العربى المحيط أيهما الأفضل وماهى أوجه الاختلاف بينهما ؟

٥ أفراد فقط من العينة بنسبة **٨٪** تقريباً هم الذين يعتقدون أن العرب أفضل من إسرائيل . فيرى **عادل الهو** - تاجر - " أن الدول العربية أفضل مهما كانت " . ويرى عاطف أحمد - كلية الهندسة - " أن اليهود عمرهم ماكانوا أفضل ولا هيبقوا أفضل . احنا أفضل ولكن كنا أفضل من كده والوضع يتدهور " . ويرى د. حسام مصطفى يعمل بادارة المستحضرات الطبية باحدى شركات الأدوية " أننا الأفضل وسنكون أفضل بالتضامن العربى " أما **وليد دياب** - كلية فنون تطبيقية - فيرى " **ان إسرائيل عاملة زى النقطة السوده فى مساحة بيضاء والسياسة عندهم متحررة زيادة عن اللازم ومستبدة**".

ويرى **٥٨ شاباً من أفراد العينة بنسبة تتجاوز ٩٠٪ أن إسرائيل أفضل من العرب** فهم أكثر ديمقراطية ، عارفين بيعملوا ايه ، سياستهم الخارجية أفضل ، لهم هدف واضح ، يسيرون فى اتجاه سليم ويقولون مايفعلون ، لديهم حرية رأى وحرية تعبير . أما العرب فمشتتين ونظمهم استبدادية ولايوجد لديهم حريات وليس لديهم هدف واضح ولايعرفون غير الكلام (**العرب كلام وبس وفعل مفيش**)

كما تقول أميرة حسنى من كلية الاعلام.

ويؤكد أحمد حافظ - محاسب - انهم أفضل " على الأقل بيلاقوا بعض" ويرى

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

لو الوطن العربى فيه نخوة .. كانت القضية إتحلت

"الأمل ان تنهار أمريكا او ربنا يبعت لها بلوى"

سامح شلبى " انهم سياسياً وديمقراطياً أفضل منا حتى اعتقادياً همه معتنقين اليهودية . اسرائيل قائمة على أساس دينى . أما عندنا فنحن نحارب المسلمين والجزائر أفضل دليل على أن المسلمين يتم محاربتهم.

وينفرد **أحمد محمد اسماعيل** حاصل على بكالوريوس تجارة برأى خاص **أن إسرائيل والعرب بتوع الخليج زى بعض . اما مش زى عرب مصر . الاثنين نفوسهم بالنسبة لنا واحدة.** أما بالنسبة لمصر وإسرائيل احنا من يومنا بنكافح علشان القضية الفلسطينية . ومن ناحية الديمقراطية احنا احسن منهم بكتير عندنا ديمقراطية هم معندهمش ديمقراطية دول ولاد ..."

ويعكس **قنديل سعيد متولى** - كلية الاعلام - أزمته فيقول " إسرائيل كواقع داخلى أفضل . على الأقل **لو شاب مننا راح يشتغل هناك هيلاقى شغل بعكس مصر . إسرائيل تحترم آدمية الانسان**"

سأله زميله : ممكن تشتغل هناك يا .. فقال نعم ولكن الشغل لايعنى إنى أحبهم.

العرب اتفقوا على ألا يتفقوا

السؤال السادس: ماهى الأسباب التى أدت إلى استمرار الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين لكل هذه المده وهل ترى أن هناك أملاً فى الحل؟

جاءت أسباب استمرار الاحتلال من وجهة نظر الشباب كالآتى :

تفتت العرب وعدم توحدهم وتساهلهم فى قضيتهم ومساندة أمريكا لإسرائيل وتهاون أصحاب الأرض الأصليين واختلاف العرب على الهايفة وتخاذل الحكام العرب وسلبية الشعوب العربية.

ويضيف **سامح شلبى** لهذه الأسباب خيانة الحكام العرب وتغييب الشعوب العربية والارهاب الحكومى ضد المواطنين مما يجعلهم لايهتمون بالقضية . أما **مهند مزارع ابراهيم** - سياسة واقتصاد - فيرى أن **الأسباب تاريخية همه بيعتقدوا أن لهم الحق فى مصر .** حتى بتلاقى العلم بتاعهم عليه النيل من هنا والفرات من هنا . أى حقوق تاريخية يعنى.

وترى **لولا أحمد محمد** - دبلوم إدارة محلية كلية سياسة واقتصاد - " **أن ياسر عرفات نفسه مش مؤمن بقضية بلده علشان كده مش قادر عليها**" . وترى **عبير البرنس** - سياسة واقتصاد - السبب فى" سكوت الفلسطينيين عن حقوقهم " ويرى عادل الهو - تاجر أن " إحنا مش قادرين عليهم لأن **الوضع فى يد أمريكا واحنا ملناش كلام بعد أمريكا**".

ويرى **س.م** " كلية تجارة" أن " الوطن العربى لو كان فيه نخوة رجالة مكنش استمر الحال" .وترى **ميرفت سيد محمد**- كلية الآثار - أن السبب فى طغيان المادة حيث أن إسرائيل تسيطر على شعب فلسطين مادياً " وترى **ميرفت عاطف عويضه** السبب فى" أن مفيش حرية رأى للشعوب العربية" . أما **سامى طه** فيقول أن " العرب اتفقوا على ألا يتفقوا وأعتقد أن هناك دور أردنى فى استمرار الاحتلال" .

مفيش أمل فى الحل

أما عن الأمل فى الحل فيرى **٢٤٪** من الشباب أن" مفيش أمل فى الحل" وتؤكد نسرين السعدنى - اعلام -" أنها هتستنى كده ليوم القيامة" . ويرى ١٥٪ أن مفيش أمل طالما استمر الوضع الحالى . وتقول **أمل عبد الرازق" طالما فيه أمريكا مفيش حل"** . بينما يرى**١٨٪** من الشباب أن الأمل الوحيد هو الحرب . ويؤكد باسم شاهين " أن الأمل عمل جيش ويطلع **زى ٤٨ بس يطلع بشكل قوى" . أما ٢٢٪ من الشباب فيرون أن الحل هوالوحدةالعربية.**

وخلافا لكل ذلك يرى عاطف أحمد - كلية الهندسة - "**أن الحل موجود فى القرآن الكريم وأكيد هتتحل امتى الله أعلم** ولذلك فالأمل موجود وأكيد هتتحل" . ويرى **أحمد حافظ** - محاسب - أن الأمل موجود فى الله . وترى **منى على** - كلية الآداب -" أن فيه أمل مادمنا موجودين" ويرى **هيثم حسين محمد** - كلية الآداب-"**الحل فى الدين إنما حاليا مش الناس دى هى اللى هتعمل حل**" .

حسام الدين خضر" محامى" يرى أن الحل فى حدوث تكافؤ بين اليهود والعرب ويحدث السلام على أساسه . أما **منى صلاح** - اعلام - فترى" الأمل فى حاجتين " **أن تنهار أمريكا أو يحصل لها حاجة أو ربنا يبعت لها بلوى تشيلها.** الحاجة الثانية توحد العرب". أما **أحمد محمد اسماعيل** فيقول " الأمل فى نتنياهو طالما نتنياهو وافق القضية ماشيه موافقش القضية تقف . الحل مرتبط بنتنياهو مش بحد ثانى لااحنا ولاأمريكا ولاأى حد."

الاتفاقية أثرت للأسوأ

السؤال السابع : هل أثرت اتفاقية الصلح المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ - كامب ديفيد - على القضية الفلسطينية ؟

٦٧٪ من الشباب يرون أنها أثرت على القضية. **٧٥٪ منهم يرون أنها أثرت للأسوأ** وأضرت بالقضية فترى **منى صلاح**- اعلام - أن" كامب ديفيد أكدت وجود الإسرائيليين وقالت لهم اتتوا موجودين وهتستنوا وكفاية أن مصر اعترفت بهم" . ويرى مهند مزارع ابراهيم "أن مصر لما عملت سلام مع إسرائيل انسحبت من القضية. ويقول **عاطف أحمد** أنها أوجدت التطبيع اللى مكنتش موجود قبلها . أما **ايمان عصام** المعهد العالى للخدمة الاجتماعية فترى " أنها أعطت لإسرائيل حرية الحركة فى فلسطين واحنا منقدرش نتكلم علشان المعاهدة".

٢٥٪ من الذين يرون أن **اتفاقية كامب ديفيد** أثرت على القضية الفلسطينية يرون أنها أثرت للأفضل وتقول أمل عبد الرازق " **لولا اللى عمله السادات مكانتش إسرائيل اتنازلت عن بعض أراضيها**". ويرى أحمد محمد اسماعيل أنها أثرت للأحسن ولكن

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

العرب مستفدوش منها وأثرها إنهم بيندموا لحد دلوقتي".

باسم شاهين - مخرج - يحاول تقديم رؤية "**متخرش الميه**" على حد قوله فيقول" أن الاتفاقية عملت نوعين من التأثير فتحت مجال لمؤتمر السلام الذى يحدث الآن ولذلك فالسادات سبق عصره ولعبها صح . ولكنها أثرت للأسوأ فنحن دخلناها علشان سيناء والجولان وفلسطين فضيعنا كل ذلك وخدنا سينا بس وأنا لاأعلم لماذا لم نعمل سفارة لفلسطين من يومها".

عموماً فقد رأى١١٪ من العينة"٧ طلاب" ان كامب ديفيد لم تؤثر اطلاقاً على القضية فترى**عبير البرنس** - سياسة واقتصاد" **ان الاتفاقية ملهاش علاقة بفلسطين**". بينما يقول **أحمد على** - كلية الآداب - أن إسرائيل بنت أمريكا وأمريكا تحميها فلو العالم كله اجتمع لن يستطيع أن يضرها علشان كده مفيش اتفاقيات هتؤثر عليها لاكامب ديفيد ولاغيرها.

عدد ٩ شباب بنسبة ١٤٪ من العينة أعلنوا أنهم لايعرفون كامب ديفيد ويتساءل مصطفى " كلية الهندسة" أنا مش ضليع فى التاريخ هى المعاهدة كانت بين مين ومين" وتقول مروة مجدى - اعلام - " كامب ديفيد معرفش مدرستهاش فى الثانوى ".**هيثم حسين محمد** مش فاكرها. أما **وفاء محمد مصطفى** فتقول " معرفش كامب ديفيد". . وهكذا .

الدور المصرى جيد نحن نشجب وندين

السؤال الثامن: ما رأيك فى الدور المصرى الذى يمارس الآن تجاه قضية فلسطين وهل قامت مصر بالدور المطلوب منها ، تجاه القضية؟ وماهى حدورد الدور المصرى الذى تراه؟.

انقسم الشباب حول رؤيتهم للدور المصرى.

٣٤٪ من الشباب «٢٢ فردا» يرون أن مصر تمارس دوراً ايجابياً تجاه قضية فلسطين فيرى **أحمد أبو ليله** أن" دور مصر دور فعال لو قارناه بدول المنطقة الأخرى ويؤيده فى ذلك زميله فى كلية الاعلام **قنديل سعيد** ويقول " **أن الدور المصرى جيد فنحن نشجب وندين يبقى احنا كويسين لأن فيه دول تانية مبتقدرش تشجب وتدين** ". ويقول **أحمد حافظ** - محاسب -" الدور المصرى كويس . ده بالذات منقدرش نقول فيه حاجة عاملين اللى عليهم صح ولالأ ". ويرى **د. حسام مصطفى** أن" دور مصر دور جيد لكنه يحتاج لدفعة أكبر".

ويرى **١٤٪** «٩» من الشباب أن مصر تمارس دوراً ايجابياً فى حدود المتاح لها . يقول **سامى طه** " **الدور المصرى جيد ولكن ليس فعال وليس ذو تأثير لوجود أمريكا فى الخط**" وترى نسرين السعدنى - كلية الاعلام - " **أن الرئيس مبارك بيحاول ولكن إسرائيل أقوى أنها تستمر**". ويرى محمد عبد الظاهر - كلية التجارة - " أن الدور المصرى شغال حسب الدبلوماسية مش جامد قوى وشغال بحذر شديد" أما أحمد محمد اسماعيل فيقول أن " الدور المصرى فى السبعينيات أيام كامب ديفيد كان أحسن من دلوقتى بس حاليا نقدر نقول أن ده الحل الوحيد الموجود".

أكثر من **٣٣٪** من الشباب يعتقدون أن دور مصر الحالى دور سلبى ولا يؤثر فى القضية . بل أن **سامح شلبى** - كلية الحقوق - يرى أن" **الدور المصرى يقتل القضية**" .

ويقول **عادل الهو** " أن الدور المصرى ضحك على الدقون زى مانكون متفقين معاهم عمالين نجيب محاصيل زراعية منهم ونتعامل معاهم ونعمل لهم مصانع هنا ويخربوا بيتنا بالمبيدات والحاجات البايظة فى الزراعة" ويرى **س.ف** كلية التجارة - " أن دور مصر مجرد كلام بتوجه رسائل وكلام لكن مفيش فعل" . **وترى** ثناء حامد نصار- كلية صيدلة - " أن دور مصر أقل من المفروض، فهى تتعامل مع إسرائيل ولها سفارة هناك وتستورد منها حاجات ".

ويقول **حسام الدين خضر** - محامى - الدور المصرى شبه سلبى مفيش أى ناحية ايجابية قمنا بها نظراً للهيمنة الأمريكية".

٤ طلاب بنسبة ٦٪ من العينة يرون أن مصر ليس لها أى دور وتتساءل **منى على** - كلية الآداب - " إحنا بنعمل إيه أصلاً؟ . . مبنعملش حاجة" . وتؤكد **وفاء محمد مصطفى** احنا مبنعملش أى حاجة ويتفق معهما كل من **ايمان عصام** خدمة اجتماعية وأحمد محمد ابراهيم كلية العلوم .

الشعبيلطجية

أما **مصطفى**" كلية الهندسة" فيقول " مصر عايزة السلام مش عايزة الحرب . احنا عايزين سلام مش عايزين أسلوب بلطجة فلو اشتغلنا فى البلطجة فالشعب المصرى كله بلطجية وخصوصاً أن إسرائيل بتاخد حته من لحمنا.

يرى **٥٠٪** من الشباب أن مصر قد قامت بالدور المطلوب منها تجاه قضية فلسطين على مر تاريخها ولكن **٢٥٪** منهم يرون أن دورها كان من المفترض أن يكون أكبر من ذلك بينما قرر **١١٪** من الشباب أن مصر لم تقم بالدور المطلوب منها تجاه القضية فيرى **عاطف أحمد** " **أنها لو قامت بالدور المطلوب منها تجاهها كانت انحلت من زمان** " ويؤكد **هيثم حسين محمد** - كلية الآداب - " **إحنا تعبانين من الأول ومعملناش حاجة**.

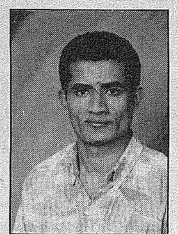
ولكن بعض الشباب كان لهم وجهة نظر أخرى فيرى **قنديل سعيد** أن مصر قامت بالدور المطلوب منها فى فترات وفترات" ويوضح" **مثلا فى حرب ٧٣ كنا نحرر أرضنا ولافلسطين**".

أما **لولا أحمد محمد** فتؤكد أن" الدور الأساسى كان على الراعى الأساسى لدولة فلسطين وهو ياسر عرفات وهو لم يقم بدوره فلا يجب أن نلوم مصر على أنها قامت أو لم تقم".

أما أحمد على - كلية الآداب فيقول" **مصر لم تعمل أى شئ إلا أيام حسن البنا** وده لا من السلطة ولا من الحكومة وإنما من الاخوان المسلمين - وكانت أمة اسلامية قائمة لنصرة المسلمين والوقوف أمام اليهود - ولكن للأسف الاتفاقيات التى تمت بين الحكام واليهود فى ذلك الوقت زى الملك فاروق والجماعة دول ضغطت على حسن البنا والناس اللى كانوا واقفين جنبه ضد اليهود ومن يومها وحتى الآن لم نعمل شئ".

عاطف شلبى يؤكد كلامه ويقول " فى بداية الموضوع يهيئ لى أن كتائب الفدائيين منذ انتفاضة ١٩٣٦ كانت تقوم بدورها وبرز الدور فى حرب ٤٨ و **أعتقد أن كتائب الاخوان كانت ممكن أن تحسم المعركة لكن هذا**

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين


قنديل سعد متولى


مرفت عاطف عويضه

كان **مرفوض من الحكومة** . فى الفترة الناصرية كان هناك احياء لحد ما لكن المحكات كانت خاسرة".

ويرى **باسم شاهين** ان مصر قامت بدورها بشكل جيد ودافعت عنه بكل قوتها من فكر وتشكيل وجدان وجيش خلال الفترة الناصرية ولكن **الدور توقف تماماً بعد معاهدة كامب ديفيد١٩٧٩"**.

منى على تعبر عن رؤيتها للدور المصرى بقولها" **مصر كانت على الحدود معاك معاك عليك عليك"**.

أما عن حدود الدور المصرى من وجهة نظر الشباب.

يرى ١١٪ من الشباب أن مصر "**مش مطلوب منها أكثر من كده"** فتقول **نسرين السعدنى** - اعلام - " مفيش أكثر من كده "

وتؤكد **عبير البرنس** سياسة واقتصاد كلامها . أما **أحمد حافظ** محاسب فيقول " كفاية كده مش مطلوب منا أكثر من كده . **أكثر من كده هنعمل ايه هنشترى البيوت اللى همه باعوها ثانى"** ويؤكد **أحمد محمد اسماعيل** أن" الرئيس مبارك عمال يناشد ويناشد أن القضية تتحل ولكن مفيش أمل."

بقية الشباب يرون أن مصر يجب أن تعمل على توحيد الصف العربى وبناء سوق عربية مشتركة وعمل وحدة عربية.وأن تقوم بالضغط على الحكومة الإسرائيلية بشتى الطرق وتسعى لعمل مقاطعة أكبر لإسرائيل وأن تمنع التطبيع . بل ودعا عدد منهم إلى قطع العلاقات معها . وتساءل **محمد عبد الظاهر"** ليه منديش الفلسطينيين أسلحة يحاربوا بيها بدل الحجارة؟

الكثير من الشباب أكدوا على أن مصر يجب أن يكون لها سيطرة أكبر . وأن على الدول العربية أن تساعدها فى ذلك فهى لن تستطيع أن تعمل بمفردها.

ترددت الدعوة للحرب عند أكثر من ١٥٪ من الشباب فيرى **هيثم محمد أحمد** أن" ماأخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة ". ويرى **عادل الهو:** " أن اليهود لازم يطلعوا من فلسطين والا لازم تقوم حرب بين مصر - المسلمين - وإسرائيل - اليهود - لحد ماتنتهى واحدة من الاثنين . **ولو انتصرنا نبقى حررنا فلسطين ولو انهزمنا نبقى شهداء** . حتى ترتفع راية لاإله إلا الله ."

ويرى س .ف كلية التجارة " إننا يجب أن **نقف وقفة رجاله ونروح ندى كارت ارهاب لإسرائيل** . كفاية كده . كفاية اللى همه عملينه فينا . ويكون فى علمك أن الوطن العربى لو اتحد وقام إسرائيل هتكش وبالتالى أمريكا والاتحاد السوفيتى والدول الأوروبية هيكشوا".

المنظمة ليست هى الممثل الحقيقى

السؤال التاسع: هل منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الحقيقى للشعب الفلسطينى؟ ومارأيك فيما يحدث الآن من مفاوضات؟

رداً على الجزء الأول من السؤال الخاص بالمنظمة يقول **ايهاب نبيل** كلية الآداب "الشعب الفلسطينى هو اللى يقدر يجاوب على السؤال ده . الشعب هو اللى يختار من يمثله ويقرر من يختاره ولكنى أعتقد أن **الوضع عايز يتغير."**

عموما فان **٣٩** شاباً بنسبة **٦١٪** من العينة يرون أن منظمة التحرير ليست هى الممثل الحقيقى للشعب الفلسطينى بل ويرى محمد عبد الظاهر - كلية التجارة - أن أكثر قراراتها ضد الفلسطينيين حسب العلاقة مع إسرائيل . وتؤكد أمل عبد الرازق " مش معقول واحد يكون مش عايش مع شعبه وبعيد عنه ومش عارف اللى بيعانيه ويعبر عنه . كما أن هناك بطء فى حركتهم أنا مش عارفه إيه اللى بيعملوه" ويقول قنديل سعيد" **المنظمة تسرق الشعب فهى زى الحولى اللى بيسرق الأنفار ويأخذ من أجرتهم"**.

ويرى **٨٪** من الشباب أن المنظمة ليست الممثل الوحيد ويرى أحمد أبو ليلة - اعلام - أن المنظمة تدافع عن القضية منذ الستينات لكن ليست الممثلة الوحيدة والانتخابات هى التى تقرر ذلك.

١٦٪ من الشباب « ١٠ أفراد» يؤكدون أن المنظمة هى الممثل الحقيقى للشعب الفلسطينى.

٥٠٪ من الشباب الذين قالوا أن المنظمة لاتمثل الشعب الفلسطينى بنسبة ٣٥٪ من عامة الشباب يرون أن الشعب الفلسطينى هو الذى يمثل نفسه . بينما يرى **١٣٪** منهم بنسبة **٨٪** من العينه أن حماس هى الممثل الحقيقى للشعب الفلسطينى.

عادل الهو يرى أن **الشعب والناس اللى بيعملوا التفجيرات هم الممثل الحقيقى للشعب** .أما **سامح شلبى** - كلية الحقوق - فيرى أن الممثل الحقيقى يظهر فى جنازات الشهداء والمؤتمرات . فجنازة يحيى عياش خرج فيها نصف مليون . وجنازة محيى الدين الشريف ٢٠٠ ألف . كل هذا يوضح أن **المتدينين هم الذين يمثلون الشعب** حتى ولو كان حزب الله فى لبنان مع أنه شيعى"

أما **سميرة الطاهر** إعلام فترى " أن المنظمة تمثل الشعب اسمياً فياسر عرفات له شعبية زى شعبية جمال عبد الناصر الله يرحمه فتحس إنه زعيم بس مبيعملش حاجة

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

وعامل زى مكسور الجناح . مش بيعمل حاجة بيتشال ويتحط ويعمل مفاوضات . يشيلوه هنا ويحطوه هنا ويعمل مفاوضات . أنا أعتقد أن حركات المقاومة زى حزب الله وحماس ممثلين للشعب الفلسطينى أكثر من منظمة التحرير الفلسطينية وهذا لايعنى أنى أنفى الشرعية عن المنظمة.

مفيش أمل فى المفاوضات

الوحيد الذى رأى أن هناك أمل فى المفاوضات هو **د. حسام مصطفى** حيث يقول" **أتمنى أن يكون وراءها أحد القرارات التى ترفع المعاناة عن الشعب الفلسطينى**

باقى الشباب اجمعوا على أن المفاوضات تهريج ومضيعة للوقت وليس لها أى جدوى وانها ضحك على الدقون . ووصل الأمر لأن يتساءل البعض **هو فيه مفاوضات** . ويؤكد آخرون مفيش مفاوضات أصلاً . ووصفت **دعاء اسماعيل** تجارة القاهرة - المفاوضات بأنها **حبوب منومة** ويقول **عاطف أحمد** - دى مش مفاوضات دى أستك بيمطوا فيه . دى مش أسلوب حل دى أسلوب مط لكسب مزيد من الوقت والمكاسب لإسرائيل "

وترى **أميرة حسنى** اعلام - أن المفاوضات مبتوصلش لحلول كل مرة بتتعمل والنتيجة تكون أسوأ" . وتقول **ميرفت سيد محمد** - آثار - المفاوضات كثيرة ولاتوجد حلول فمثلاً غزة أريحا لاجدوى منها فالشعب الفلسطينى يعامل معاملة العبيد والاستيطان مستمر"

ويقرر **سامح شلبى** انها " تضييع وقت **نتنياهو** عمال يضيع الوقت علشان يهدم المسجد الأقصى وينسف القضية" . ويؤكد **ايهاب نبيل**" مفيش حد قادر يقول لإسرائيل حاجة حتى أمريكا مش قادره تقول حاجة علشان إسرائيل مسيطرة على العملية جامد قوى".

التفجيرات وبطولة حماس

السؤال العاشر: مارأيك فيما يحدث داخل إسرائيل من تفجيرات ومن هو المسئول عنها؟

١٤ فرداً من أفراد العينة بنسبة ٢٢٪ يرفضون التفجيرات التى تقوم بها المقاومة الفلسطينية داخل إسرائيل ويرون أنها غير ذات جدوى وتقتل أبرياء ولاتضر إلا الشعب الفلسطينى نفسه . تقول **ميرفت سيد محمد** " التفجيرات" حرام فالشعب هو الوحيد الذى يتضرر منها ولو قتلوا واحد سيأتى بعده ملايين" . ويقول **أحمد حافظ " المدنيين حرام سواء مسلمين أو يهود.** أنا أبقى واقف الاقى قنبلة انفجرت حرام . دول بيأخذوا ذنب ده بذنب ده حرام" . وترى **منى صلاح** - اعلام - انها مجرد زوبعات بتعمل قلق بس مش هتغير هى رد فعل زى ماتكون دبانة بتضايق فى أسد"وتقول **أمل عبد الرازق** " متهيألى بيضيعوا وقتهم وجهدهم على الفاضى " أما **لولا أحمد محمد** سياسة واقتصاد فتقول " الضرب أو القذف سواء من الناحيتين حرام وليس هو الحل فالضحايا يكونوا بشر وأطفال ونساء . وغالبا يكون الرد الإسرائيلى أعنف " أما **وفاء محمد مصطفى** فترى " **أن التفجيرات تقتل أبرياء وملهاش لازمة كل مافجروا كل ماجات على دماغهم همه بيؤذوا أنفسهم**"

ويقول **قنديل سعيد** أنا لاأرى أى جدوى منها فالواحد الذى يقتل . يقتل قباله عشرة والمكان الذى يهدم يبنى أفضل منه فهى غير مجدية".

بقية أفراد العينة ٥٠ فردا بنسبة ٧٨٪ يؤيدون التفجيرات ويرون أنها **ثأر وانتقام** ورد فعل وبطولة وحماس ودفاع عن النفس وتضحية وفداء وأنها رد فعل طبيعى لشعب محتل . وأنها تعبر عن" **شعب عايز يعيش**" وهى أقل حق من حقوقهم لأن الشعب الفلسطينى بيقول من خلالها أنه موجود.

٩٠٪ من الشباب:

إسرائيل أفضل من العرب فهى اكثر ديمقراطية واكثر حرية

وأجمع الذين يؤيدون التفجيرات أن الشعب يعبر عن نفسه وأن الذين يقومون بها هى **حماس** ولكن المسئول الرئيسى عنها هى إسرائيل بممارساتها تجاه الفلسطينيين واحتلالها للأرض الفلسطينية.

السؤال الحادى عشر: مارأيك فى كل من الآتى أسماؤهم فى إطار تعاملهم مع القضية؟

الزعيم جمال عبد الناصر

صرح أكثر من **٣٧٪** من العينة أنهم لايعرفون دور جمال عبد الناصر أولايعرفونه هو شخصيا

٣٣٪ من العينة يرون أنه قام بدور ايجابى وكان زعيماً فتقول **أمل عبد الرازق** أنه كان عنده أمل أن يوحد العرب لكن العرب مش واخدين على الوحدة ويرى أحمد أبو ليلة أنه" **قومى عربى وأكثر من دافع عن القضية**" ويرى حسام الدين خضر - محامى - أنه كان يمثل قوة رادعة وكان الكل يهابه وكان أسلوبه أفضل الأساليب اللى تعاملنا بها مع إسرائيل.

٨٪ من العينة يرون أن دوره لم يتعد الكلام فيقول **عاطف أحمد** أنه **كلام كثير وفعل مفيش** " ويرى سامح شلبى أنه " **تكلم ولم يفعل لكننا نفتقد حالياً الكلام**"

١٠٪ من العينة يرون أنه دوره كان سلبياً فيرى **مهند مزارع ابراهيم** إنه " متهور" أما س .ف كلية التجارة فيقول أنه " **بوظ الجيش فى الحروب اللى كان بيوزعها من أول حرب ٤٨**" ويرى **باسم شاهين** مخرج أنه تعامل باندفاعية فخسر أشياء كثيرة لأنه كان يعتمد على القوة"

عبد الناصر عمل اتفاقية

أما **مصطفى**" طالب بهندسة القاهرة" فيقول " عبد الناصر عمل اتفاقية أو عمل معاهدة أو عمل حاجة"

السادات

انقسم الشباب حول دوره فى القضية

٤٣٪ يرون أن السادات كان يمارس دوراً ايجابياً فى القضية وأنه سبق عصره بعقده كامب ديفيد ويكفيه أنه أعاد سيناء لمصر وحمى مصر من الحرب

٣٧٪ يرون أن دوره كان سلبياً وأنه تخلى عن القضية وتسبب فى تراجعها الذى

خمسون عاما علي اغتصاب فلسطين

نعانى منه حتى الآن وتسبب فى تفرق العرب وتشتتهم لفترة طويلة وأنه مسئول عما نحن فيه الآن .

١٣٪ من الشباب لايعرفون دور الساداتولايعرفونه

ويرى **مهند مزارع** - سياسة واقتصاد أنه" **خلص مصر من قضية هى فى غنى عنها**"

ملحوظة كان عدد من طلبة سياسة واقتصاد من الذين قالوا أننا لانعرف دوراً لعبد الناصر والسادات أولا لايعرفونهما على الاطلاق.

بطاريات أمريكاني حسني مبارك

٢٣٪ من الشباب يرون أنه يمارس دوراً سلبياً تجاه القضية أو ليس له دور على الاطلاق . فيرى **هيثم حسين محمد** أنه " قضى على دور مصر فى القضية" ويرى **حسام الدين خضر**-محامى - " أنه لم يفعل شئ تجاه القضية" بينما يرى **سامح شلبى أنه" يتعامل ببطاريات أمريكانى"** ويرى **باسم شاهين**- مخرج - " أنه مش قادر يفهم الخطوط ووجهات النظر ، وبعد نظره مازال تحت رجليه ومش قدامه" أما **منى صلاح محمد** - اعلام - فتقول **إنه" ياحرام ماسك الخط المشروع اللى الناس كلها لازم تقول دا خط ممتاز دا خط محصلش هو ده الخط الشرعى لكن مش هيجيب نتيجة وإلا كان جاب من زمان"** . ويرى **عادل الهو** - تاجر - إنه معملش حاجة ويحاول أن يعمل فى البداية دخل اليهود عندنا زراعة ومبيدات حشرية وأشياء أخرى لكنه الآن يحاول أن يصلح أخطائه . ويرى **سامى طه" أنه يتعامل باسلوب غير فعال ومعندوش غيره"**

٢٠٪ يرون أنه يحاول ممارسة دور ايجابى لكنه محكوم بضغوط أجنبية فيرى **ايهاب نبيل** إنه " بيعمل حاجات كويسة ولكن زى مايكون عليه ضغوط من بره ويقول **أحمد محمد اسماعيل " زكى وعربى لكنه زى مايكون له حدود معينة مبيقدرش يتجاوزها"**.وتقول **سميرة الطاهر**" عايز يدافع عن القضية بمنطق العروبة فى نفس الوقت مش عايز يخسر علاقته بأمريكا والغرب".

٤٣٪ من الشباب يرون أنه يمارس دوراً ايجابياً وفعالاً وأنه أكثر رئيس له دور ايجابى بالنسبة لقضية فلسطين كما تقول **عبير البرنس**- كلية سياسة واقتصاد -(**ملحوظة كانت عبير البرنس من الشباب الذين قالوا انهم لايعرفون دور عبد الناصر والسادات)** .

ويصرح **ف.ح** كلية التجارة -" مش نفاق ولاقولة خوف الرئيس مبارك سياسى بارع يقدر يتأقلم مع الظروف اللى حواليه".

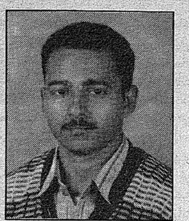
عموماً فترى **وفاء محمد مصطفى** ان الرئيس مبارك **هو اللى هيخلى الحرب تقوم** أما **أحمد على** فيقول " منقدرش نقول عليه حاجة"

مكسور الجناح ياسر عرفات

٥٧٪ من الشباب يرون أنه يمارس دوراً سلبياً بالنسبة لقضيته ويخدم إسرائيل أو على أقل تقدير لايمارس أى دور فيرى **هيثم حسين** أن " ياسر عرفات مبيعملش حاجة جديدة" . بينما يرى حسام الدين خضر - محامى - " **أن ياسر عرفات فى الوقت الحالى جندى من جنود إسرائيل ضد حركة حماس ولا يستطيع أن يقدم أو يؤخر"** . ويقول **سامح شلبى أنه" باع القضية"** ويرى أحمد أبو ليلة - اعلام - " إنه تخلى عن كل مبادئه التى قامت عليها منظمة التحرير".

٢١ شابا بنسبة ٣٤٪ من أفراد العينة يرون أنه مغلوب على أمره فترى **سميرة الطاهر** أنه" مكسور الجناح" أما **مصطفى**- كلية الهندسة فيقول " ياسر عرفات غلبان أغلب من الغلب محتار يمشى مع العرب ولا الأمم المتحدة ولامجلس الأمن " ويرى **ايهاب نبيل** أن" ياسر عرفات لازم يكون له حكم أكثر من كده وأنه مش قادر يعمل حاجة هو بيحاول يعمل بس هو مش قادر ومش عارف فهو **مغلوب على أمره** ويحتاج يتماسك عن كده شوية".

عاطف أحمد يرى أنه **صورة جميلة ومفيش حاجة جوه "** بينما يرى باسم شاهين أنه مدعى. وترى **حنان محمد** - كلية علوم - أنه" لازم يكون جدى أكثر من كده لأنه صاحب القضية"وتقول **منى على" لو واحد غيره يمسك فلسطين يبقى أحسن"** ويرى **أحمد حافظ** أن **" ياسر عرفات مبسوط كده وأن الوضع ده مناسب له"** .



باسم شاهين

المجرم الوطني بنيامين نتنياهو

أكثر من **٩٠٪** من العينة اجمعوا على أنه مجرم حرب ومتعنت ومتصلب وأنه شخصية تستحق القتل وأنه اسم على مسمى **" نتن .. ياهو"** ولكنهم رأوا أنه رغم ذلك يخدم وطنه وينفذ مايريد ويعمل لصالح إسرائيل ويخدم الحركة الصهيونية فى المقام الأول

يقول **سامى طه " أنه مجرم قذر لكنه أكثر وطنية من الحكام العرب"** وترى **أمل عبد الرازق**أنه رئيس ممتاز لإسرائيل ومعادى للعرب" وترى **أميرة حسنى** أنه هو .." النتن اللى مبوظ كل القضية وبيولع فيها نار لكن بيخدم إسرائيل . ويرى**مهند مزارع ابراهيم** انه **أزكى حاكم فى العالم شفته لحد الآن ، لأنه بيقدر يغير قرارات مجلس الأمن ويعدلها براحته والعالم مش قادر يقول حاجة"** .

أما **ايهاب نبيل** فيقول" بنيامين نتنياهو هو اللى عامل كل الكلام ده ومن ساعة ماجه بيقول مفيش سلام و ناجح فى سياسته ومحدش قادر يقوله حاجة" . ويرى **حسام خضر** محامى أنه " انسان واضح وصريح ولو **وجد زعيم زيه فى أى دولة عربية كان زماننا واجهنا العدوان واقتلعنا إسرائيل** . هو بينفذ اللى هو عايزه وأثبت عجز العرب على مر العصور" أما **سامح شلبى** فيرى أنه" رجل جدع وبينفذ اللى هو عايزه".

ولكن **وفاء محمد مصطفى** تختلف مع كل هؤلاء، وتقول " هو ده اللى هيودى إسرائيل فى داهية وهيقضى عليهم" وتقول **منى على** .

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

عنه أنه " أسوأ انسان عرفته يضر قضية فلسطين ويضر إسرائيل في نفس الوقت".

عميل الأمم المتحدة

باسم شاهين يرى أن **بنيامين نتنياهو عميل**. وعندما سألته عميل لمن لنفسه ؟ قال بل عميل بشتى الطرق للأمم المتحدة وتحديداً لحقوق الفيتو..!!

باع لنا الترومای رابين

٥٥٪ من الشباب يرون أنه كان معتدلاً وأفضل من نتنياهو وكان يريد السلام لكنه كان يعمل لصالح إسرائيل ويقول **ايهاب نبيل** " أعتقد أنه كان ماشي في السلام لو كان عاش كان الوضع هيبقى أحسن من كده ولكن ماكناش هنوصل للي عايزينه . ويرى **أحمد حافظ** إنه كان **كويس لدرجة إنه مستناش** " وتقول أمل عبد الرازق " كان ممكن يبقى فيه رجا "وترى **ميرفت محمد** أنه " سعى للسلام لكن السلام لم يأت" ويقول **مهند مزارع** أنه" رجل يستحق جائزة نوبل " وترى **لولا أحمد أنه كان شخص كويس علشان كده اغتيل**"

ويرى محمود محمد محمد حسن - موظف - أنه كان دبلوماسي بشكل قوى فحقق أهدافه علشان يبنى مستوطنات

٢٠٪ من العينة لايعرفون من هو رابين . ويرى **١٠٪ أنه لايختلف عن بقية من حكموا إسرائيل** فيقول **محمد ابراهيم** -مدرس - انه " قناع يخفى الوجه الحقيقى لإسرائيل" وتقول **سميرة الطاهر** أنه " ميتخيرش عن أي واحد من اللى مسكوا إسرائيل" . أما سامح شلبى فيرى **"أنه باع لنا ولعرفات الترومای"**.

أما بقية الشباب فيرونه خبيث ومجرم حرب ويهودى أصيل .. إلخ.

شامير

٤٠ فرداً بنسبة ٦٣٪ من الشباب لايعرفون من هو شامير ويرى ١٤٪ منهم أنه مجرم حرب بينما يرى ٨٪ أنه زى نتنياهو . أما مهند مزارع ابراهيم فيرى أنه إسرائيلى محنك . ويرى وليم سليمان مهندس انه كان متعنت ولكن أكثر وطنية من الحكام العرب.

باسم شاهين يرى أن" شامير بيحاول"..!!!

مين الملك حسين ده ؟! الملك حسين

لم تجتمع أراء الشباب مثلما اجتمعت على شخصية الملك حسين . حيث أجمع أكثر من ٩٠٪ من الشباب على أنه يمارس دوراً سلبياً ضد قضية فلسطين أو على الأقل لايخدم القضية ويعمل لمصلحته فقط . فنجد أن ٣٤ شاباً وشابه بنسبة ٥٣٪ من أفراد العينة يرون أنه يمارس دوراً سلبياً ضد القضية أو على الأقل لايخدمها ويعمل لمصلحته فقط فيرى **قنديل سعيد** أن **" سلالة الملك حسين من أول جده عبد الله باعوا القضية"** أما **مهند مزارع** فيقول عليه " انكسف أقول عليه زعيم عربى " ويرى **عادل الهو** أن الغرب يعمل به مايشاء " **لعبة في ايديهم تعال نوديك الحضانة ، تعال لجوزك ، فين مايقولوا له روح يروح ويسمع كلامهم** ." بينما ترى **دعاء على** - كلية صيدلة- أن من العدل إلا يذكر اسمه في القضية / أما **مصطفى** كلية هندسة- فيقول" أنا مبقوق منه ملهوش... لازمة" وهكذا هذا غير السباب والشتائم

٢٤٪ من العينة "١٥ فردا" يرون أنه خائن وعميل للصهيونية والأمريكان وأنه يمارس دوراً مثل دور نتنياهو فى القضية.

أما **أحمد على** - كلية الآداب - فلقد اعتبره يهودياً ولاينتمى للاسلام " مش عارف أقول عليه يهودى ولاينتمى للاسلام المشكلة اللى حصلت فى جنوب بلاده وراح علشان يعزى فى نساء عاهرات كانت أكبر مثال على أنه يعمل ضد الاسلام ".



ايمان عصام

٩٪ من الشباب يرون أن **الملك حسين يمارس دوراً ايجابيا فى قضية فلسطين** فتقول **نسرين السعدنى** واقف مع الرئيس مبارك وبيحاولوا .وتؤيدها **مروة مجدى** وتقول " بيحاول يساند الريس فى المفاوضات وبيحاول يكون فيه اتفاق جيد علشان السلام" ووصفته طالبة من كلية تجارة بأنه **رجل سلام**.

أما أحمد محمد اسماعيل فيرى أنه **لاعب سيرك محترف**" ويصفه سامى طه بأنه لغز ، وتتساءل **وفاء محمد مصطفى** - كلية الآداب - **مين الملك حسين ده ؟**

بتاع لبنان ولا بتاع سوريا ؟! حافظ الأسد

أكثر من **٢٠٪ من العينة "١٣ فردا" قالوا أنه لايعرفون عنه شئ وتقول وفاء محمد مصطفى " بتاع الأردن مش كده لأ معرفش عنه حاجة"** وتعارضها ميرفت سهير محمد وترى أنه" **بتاع لبنان**" وأنه" **يحاول حل الاستيطان داخل بلده**".

اختلف الشباب على حافظ الأسد ٢٠٪ **منهم** يرون أنه يمارس دوراً ايجابياً فترى **عبير البرنس** أنه" وطنى وكويس وفاهم ويتعامل مع القضية من منطلق المصلحة العامة أولاً ومصلحة بلده ثانياً" ويرى **حسام الدين عبد اللطيف خضر**- محامى - أن" الجرح بتاعه فى الجولان لايبيح له أن يتكلم عن فلسطين قبل سوريا وهو لايستطيع الخروج عن هذا الإطار " أما **ايهاب نبيل** فيقول أنا احترمه ولكن معرفش ساكت ليه" ويرى **أحمد محمد اسماعيل** أنه " الوحيد من جيل العمالقة"

٢٧٪ من الشباب يرون أنه يمارس دوراً سلبياً فى القضية يقول **سامح شلبى " لاأستطيع أن أفهم موقفه يترك الجولان ويتدخل فى لبنان**" ويرى **أحمد حافظ** " أنه صوت على الفاضى زى عبد الناصر" ويتفق **محمد عبد الظاهر ونسرين السعدنى** أنه مبيعملش حاجة".

٥٪ من الشباب يرون أن دوره مثل دور الرئيس مبارك وهو لايتناسب مع وضعه لأن أرضه محتلة وتقول **هبه محمد** - خريجة حقوق - أنا باستغرب لأنه صاحب أقوى جيش ولايستخدم القوة زى الرئيس حسنى مبارك مع أن أرضه محتلة".

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

أما **باسم شاهين** فيقول " ربنا يسترها عليه لأنه واخد اسلوب جمال واسلوب جمال مبينفعش ". أما مهند مزارع ابراهيم فيرى **"انه يشكر لحد كده والمفروض يسبب سورية"**

"رجال لاتلهيهم تجارة" الشيخ أحمد ياسين

٤٣٪ من الشباب قالوا أنهم لايعرفون الشيخ أحمد ياسين وقال بعضهم أنه سمع عنه لكن ميعرفش دوره - وتتساءل عبير البرنس " مين ده أصلاً" - .. بينما رأى **٢٧ منهم بنسبة ٤٣٪ من العينة أيضا ،أنه يمارس دوراً ايجابياً** بل واعتبره **سامح شلبى** " **الرئيس الفعلى لفلسطين**" ويرى **أحمد طه أنه** " وطنى زيادة عن اللازم " ويقول عنه أحمد على" هو ده اللى كتب عنه ربنا رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله " ويرى **محمد عبد الظاهر**" إنه بيعمل على قد مابيقدر وشغال كويس والحمد لله وشغله جايب نتيجة ولكن كونه منفصل عن المنظمة الفلسطينية شغله مش جايب الأثر المطلوب.

أما ٥٪ من الشباب فيرون أنه يمارس دوراً سلبياً وتقول **وفاء محمد مصطفى** " هو قائد منظمة حماس وأنا مش مع المنظمة فى اللى بتعمله من تفجيرات أنا شايفة أنه ملهوش لازمة أصلاً".

اسم على الفاضى منظمة التحرير الفلسطينية

٦٠٪ من الشباب "٣٨ فرداً يرون أن دورها سلبى ولاتخدم القضية ولاتعبر عن شعب فلسطين بل أن **قنديل سعيد** يرى " أنها تسرق شعب فلسطين وسبب تأخر القضية وأنهم جواسيس على الفلسطينيين وشرطة عينتها إسرائيل علشان تقبض عليهم" ويرى **حسام الدين خضر" أنها تعتبر الآن اليد الضاربة والعصا الموجودة فى يد إسرائيل لضرب حركة حماس أو أى حركة تعادى إسرائيل أو الكيان الإسرائيلى".**

وتقول **ميرفت عويضه** انها" عاملة زى واجهة المحل اللى يشوفه يفكر بتعمل حاجة وهى مبتعملش فهى اسم على الفاضى " .

ويرى **عاطف أحمد** أن" دورها هو اعاقة الفلسطينيين عن عملهم " وتصفها **لولا أحمد محمد[أنها " hopless case"**

٢٢٪ من الشباب يرون أن **دورها ايجابى** وأنها تعتبر الممثل الحقيقى للشعب الفلسطينى ويقول **مهند مزارع ابراهيم** ربنا يخليها لفلسطين وتنتصر على إسرائيل "

وترى **وفاء محمد مصطفى** أنها بتسبب موت ناس كثير ملهومش دعوة بالموضوع بالتفجيرات اللى بتعملها!! ويتساءل **أحمد حافظ "اللى هى حماس"** .أما **سامى طه** فيقرر أن **دورها غير فعال زى حسنى مبارك"** .

الممثل الحقيقى حماس

٧٠٪ من الشباب يرون أنها تمارس دوراً ايجابياً لخدمة القضية وأنها الممثل الحقيقى لشعب فلسطين ويرى سامح شلبى أنها" الأمل" ويرى حسين محمود - محامى - أنها البذرة اللى ممكن تطلع شجرة تضلل على فلسطين مش دولة إسرائيل . وترى **مروه مجدى** - " أنها تدافع عن حقوق الفلسطينيين " ويقول وليد دياب أنها" **بتحاول تثبت وجودها وتحسس الناس أن عندهم أمل"** .

ويرى هيثم حسين " **أنها الممثل الحقيقى لشعب فلسطين"** .

١٠٪ من الشباب لايعرفون من هى حماس ويتساءل مصطفى " طالب هندسة" **"دول بتوع لبنان ولابتوع فلسطين"** أما **ميرفت سيد محمد** فتقول" **الراجل اللى انقتل من عشرة أيام كان راجل كويس يسعى للحق"**

٨٪ من الشباب يرون أنها تمارس دوراً سلبياً ويقول **قنديل سعيد** " أنا لااتفق فيما يقومون به فى إسرائيل حماس فرع من الاخوان وأنا ضد الاخوان على طول الخط لأنى كنت واحد منهم وعارفهم كويس".

ويقرر س .ف كلية تجارة " **حماس عاملة كارت ارهاب للإسرائيليين ولازم ولابد أن الوطن العربى يشجع الجماعة دى** لأن دى دولة وعايزة حقها وعايزة تعيش فى وطنها وفى بلدها ثم أن القدس بتاعة مسلمين ومسيحيين ولازم نرجعها".

الحرب بس أنا خايفة على الشباب"

السؤال الأخير: ماهو الحل لقضية فلسطين من وجهة نظرك؟ وهل ترى ضرورة لدور مصرى فى ذلك؟

٢٠ شاباً بنسبة ٣٢٪ من العينة يرون أن **الحل هى الحرب**

٢٢شاباً بنسبة ٣٤٪ من العينة يرون أن الحل هو**تحقيق وحدة عربية** شاملة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا أولاً ثم نتركها للمستقبل.

١٧٪ من الشباب يرون أن الحل لابد أن يكون هو الطريق السلمى لأننا لانحتمل حرباً . فالمفاوضات هى الطريق السليم للحل.

٩٪ يرون الحل أن تتنازل إسرائيل وتنسحب من المناطق العربية

أما عن مشاركة مصر فيرى **١٠٪ من الشباب أن مصر يجب ألا تشارك فى الحل** جميع الذين يرون ذلك يرون أن الحل هو الحرب ولكن احنا تعبنا وكفاية علينا كده فيرى **مهند مزارع ابراهيم** أن مصر تضررت جامد من الحرب ومشكلات جامدة واجهتنا واحنا فى حالة اعادة بناء اقتصادى ومش معقول هنشارك فى حرب ثانية ونقعد نبنى من ثانى".

وترى **أميرة حسنى** أن الحل الحرب ولكن لو فيه حرب مصر لاتشارك لأنها **خايفة على اللى هيروحوا فياريت الحرب تبقى بعيدة عن الشباب لأنهم اتعذبوا كثير** وترى **أمل عبد الرازق** أن الحل هو الحرب ولكن مصر لاتشترك فيها لأن احنا تعبنا ".

عموما فان ٩٠٪ من الشباب يرون أن مشاركة مصر مهمة فى جميع الحالات.

قدم الشباب عدداً آخر من الحلول للقضية من وجهة نظرهم فيرى **سامح شلبى** أن الحل هو" **التمسك بالدين وعدم الجرى وراء الحلم الأمريكى ونحن لدينا** تجربة سابقة حكمنا العالم بها نتمسك بها وساعتها سنسترد فلسطين والأندلس والفلبين والهند والحبشة وجنوب فرنسا" . ولكن يرى أن مصر **بحالتها هذه يجب ألا تشارك فى هذا الحل لأننا ضربنا القضية بما فيه الكفاية"**

أما **لولا أحمد محمد** فترى " أن الحل أن أمريكا شوكتها تنكسر وتتدمر شعبياً وعسكرياً"

أما **أحمد حافظ** فيقول " الحل هو أننا نشترى لهم بيوتهم ، احسب القيراط كان بكام أيام ماباعوا لليهود واحسبه عندنا بكام دلوقتى ملهومش حل إلا انهم يشتروا الأرض تانى . ولانخلص نفسنا ونديهم الجنسية وخلاص ."

كانت هذه هى أراء الشباب دون أية رتوش لم نحاول أن نتدخل ونقلنا الصورة كما هى علها تساهم فى تحديد الصورة الحقيقية الآن للقضية وسبب تراجعها.

شكر خاص للصديقة / دعاء سلطان الطالبة بكلية الاعلام لمساعداتها لى فى إجراء بعض اللقاءات.

خمسون عاما على اغتصاب فلسطين

دور المساعدات الخارجية لإسرائيل فى بناء الدولة

حقق المشروع الصهيونى الذى انطلق قبل قرن من الزمان بعض أهم أحلامه وهو إنشاء دولة تتحول الديانة اليهودية بمقتضاها إلى قومية . وبعد خمسين عاما من إنشاء إسرائيل على أرض فلسطين حققت الدولة العبرية نجاحات كبيرة كما كانت لها إخفاقاتها وكان واحد من أكبر هذه النجاحات هو إخفاء حقيقة اعتمادها على المساعدات الخارجية ، وكونها دولة تابعة حتى النخاع بهذا المعنى ، وبدلا من ذلك قدمت إسرائيل نفسها للعالم باعتبارها دولة بنت نفسها بنفسها وبسواعد أبنائها المجتهدين العباقرة وفى محيط من العداء العربى المستحكم لها ، وهى صورة ترسخ من وعى الجمهور العام غير المدقق فكرة عبقرية اليهود ، وتدعم أسطورة تفضيل الرب لهم باعتبارهم شعبه المختار ، أى أن الدعم الامبريالى الواسع والمتواصل لها أخذ يخدم الأسطورة الدينية.

وفى كتابه الجديد " **بناء دولة – عن دور المساعدات الخارجية لإسرائيل ١٩٤٨ -١٩٩٦** " يتابع الباحث المصرى "**أحمد السيد النجار**" مصادر هذه المساعدات وتطورها وأرقامها وأشكال استخدامها.

وإذا كانت ضخامة الأموال التى تدفقت على إسرائيل منذ نشوئها ومازالت تتدفق سوف تفاجئنا ، فسوف يفاجئنا أكثر حقيقة أن جزءا آخر من هذه المساعدات بقى دائما طى الكتمان وهو تحديدا المساعدات العسكرية.

وكان الكتمان **اعتبارا سياسيا** " يتعلق برغبة مقدمى تلك الإعانات فى عدم الإعلان عن تقديمها للحفاظ على العلاقات مع العرب ، ولاعتبارات عسكرية تتعلق برغبة إسرائيل فى إخفاء ماتتلقاه من مساعدات عسكرية بالذات فى الفترة التى تلت تأسيسها مباشرة .."

كذلك فان النسبة الغالبة من هذه المساعدات كانت إما منحا أو هبات أو ديون معدومة

وعن طريق المساعدات المعلنة والخفية انتقل الإسرائيليون إلى مصاف الأغنياء فى نصف قرن من الزمان ، **وأصبح متوسط دخل الفرد فى إسرائيل أعلى منه فى بلدان مثل أسبانيا والبرتغال واليونان ونيوزيلندا وأيرلندا.**

ومالم يذكره الكاتب وقد دلل عليه **روجيه جارودى** فى كتابه "**الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**" والذى تعرض أخيرا بسببه للمحاكمة هو أن **كل فرد فى إسرائيل يتلقى ألف دولار أمريكى كل عام.**

وقد بلغ مجموع المساعدات الرسمية التى قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٩٦ حوالى **٦٦٥٨٨ مليون دولار** بينها ٢١٠٥ مليون دولار قروض اقتصادية ، ونحو ٢٣٠١٣ مليون دولار هبات اقتصادية ، ١١٤١٣ مليون دولار قروض عسكرية و٢٩٣٨٠ مليون دولار هبات عسكرية ، ٦٧٧ر٥ مليون دولار قدمت كمساعدة لإستيعاب اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتى السابق خلال الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٩٢، هذا فضلا عن ١٠ مليار دولار ضمانات للقروض قدمتها إدارة الرئيس الأمريكى السابق **جورج بوش**" وسحبت منها إسرائيل بالفعل ٢ر٧ مليار دولار حتى الانتهاء من تأليف الكتاب.

وحتى عام ١٩٥٩ لم تقدم الولايات المتحدة الأمريكية مساعدات عسكرية لإسرائيل لأنها كانت تحصل عليها من مصادر أخرى كان أهمها **فرنسا** ، أما ثانى دولة مانحة للمساعدات فى شكل تعويضات فهى **ألمانيا** التى لم تدفع أى تعويض لضحايا النازية الآخرين من الروس واليوجوسلاف وغيرهم ، بينما **دفعت لإسرائيل حتى الآن ٨٠ مليار دولار**، وهناك قول شائع فى ألمانيا إن كل مواطن ألمانى يشتغل يوما فى العام لحساب إسرائيل.

تأليف : أحمد السيد النجار

عرض: فريدة النقاش

وفيما بعد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى المصدر الرئيسى للمعونات العسكرية لإسرائيل لدرجة أن انقطاع هذه المعونات عنها يمكن أن يضعها فى حالة أسوأ من تعرضها لهجوم على كل حدودها فى آن واحد ، إذ أن **المنح العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل تمول ٤٠٪ من الانفاق العسكرى للدولة العبرية التى تستعد للانقضاض على جيرانها كلما لاحت فرصة.**

وتحشد إسرائيل ٣٥٪ من طاقتها العسكرية على الحدود المصرية رغم وجود اتفاقية صلح ، ورغم الترتيبات التى تجعل سيناء منزوعة السلاح . وقد أعلن **ايهود باراك** زعيم حزب العمل الآن والذى كان رئيسا للأركان سنة ١٩٩٢ أنه إذا حدثت حرب أخرى مع مصر فان جيش إسرائيل سوف يستولى على سيناء فى ٢٤ ساعة ، ولن يقف هذه المرة عند قناة السويس وإنما سيتقدم إلى القاهرة.."!!

حالة خاصة

وبالرغم من هذه المساعدات الهائلة فان إسرائيل دولة مدينة وتعانى من عجز متزايد من نظام مدفوعاتها ، وزيادة متواصلة فى أقساط الديون وفوائدها بالرغم من أن مدفوعات الفائدة الإسرائيلية على الديون أقل نسبيا بكثير من دول كثيرة أخرى إذ أن إسرائيل حالة خاصة " ولم تكن أبدا كما يؤكد المؤلف " متلقيا عاديا للمساعدات".

ويتتبع الباحث بالوقائع والأرقام كيف استخدمت إسرائيل المساعدات الخارجية لتوطين المهاجرين من كل أنحاء العالم فهى تمنح جنسيتها تلقائيا لأى يهودى فى أى مكان فى العالم بمقتضى ما أسمته حق العودة الذى سنت له قانونا.

وقد بدأت موجة الهجرة الجديدة عام **١٩٩٠ ووصل خلالها نحو ٢٠٠ ألف مهاجر ،** وانخفض العدد فى ١٩٩١ إلى ١٧٦ ألف مهاجر ثم بدأ التراجع السريع فى أعداد المهاجرين بسبب الصعوبات الكبيرة التى واجهت عملية استيعابهم ، إذ كان المهاجرون الجدد يرسلون لذويهم صورا تفصيلية عن

أوضاعهم السيئة .

وماكانت ضمانات القروض بعشرة مليارات من الدولارات التى حاربت إسرائيل من أجل الحصول عليها من الولايات المتحدة الأمريكية إلا نموذجا صارخا للطريقة التى تنقذ بها المساعدات الخارجية إسرائيل كلما تعرضت لمأزق بسبب تكوينها الأصلى.

وقد ساهمت القروض الأمريكية أيضا فى حل **أزمة البطالة** التى كانت قد تفاقمت فى إسرائيل لتصل إلى ٢ر١١٪ من قوة العمل سنة ١٩٩٢ كان بينهم خمسون ألفا من حاملى المؤهلات العليا ، وقد انخفض معدل البطالة بالفعل ليصل ١٠٪ سنة ١٩٩٣ ثم ٨ر٧٪ سنة ١٩٩٤.

وعند مناقشته للأزمة التى نشأت بسبب ضمانات القروض التى طلبتها إسرائيل من الحكومة الأمريكية والتى انتهت برضوخ الرئيس الأمريكى أخيرا ، يحرص الباحث على تبديد الوهم الشائع فى الوطن العربى حول تباينات مواقف الحزبين الأمريكيين الكبيرين من إسرائيل ، ويدلل على أن **كلاً من الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى يؤيد إسرائيل بلاحدود.**

وهناك استثناء واحد فى تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية حين قرر الرئيس **أيزنهاور** عام ١٩٥٣ وقف المساعدات الأمريكية لإسرائيل لما اتخذت الأخيرة قرارا من جانب واحد بشق قناة خاصة فى المنطقة المجردة من السلاح لتحويل معظم مياه نهر الأردن إلى فلسطين المحتلة ، ولم يغير الرئيس الأمريكى موقفه إلا بعد أن أوقفت إسرائيل المشروع .

أما موقف الرئيس الديمقراطى " **جون كيندى**" فكان مجرد تخفيض للمعونة فى بداية الستينات بهدف **إحداث توازن بين علاقة الولايات المتحدة مع كل من إسرائيل والعرب ليبقيهما معا تحت المظلة الأمريكية" وذلك مع الاحتفاظ لإسرائيل بمكانتها الخاصة"**

وكان كيندى يسعى لتقديم صيغة لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينين مع الأمم المتحدة.

أما مجمل ماتلقته إسرائيل من معونات حتى ١٩٩٦ فيصل إلى **٤ر١٧٦ مليار دولار** ، وهو رقم يساوى كما يقول الباحث ٤٥٠ مليار دولار من دولارات ١٩٩٦ . وتتجلى الأهمية الاستثنائية لهذا الرقم المطلق إذا ماقورن بحجم الديون الخارجية لمصر والبرازيل والمكسيك والأرجنتين معا والتى بلغت فى عام ١٩٩٥ ٦ر٤٤٦ مليار دولار من دولارات ١٩٩٥.

جدول رقم (٧)
شروط اقتراض اسرائيل من العالم الخارجي
مقارنة بشروط اقتراض دول أخرى من العالم

الدولة	متوسط سعر الفائدة ٪		متوسط فترة السداد بعدد السنوات		متوسط فترة السماح بعدد السنوات		نصيب الفرد من المساعدات الائتمانية الرسمية من جميع المصادر (دولار)
	عام ١٩٧٠	عام ١٩٨٤	عام ١٩٧٠	عام ١٩٨٤	عام ١٩٧٠	عام ١٩٨٤	عام ١٩٨٤
اسرائيل	٧,٣	١٢,٢	١٣	٣٠	٥	١٠	٢٩٨,٤
البرازيل	٧,١	١٢,٢	١٤	٩	٣	٣	١,١
الارجنتين	٧,٤	١٠,٧	١٢	١٩	٣	٢	١,٦
المكسيك	٨,٠	١١,٠	١٢	١١	٣	٥	١,٢

المصدر : البنك الدولى - تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٨٦ ، ص ٢٥٠ .

أى أن ماتلقته إسرائيل وحدها فى شكل منح لاترد فى الغالب الأعم يفوق ماتلقته هذه البلدان الأربعة مجتمعة من قروض ومساعدات بصفة عامة . علما بأن ديون هذه الدول تتضمن الفوائد المتراكمة عليها ، وهو مايعنى أن ماحصلت عليه من قروض هو أقل بكثير ، فعدد سكان هذه الدول يوازى ٥ر٦٢ ضعف عدد سكان إسرائيل المدللة.

ويحق للباحث أن يقول فى خاتمة كتابه **أن قصة المساعدات الخارجية لإسرائيل هى قصة صناعة دولة** ، فهذه المساعدات إضافة إلى ماتلقته العصابات الصهيونية قبل ١٩٤٨ والاستثمارات الخارجية المباشرة وغير المباشرة فى الاقتصاد الإسرائيلى وهى بدورها طائلة ولاتدخل فى حساب هذه المساعدات تساوى ٨ر٩١٪ من مجمل الانفاق الإسرائيلى الحكومى فى الفترة مابين ١٩٥٠ - ١٩٩٤.

ويتوقع الباحث تدفق المزيد من المساعدات على إسرائيل وخاصة فى ميدان **الاستثمارات المباشرة** بالتكنولوجيا المتقدمة والتى تستهدف تحويلها إلى **المركز الصناعى الرئيسى والمهيمن فى المنطقة** ، وهو أمر مرتبط بانفتاح إسرائيل على الأسواق العربية مع تراجع المقاطعة ، ومرتبط أيضا بحقيقة أن إسرائيل مجتمع منظم ومتقدم وحديث.

ويدعو الباحث الحكومات العربية التى كانت قد غرقت فى الشعارات والخطابة طيلة خمسين عاما إلى ضرورة **الحفاظ على المقاطعة العربية وإحكامها مهما كانت الضغوط الأمريكية والغربية وذلك لإبقاء إسرائيل مجرد ذيل إستعمارى يتلقى المساعدات المباشرة إذ لابد من إغلاق الباب أمام إمكانية تحولها إلى القوة الاقتصادية المهيمنة فى المنطقة العربية بالاستفادة من موارد المنطقة وعلى حساب العرب الذين اغتصبت أراضيهم.**

وتكمن أهمية هذا الكتاب فى كشفه بصورة واقعية وإحصائية عن حقيقة أن إسرائيل كيان مفتعل وأداة للاستعمار وليست كما تصورها الأسطورة نتاج عبقرية اليهود . وقد كشف المنهج المقارن الذى استخدمه الباحث فى أحد فصول كتابه عن أن هناك تراتبية حتى فى علاقات التبعية إذ تحظى إسرائيل فى ارتباطها بالمنظومة الرأسمالية الامبريالية بمكانة خاصة جدا تضعها فوق جميع الدول الأخرى التى تدور فى الفلك الأمريكى ،،وهى الحقيقة الاستراتيجية التى لابد أن يضعها العرب فى الاعتبار وهم يديرون صراعهم مع العدو الصهيونى.

ولكن الباحث لاينتقد بحزم ووضوح كافيين روابط التبعية التى تشد غالبية بلدان الوطن العربى إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتى هى الآن خصم وحكم فى آن واحد فى صراعنا مع إسرائيل .





الفلاحون والقرية المصرية بين المعركة الساخنة حول مشروع شروق

وبين «غروب» التنمية الحقيقية للريف

الفقر والجهل والمرض.. المثلث الأسود الذى يجتاح الريف.

* نسبة الفقر فى القرية المصرية، أكثر من ٥٠٪.

*ملايين المرضى من الفلاحين، دون امكانات العلاج.

* أكثر من ٦٠٪ من أطفال الريف، أميون.

قامت الدنيا ولم تقعد بعد- منذ بدايات هذا العام -فى العديد من المؤسسات البرلمانية والتنفيذية والاعلامية، وبشكل خاص فى لجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب ووزارة التنمية الريفية ومحافظة الغربية وصفحات أخبار اليوم.

وكان المفجر لهذه الضجة الكبيرة، هو طلب الاحاطة الذى تقدم به **د. فيصل الشرقاوى** عضو مجلس الشعب حول ما ارتآه من مخالفات مالية وإدارية تحيط بمشروع «**شروق**» للتنمية الريفية وما أعلنه من أنه يستند بشأنها إلى تقرير الجهاز المركزى للمحاسبات عن هذا المشروع.

وقرأنا وسمعنا -منذ تقديم طلب الاحاطة هذا وحتى اليوم- الكثير من الرؤى المتناقضة:

* «بصراحة ،نحن أمام نموذج للتسيب وإهدار المال العام.. ولابد من وقفة رادعة لوقف الفساد الذى استشرى فى قطاع الإدارة المحلية».

-د. فيصل الشرقاوى (مقدم طلب الاحاطة).

* «كل المستندات تؤكد شفافية المشروع .. الذى يعد نقله حضارية ويقوم بعدة أنشطة تنموية».

-د. أحمد عبد الغفار (محافظ الغربية)

* «لا أحد فوق القانون.. لقد تأكدت من صحة ما نشر عن هذا المجلس العائلى وأصدرت قرارا باستبعاد أشقاء المشرف على مشروع شروق».

-د. محمود شريف (وزير التنمية الريفية).

*قرار **د. محمود شريف**- بعد تفجير القضية وكشف المستور - قرار عفوى وانفعالى ويعطينا انطباعا أن هناك علامات استفهام كثيرة حول هذا المشروع .. وأين كان الوزير طوال هذا الوقت؟».

- عبد الفتاح الدالى (رئيس لجنة الادارة المحلية بمجلس الشعب).

*لماذا تم سحب طلب الاحاطة -حول المجلس العائلى لمشروع شروق.. والمخالفات التى تسبب فيها بالملايين-من لجنة الادارة المحلية إلى لجنة الزراعة بمجلس الشعب؟.

جريدة أخبار اليوم(٢١ /٢/١٩٩٨).

* من الواجب تنحية القاضى الذى ثبت عدم حياده -وهو مسئول الجهاز المركزى للمحاسبات- الذى نشر ملاحظاته فى الصحف قبل مناقشتها وتصويبها».

-عبد الحميد غازى (عضو مجلس الشعب).

* أنا ماليش دعوة بشروق!!

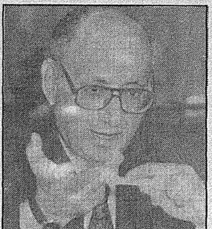
-فتحى سرور (رئيس مجلس الشعب).

ومن المهم أن نؤكد أننا فى اليسار- المجلة والتوجه السياسى- لسنا طرفا فى هذه المعركة القائمة حول المشروع، بل إننا نأمل أن يكون إحدى الوسائل لخير القرية والفلاح ،كما جاء بكلمة خالد محيى الدين- رئيس حزب التجمع وهيئته البرلمانية -فى سياق رده على بيان الحكومة هذا العام.

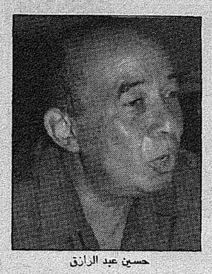
وما كنا سنتطرق لهذا الموضوع، إلا لأن مشروع «شروق» قد أصبح -أيا كانت الرؤى المختلفة حوله- مجالا ومسارا رئيسيا لتنمية الريف، بما يوجب علينا- كشركاء فى هذا الوطن الذى ندرك أن عمقه الحقيقى (بشرا وانتاجا) هو فى ريفه- أن نولى هذه القضية الاهتمام اللازم من منطلق الحرص على قيام تنمية حقيقية للقرية المصرية وللفلاح المصرى كقضية مجتمعية شديدة الأهمية والتأثير بالنسبة لحاضر مصر ومستقبل أبنائها.

وإذا كانت لجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب برئاسة المهندس **أبو بكر الباسل** -والتى أحيل إليها أمر البت فيما أثير حول المشروع- قد أجلت قرارها بهذا الشأن لمدة

عريان نصيف


د. محمود شريف

الفقر والجهل والمرض
يجتاح الريف المصرى
*** أكثر من ٥٠٪ تحت خط الفقر**
*** ملايين المرضى دون علاج**
*** أكثر من ٦٠٪ من الاطفال أميون**


حسين عبد الرازق

شهرين لحين إتمام بعض إجراءات الفحص اللازمة لاتضاح الرؤية الموضوعية للقضية، فإننا- ومن فوق أرضية المصلحة العامة وحدها، وبعيدا عن هذه المعركة وتفاصيلها وما ستفسر عنه-نأمل فى أمرين:

الأول: وهو خاص بمشروع شروق فى إطاره العام كأحد المشروعات الاجتماعية الرئيسية فى مصر فى هذه المرحلة.

فمن تناثر أوجه الهجوم والدفاع حول هذا المشروع- خلال الأربعة شهورالأخيرة- تأكدت حقيقة موضوعية ،وهى **أن هنالك حالة من «الضبابية» تحيط بهذا المشروع وتحجب الرؤية الواضحة والمحددة له، ويمكن إيجازه فى الأسئلة التالية :**

١-هل من الممكن اعتبار **مشروع شروق** ،أحد المشروعات المدنية الأهلية الخاضعة لاشراف وزارة التنمية الريفية، أم هو مشروع حكومى إن لم يكن المشـــروع الحكومى الأساسى- لوزارة التنمية الريفية؟.

٢- هل «شروق» -كما جاء فى تقرير **مؤسسة فورد** بعنوان (**استراتيجيات الفقر وتخفيف حدته فى مصر**) الصادر عام ١٩٩٧ - يعد نتاجا للمساعدات التى قدمتها-على مدى سنوات طويلة -الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية».أم أن هذا المشروع قائم- أساسا- من خلال الانفاق الحكومى، وأن نسبة الانفاق الخارجى-كما أكده. **محمود شريف** فى حواره مع الأستاذ **حسين عبد الرازق** رئيس تحرير **« اليسار »** فى الندوة التى عقدت بمعرض الكتاب هذا العام عن تنمية الريف- لا تتجاوز **٢٥ ٪** من جملة الانفاقات؟.

٣- هل يقع عبء تنفيذ توجهات هذا المشروع الكبير على عاتق وزارة التنمية الريفية وحدها؟ .. أم تتحمل وزارات أخرى مسئولية المشاركة الفعلية فى تنفيذه .. وما هى هذه الوزارات ؟ وما مدى ما قامت به فى هذا الشأن؟.

ونحن على ثقة من أن د. محمود شريف سوف يضع الاجابات الموضوعية والجادة والمحددة حول هذه التساؤلات التى تشغلنا -وتشغل الكثيرين من المهتمين حقا بقضية التنمية الريفية، والتى من خلالها يكون التقييم الموضوعى لهذا المشروع الهام بما يؤدى إلى علاج أى أوجه قصور أو سلبيات به، وبما يمكن أن يضعه- فعليا- كمشروع قومى للنهوض بالقرية والفلاح.

*** الثانى : وهو حول القضية الأساسية وهى تنمية القرية المصرية.**

فإننا ندعو كل القوى الوطنية الحريصة على تطوير المجتمع المصرى -من خلال التنمية الجادة للريف-أن تشارك معنا- بأسلوب الحوار والاختلاف والتكامل من أجل المصلحة العامة لريف مصر وفلاحيها-فى فتح ملف التنمية الريفية من خلال محورين :

- **الواقع الاجتماعى للفلاح المصرى اليوم.**
- **الوسائل الكفيلة بتطوير هذا الواقع.**

أولا- القرية والفلاح.. والتردى الاجتماعى.

لأن الهموم الاجتماعية تتزايد فى الريف المصرى -عمقا واتساعا- فسنكتفى في هذا الجزء من الموضوع بمحاولة الاحاطة بالأوضاع الخاصة بالتدهور الاقتصادى والصحى والتعليمى فى القرية المصرية

بعد قرن كامل .. كابوس الفقر والجهل والمرض

لعل كبار السن من القراء يذكرون أنه منذ مطلع القرن العشرين ،كانت مأساة الشعب المصرى- وخاصة الفلاحين -تكمن في المثلث الأسود ..**الفقر والجهل والمرض**. وكانت خطبة العرش- المسماة الآن **بيان الحكومة** -فى بداية كل دورة برلمانية ، لابد أن تتضمن الجملة التقليدية «**وستعمل حكومتى على القضاء على الفقر والجهل والمرض**».

وبطبيعة الحال لم تعمل «**حكومات جلالته**» على القضاء على هذه الأوضاع المتردية - باستثناء بعض التوجهات الاصلاحية فى عهد حكومات الوفد قصيرة العمر -لأن القضاء على هذه الأوضاع كان يفترض المساس بمصالح أغنياء البلد وكبار ملاكها وحكامها ،مما كان من المستحيل أن يحدث قبل **٢٣ يوليو ١٩٥٢** (حيث تمت بالفعل تغييرات كبيرة فى المجتمع المصرى وفى الريف بشكل خاص).

.. **واليوم -ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين -فلشديد الأسف نجد أن هذا المثلث الأسود يخيم على واقع الفلاح والقرية المصرية.**

ولن نلقى الكلام على عواهنه فى هذا الشأن، بقدر ما سنتعرض لهذه الأوضاع من خلال أرقام ودراسات العديد من المؤسسات المسئولة تنفيذيا وسياسيا وبحثيا.

الفقر ، يعم الريف المصرى

* نسبة الفقراء فى الريف المصرى ،**أكثر من نصف عدد السكان** ،على التفصيل التالى:

٢٦٫٩ ٪ من معتدلى الفقر.
١٦٫٢٪ من الفقراء.
١٫٧٪ ممن يعيشون فى حالة الفقر المدقع.
(تقرير التنمية البشرية -معهد التخطيط القومى -١٩٩٦).

*تجاوزت نسبة الفقر فى بعض المحافظات (كالمنيا) ،٧٠٪ وفق الدراسات البحثية والميدانية.

(مؤتمر الفقر وتدهور البيئة فى الريف المصرى- جامعة المنيا -أكتوبر ١٩٩٧)

* نسبة الاستثمارات الحكومية فى خمس محافظات بالصعيد ، لا تتجاوز -فى مجموعها -٨٪ من جملة الاستثمارات الحكومية.

(تقرير مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار-مجلس الوزراء -سبتمبر ١٩٩٤).

*ترتيب مصر- تصاعديا مع نسبة الفقر- رقم ١٠٩ (من ١٢٢ دولة) ، ويتزايد معدل الفقر فى الريف أكثر منه فى المدن المصرية.

تقرير للبنك الدولى- ١٩٩٥).

*دخل الفرد فى الريف انخفض بنسبة ٣٢٪ ،كما انخفض الانفاق الحقيقى للأسرة الريفية بنسبة ٢٥٪.

(دراسة د. نادر فرجانى -مجلة روزاليوسف -أغسطس١٩٩٧).

*عدد العاطلين فى الريف وصل إلى حوالى ٢٫٥ مليون مواطن ، بينما أجر العامل الزراعى النقدى حوالى١٢٢٤ جنيهاً فى العام وأجره الحقيقى لا يزيد عن٣٠٢ جنيه سنويا.

(دراسة الوضع الحالى والتصور المستقبلى للعمالة- وزارة الزراعة -١٩٨٨ / دراسات مؤتمر الاستخدام فى مصر ١٩٨٨ / تقارير المنظمة العربية للعمل/ بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء).

وبطبيعة الحال فإن نسبة الفقر والبطالة فى الريف ، سوف تتصاعد-فى السنوات القليلة المقبلة- بمعدل كبير وسريع أيضا، نتيجة تطبيق القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ الخاص بالايجارات الزراعية ، والذى سيترتب على نفاذه.

* إما طرد المستأجرين وأسرهم من الأرض- مورد دخلهم ومجال عملهم الوحيد -وبالتالى ارتفاع نسبة البطالة.

* أو استمرار عقود الايجار ولكن بصورة اذعانية شديدة الاستغلال ، تصل فيها القيمة الايجارية إلى معدلات مرتفعة تزيد كثيرا من نسبة الفقر بين الفلاحين، وخاصة مع التزايد الكبير والمتوالى فى أسعار مستلزمات الانتاج.

الفلاحون .. بين المرض والتلوث وانعدام الرعاية الصحية

*سجلت الاحصاءات أن أطفال الريف يعانون كثيرا نتيجة سوء التغذية ،حيث تبلغ نسبة الاصابة بمرض نقص كرات الدم الحمراء(الانيميا)٥٥٪منهم ،كما تصل نسبة المصابين بالأمراض الناتجة عن نقص السعرات الحرارية والبروتين ٤٠٪».

(من تقرير للجنة الخدمات بمجلس الشورى-٩٣/١٩٩٤).



د. فتحى سرور

.. ماليش دعوة بشروق

* فى مصر أكثر من مليونين و ٣٥٠ ألف مواطن-أغلبهم من الريف- يعانون من مرض البلهارسيا الذى يفقد القدرة البشرية على العطاء بنسبة ٩٠٪على الأقل .. بالاضافة إلى امتداد هذا المرض إلى الأطفال بما يخفض من ذكائهم بنسبة لا تقل عن ٣٠٪ ».

(من تحقيق صحفى بجريدة الأهرام -٩ مارس١٩٩٥)

* من خلال جولة بقرى مصر، وجدنا ٢١٩٥ وحدة صحية ريفية ولكن أغلبها آيل للسقوط ولا تقدم أى علاج».

(جريدة التعاون-١٤/٢/١٩٩٥).

* ارتفاع معدلات الإصابة بأمراض الفشل الكلوى والالتهاب الكبدى الوبائى والتيفود ، ووفيات الأطفال الرضع ،نتيجة القاء١٥ مليار متر مكعب من مياه الصرف الصحى والصناعى ونفايات الوحدات النهرية القائمة ، فى مياه النيل سنويا وامتدادها فى الترع والقنوات».

(من بيانات الخطة القومية للعمل البيئى -١٩٩٧).

* مع التسليم بالأرقام الحكومية وأنها أنجزت ٤٣٪ من خطة الدولة لتنفيذ مشروعات مياه الشرب والصرف الصحى ، فمتى ستنجز٥٧٪من هذه الخطة ، حتى لا ندخل القرن الحادى والعشرين وأغلب قرى مصر بلا صرف صحى وتشرب من الترع أخطر الأمراض مع المياه؟.

(من مناقشات مجلس الشعب-١٩٩٧).

الأمية.. تسود الريفيين كبارا وصغاراً.

* «أما الحالة التعليمية فى ذلك الواقع الأليم للقرية المصرية، فنسبة الأمية فى المناطق الريفية تصل إلى نحو ٦١٫٣٪ وهو ما يعتبر العائق الرئيسى فى عملية تنمية المجتمع ككل».

(من دراسة لمجلس الشورى -١٩٩٤).

* مشكلة التسرب من التعليم فى الريف ، تبلغ حدا كبيرا - نظرا للحالة الاقتصادية واستعانة الآباء، بأولادهم وبناتهم فى العمل.كما أن هذه النسبة من الأمية تشكل فيها أمية الاناث الجزء الأكبر (٧٦٫٤٪) وهى نسبة ساحقة بالنسبة لأمهات الريف وهن النبع الأساسى لثقافة الطفل».

(الأهرام الاقتصادى-٢٤/١٠/١٩٩٤).

* أصبح عدد الأميين ١٠ مليون، ٤٠٧ ألف ، ٧٧٣ مواطناً .. وتصل نسبة التسرب فى مراحل التعليم الابتدائى حوالى ٣٠٠ ألف طفل سنويا فضلا عن ١٠٠ ألف طفل لا يتقدمون للمدرسة كل عام».

(من تقرير الخطة القومية لمحو الأمية فى مصر ٩٠-١٩٩٩).

* ٤٤٪ من العاملين فى مصر من الأميين، أكثر من٨٥٪ منهم يقيمون فى الريف »

(من تقارير التنمية البشرية- الأمم المتحدة-١٩٩٥).

* رغم مرور الجزء الكبير من العقد القومى لمحو الأمية ، فإن عدد الأميين قد قفز إلى أكثر من نصف عدد سكان مصر بنسبة٥٢٪، غالبيتهم من أبناء الريف».

(من أوراق عمل الندوة القومية للمركز الاقليمى لتعليم الكبار ١٩٩٥).

*تتراوح نسبة الأمية بين الاناث فى الريف المصرى- وخاصة بالصعيد-ما بين ٧٧-٩٣٪

(ناهد رمزى -المستشار بالمركز القومى للبحوث- جريدة الشعب)

*نسبة الأمية فى أطفال الريف، تصل إلى ٦٠٪ ،والقصور فى استيعاب الأطفال الريفيين الذين يبلغون سن التعليم الالزامى ، يبلغ نحو ربع مليون طفل سنويا .

(دراسة الفولكلور وثقافة الطفل- لعى المطيعى -١٩٦٦).

هذا قليل -من كثير- مما تعانيه القرية المصرية .. العمق الحقيقى للوطن، والفلاح المصرى .. صانع حضارة مصر ومنتج خيراتها.

الجزء الثانى.. العدد القادم
المرأة ،العمالة، الاسكان، المواصلات، الثقافة.. فى الريف المصرى .. تحت الصفر!!.

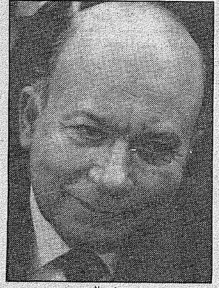


قبل أن «نصعد» إلى الهاوية

أعيدوا الأرض لمستأجريها

ربما يظن البعض أن الوقت قد فات بعد أكتوبر ١٩٩٧ ، للعودة لإثارة موضوع العلاقة الإيجارية فى الأرض الزراعية، خاصة أن القانون ٩٦ **لسنة ١٩٩٢**،قد حدد هذا التاريخ، موعدا لتنفيذ المادة القاتلة فيه والتى تعطى المالك بإرادته المنفردة حق طرد الفلاح من الأرض.. بدون إبداء أية أسباب.

لكن الحقيقة أن هذا التاريخ أكتوبر ١٩٩٧ ، هو بداية الكارثة فى القرية المصرية بسبب الاختلال الكبير الذى أحدثه فى العلاقة بين المالك والمستأجر، ولسوف تبقى النار تحت الرماد حتى تستعيد العلاقة توازنها.


د. يوسف والى

واليوم الجمعه **٢٠ مارس ١٩٩٨** ، أى بعد مرور أكثر من ٥ شهور على تنفيذ القانون ، نقرأ فى جريدة الشعب عن بيان لمركز الأرض، عن مصرع فلاح والقبض على ١٧ آخرين .. ويقول البيان «لقى **أحمد محمد عبده**- ٣٥ سنة- من قرية أبو حسين مركز كفر صقر شرقية ، مصرعه إثر إطلاق قوات الشرطة النار على القرية فى أثناء حصارها لتنفيذ حكم لصالح أحد أصحاب الأراضى،كما ألقى القبض على ١٧ آخرين ،كذلك تم القبض على ٤ سيدات».

هذا نموذج من عشرات النماذج للحملات الشرسة التى قامت بها وسوف تقوم بها كثيرا الأجهزة الأمنية والتنفيذية لصالح ملاك الأرض،القتل بالذخيرة الحية ،حصار القرى.. إلقاء القبض على الفلاحين ومن والاهم .. التحفظ عليهم فى الأقسام والمراكز واستعمال التهديد والعنف حتى يقروا بتنازلهم عن الأرض.. إلقاء الخوف والرعب فى قلوبهم هم وأسرهم وترويعهم حتى لا يعترضوا على القانون الظالم.. الإلقاء بهم فى السجون والمعتقلات هم والمتضامنين معهم من المناضلين والوطنيين الشرفاء .. ومعاملتهم مثل الارهابيين ..كيل الاتهامات الباطلة ضدهم بإثارة الفتنة وتهديد أمن الدولة.. إلخ.. إلخ.. إلخ.

هذا هو حال حكومة اليوم ، الكيل بمكيالين ، (وهو ما نأخذ عليه أمريكا فى كيلها لإسرائيل والعرب).. **إذا تعلق الأمر بالفئات الشعبية الكادحة ، فلا وزن ولا كيل لهم عند الحكومة.. تسحب الحكومة مسئوليتها تجاههم.. وتسلب منهم الحق فى الحياة الكريمة هم وأسرهم**.. مثلما تفعل بالعمال سواعد الوطن .. تلغى كل القوانين التى تحميهم من الاستغلال ومن البطالة ومن العيش البسيط.. . وعلى الجانب الآخر تلقى بكل ثقلها هى وأجهزتها الأمنية والتنفيذية فى كفة أصحاب الأعمال والمستثمرين مصريين وعرب وأجانب.

وأيضا فى مسألة الأرض الزراعية والتى هى مسألة وطنية بالدرجة الأولى، تصدر القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢، الذى يعطى المالك بإرادته، حق طرد الفلاح المستأجر من أرضه .. هكذا بدون إبداء أية أسباب.. **ويشرد من جراء هذا القانون مليون فلاح يعولون مليون أسرة ريفية لا يقل تعدادها عن ٥ مليون نسمة**.. أية قسوة تحملها هذه الحكومة للبسطاء، وأية غلظة فى قلبها تدخرها لهم..

د. على مجاهد

واقع المشكلة

١- الواقع يقول إن جملة المساحات المؤجرة بالنقد هى١٣٣ر١٫٤٦٩ر١ فدانا تمثل تقريبا ربع المساحة المنزرعة.

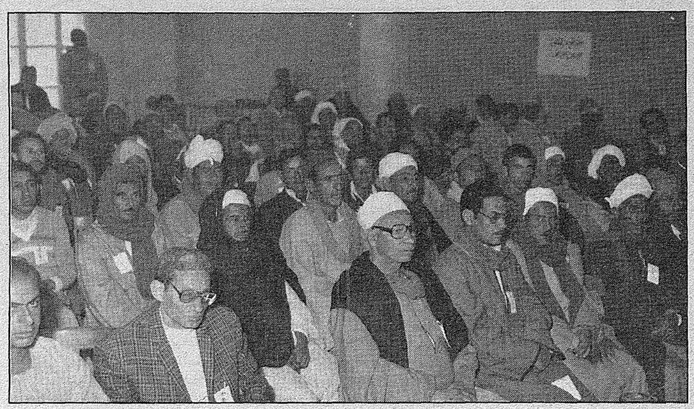
٢- هناك أكثر من مليون مستأجر يعولون ما لا يقل عن ٥ مليون نسمة ، وهؤلاء المستأجرون لا يجيدون فى حياتهم سوى حرفة الزراعة.

٣- الملاك على الجانب الآخر يشكون من ضآلة القيمة الايجارية ،ومن عدم تمكنهم فعليا من التصرف فى أراضيهم بالبيع بسعر السوق بسبب قوانين الأرض السابقة.

إذن كان الاصلاح المطلوب المتوازن هو:

١- رفع شكوى الملاك بزيادة القيمة الايجارية للأرض دوريا ، على ضوء الزيادة الفعلية فى صافى العائد الزراعى.

٢- إنشاء صندوق لاقراض المستأجرين لشراء الأرض من الملاك الراغبين فى البيع



بسعر السوق ،مع تقسيط القرض بسعر فائدة منخفض وعلى آجال طويلة.

٣- استمرار العلاقة الايجارية وعدم طرد المستأجرين ما داموا يؤدون التزاماتهم القانونية.

الالتزامات القانونية التى توجب طرد المستأجر:

سواء كان المستأجر فى الأرض أو فى المساكن القديمة السابقة على القوانين الجديدة التى تطلق حرية التعاقد فى الإسكان يجب أن يقتصر الطرد على الحالات المعروفة الآتية:

١- تأجير الأرض أو المسكن من الباطن.

٢- تبوير الأرض أو تجريفها أو عدم زراعتها.. وكذلك الأمر بالنسبة للمسكن يكون الطرد بسبب الإتلاف أو سوء الاستعمال.

٣- التخلف عن الوفاء بالأجرة كلها أو بعضها.

وكل هذه الحالات لا يتم الطرد فيها إلا بعد حصول المالك على حكم قضائى نهائى..

مناورات الحكومة

لم تقتصر الحكومة لتنفيذ قانون الطرد على أساليب القمع والحملات الأمنية ضد الفلاحين فحسب، بل لجأت أيضا إلى أساليب الخداع والتمويه وكسب الوقت.

١- إدّعت أنها سوف تقدم للمستأجرين قروضا من بنك الإئتمان الزراعى لشراء الأرض من الملاك الراغبين فى بيعها.

٢- ادعت أيضا أنها سوف تمنح المستأجرين المتضررين من القانون أراض بديلة صالحة للزراعة.

٣- ادعت تكوين لجان للتوفيق والمصالحات بين الملاك والمستأجرين.

وقد أكد الواقع أن الحكومة لم تف بأى وعلى من هذه الوعود

مخاطر تنفيذ قانون طرد المستأجرين الأرض:

١- القذف بملايين المستأجرين وأسرهم (**أكثر من ٦ مليون نسمة**) إلى مصير مجهول، وإلحاقهم بجيش البطالة مع ما يصاحب ذلك من جرائم أمنية واجتماعية.

٢- تدهور الانتاج الزراعى واتساع الفجوة الغذائية.

٣- إهدار الأرض الزراعية.

٤- تهديد الاستقرار والتنمية الريفية.

الحكومة تتخلى عن مسئولياتها تجاه الفئات الشعبية.. فلا وزن .. ولا كيل لهم عندها!

٥- تجميع الأراضى لتئول إلى الشركات الاستثمارية التى سوف تتجه إلى المحاصيل التصديرية ذات الربحية الأعلى.

٦- ارتفاع أسعار المحاصيل الغذائية.

٧- تردى الأوضاع بالنسبة للصناعات القائمة على الزراعة مثل صناعة السكر والغزل والنسيج.

٨- تدهور الأوضاع الأمنية وازدياد التوتر الاجتماعى بين الملاك والمستأجرين.

كلمة أخيرة

نحن لا نتوقع من أية حكومة أن تكون على الحياد بين فئات وطبقات المجتمع.. هذا مستحيل..**ولكننا نطلب من الحكومة أن تراعى بقدر الإمكان ظروف كل الفئات وكل الطبقات** خاصة أننا نواجه عدوا عنصريا شرسا هو العدو الأمريكى الإسرائيلى.. إذ يجب أن يكون الصراع ضده له الأولية على كل التناقضات الداخلية.. إننا مقبلون على الصدام مع العدو الأمريكى أردنا أم لم نرد.. كذلك نحن مقبلون على معركة حربية مع إسرائيل شئنا أم أبينا.. هذا هو قانون تضاد المصالح بين الشعوب وبين المستعمرين كذلك لابد من العمل الدؤوب لصيانة جبهتنا الداخلية قوية متحدة ملتحمة.. لا تترك ثغرة للعدو المتربص بنا لينفذ إلينا منها.. **لابد من مراعاة جانب القضية الوطنية فى كل ما نصدر من قوانين وتشريعات.**



الأقباط .. والكونجرس الأمريكى

" الحماية " .. و " العقاب "

لم تزل تداعيات استصدار **قانون خاص بالحريات الدينية** عن الكونجرس الأمريكى تتفاعل ، خاصة بعد أن حصل مشروع القانون على موافقة لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس مقدمة لعرضه للتصويت من قبل أعضاء الكونجرس . وكنا قد حاولنا من خلال مقال سابق لنا(**الأقباط والأسد الأمريكى الأصولى** - الذى نشر بمجلة **اليسار** فى شهر فبراير الماضى) أن نحيط القارئ الكريم علما بكل أبعاد هذا الموضوع : بدايته ، محركوه ، مساره ، الأدبيات التى صدرت حوله . وقد كان لمجلة اليسار سبق تناول الموضوع بشكل شامل خدم كثيرين تناولوا الموضوع بعد ذلك خاصة مع مفاجئة - فى تصور غير صحيح لكثيرين - اقراره فى لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس فى شهر مارس الماضى .

وعقب ذلك بدأت حملة اعلامية مصرية عكست ثلاث سمات. أولا النقص الشديد فى المعلومات ، ثانيا التحرك المتأخر ، ثالثا المعالجة الخطأ .

فبالنسبة لنقص المعلومات فلقد تجلى فى الخلط بين الأسماء ، وعدم فهم طبيعة الصراع داخل المجتمع الأمريكى ، والذهنية الغربية الحالية ، ومتابعة مسار الحملة ومن هم الفاعلون الأساسيون فيها . وبالطبع كان التحرك متأخرا وفى إطار رد الفعل كما لو كان الفعل الأمريكى مفاجئا وليس ثمرة لتحرك طويل ممتد على مدى السنوات الثلاث السابقة شاركت فيه أطراف فاعلة ثلاثة: **اللوبى اليهودى ، والهيئات المسيحية الأصولية ، واليمين الأمريكى. وعليه جاءت المعالجة الخطأ حيث تركز الأمر على الهجوم على أقباط المهجر كما لو كانوا هم الفاعلون الرئيسيون فى هذا الأمر وليسوا فاعلا ثانويا وكما لو كانوا كتلة واحدة لاتوجد تنويعات فى داخلها .**

ولاشك أن الحملة الاعلامية تعكس قدرا من الارتباك بسبب عدم المتابعة الدقيقة وأخذ الأمر مأخذ الجد ، وعدم الاستهانة بالتدخل الخارجى فى إطار المتغيرات العالمية **التى تبيح كل شئ فى ظل الهيمنة الأمريكية** . وقد بلغت الاستهانة بأن هذا الموضوع يمكن أن يحتوى فى أى وقت أو أنه بمجرد ظهور بعض رجال الأعمال من الأقباط(وهم يمارسون الرياضة فى صالة جمنزيوم) وقولهم بأنه لايوجد اضطهاد للأقباط سوف ينتهى كل شئ .

فى مقالنا هذا الشهر سوف نحاول أن نمد القارئ الكريم بالمستجدات حول هذا الموضوع لعلها تفيد فى إطار المواجهة اللازمة والعاجلة لدرء الأخطار التى ستترتب فى حال إقرار القانون . وسوف نتعرض بداية لعمليات التشريع فى الكونجرس الأمريكى ثم نقرأ أحدث التقارير التى صدرت حول موضوع الاضطهاد الدينى ونوجز نصوص القانون المقترح وأخيرا نحاول أن نضع تصورا لاستراتيجية مصرية وطنية للمواجهة .

(١)
عملية التشريع فى الكونجرس الأمريكى

تعرف الجهة التشريعية فى الولايات المتحدة الأمريكية أربعة أنواع من التشريعات ، تسمى مشروعات القوانين والقرارات ، وذلك كما يلى :

(أ) مشروعات القوانين THE BILLS

(ب) مشروعات القرارات المشتركة THE JOINT RESOLUTIONS

(ج) مشروعات القرارات المتفق عليها من أكثر من جهة THE CONCURRENT RESOLUTIONS.

(د) مشروعات القرارات البسيطة THE SIMPLE RESOLUTIONS.

ويقع مشروع القانون الخاص" بالتحرر من الاضطهاد الدينى" تحت النوع الأول من التشريعات ويسمى:

THE BILL OF FREEDOM FROM RELIGIOUS PERSECUTION.

ويعد القانون الذى نحن بصدده **"هو مشروع بقانون"** ، حيث تتسم اجراءات التقدم بهذا النوع من المشروعات بالبساطة ، حيث يستطيع أى نائب بمفرده التقدم بمشروع قانون دون الحاجة إلى توقيع عدد معين من الأعضاء أو صياغة معينة حتى تجاز مناقشته كما أعطى الدستور الرئيس الأمريكى أو أحد أعضاء حكومته أو أى مسئول بها التقدم بمشروع قانون أو قرار إلى الكونجرس الأمريكى .

وهناك حرص شديد على مشاركة الأمريكيين فى سن التشريعات المختلفة وذلك إما بالاتصال المباشر بالمعنيين سواء أفراد أو كيانات مدنية أو دينية أو جهات تنفيذية وحكومية ، وذلك بارسال نسخ من المشروع المقترح اليهم.

ثم تقوم هذه الجهات بارسال كل مايعن لها من ملاحظات فى هيئة تقارير ترفق بالقانون وذلك لبحثها ومناقشة ماجاء فيها فى اللجان المعنية بالكونجرس.

ويعطى القانون الحق لهذه اللجان بعقد مايسمى " **جلسات استماع**" حيث يمكنها أن تدعو كل ماتراه له علاقة بموضوع القانون المقترح تشريعه . ويعقب جلسات الاستماع المتعددة جلسة للتصويت على مشروع القانون يحق للمواطنين حضورها مثل جلسات الاستماع . وتسفر أعمال اللجنة فى النهاية عن تقديم توصية إلى المجلس بقبول مشروع التشريع أو رفضه أو ادخال بعض التعديلات عليه .

وبعودة مشروع القانون إلى المجلس من إحدى لجانه ، يبدأ المجلس فى نظره والتصويت عليه ويلزم لاقراره موافقة غالبية الحاضرين ثم يقدم إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للتصديق عليه .(اعتمدنا فى هذا الجزء على الدراسة القيمة حول **آلية التشريع**

سمير مرقس

في الكونجرس الأمريكي التي أعدتها منى صالح عبد الرحمن - قضايا برلمانية، العدد ١٠، يناير ١٩٩٨).

ويعتبر مشروع قانون " **التحرر من الاضطهاد**" قد قطع مرحلة كبيرة في ماكينة التشريع الأمريكية . فلقد **قدمه العضوان الجمهوريان فرانك وولف وأرلين سبيكتر في شهر سبتمبر الماضي في أعقاب حملة شعبية - يهودية في الأساس- ضغطت على المؤسسات الأصولية المسيحية التي حشدت أعضاءها في الضغط على الإدارة الأمريكية فشكلت اللجان** التي أصدرت تقاريرها (راجع تفاصيل الحملة وسيرتها وأدبياتها في مقالنا الذي نشر في شهر فبراير الماضي) ، وأخيرا كان مشروع القانون الذي نوقش في لجنة العلاقات الدولية وتم الاستماع لكثير من الشهود ، بل وزار **سبيكتر** نفسه مصر في شهر يناير الماضي .

وأخيرا أقرته **لجنة العلاقات الدولية** وأوصت بعرضه للمناقشة في الكونجرس والتصويت عليه خلال الأسابيع القادمة . **وقد جاء قرار لجنة العلاقات الدولية بغالبية ٣١ صوتا ضد ٥ أصوات . وتجدر الإشارة أن مشروع القانون يحظى بتأييد أكثر من ٢٥٪ من أعضاء الكونجرس البالغ عددهم ٤٣٠ عضوا وذلك حتى الآن.**

(٢)
قراءة في تقريرين ونص القانون المقترح

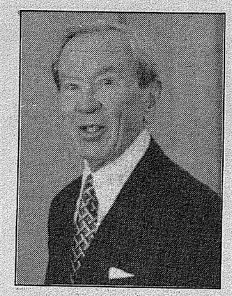
تقريران صدرا في شهر يناير الماضي هما مايلي:

الأول: تقرير اللجنة الإستشارية بوزارة الخارجية المختصة بمناقشة موضوع الاضطهاد الديني دوليا.

الثاني: التقرير الدوري (النص سنوي) لوزارة الخارجية الأمريكية عن ممارسات حقوق الانسان في دول العالم ومن ضمنها مصر.

* بالنسبة للتقرير الأول ، والصادر عن اللجنة الاستشارية التي شكلت في نوفمبر ١٩٩٦ من قبل **وارين كريستوفر** - آنذاك - وسميت لجنة الشريط الأزرق برئاسة **جون شالوك** وذلك لدراسة أوضاع وممارسات الحرية الدينية والاضطهاد الديني ومساندة الأقليات الدينية في العالم ولقد جاء تقريرها متضمنا مايلي:

*** دور الولايات المتحدة الأمريكية في إقرار ودعم قوانين حقوق الانسان في العالم وإلزام الحكومات بالحرية الدينية ومنع التمييز الديني.**



كريستوفر

*** إلقاء الضوء حول الأدوات الدولية التي من شأنها دعم الضمانات والحماية اللازمة للحرية الدينية.**

*** كذلك اهتم التقرير بتحديد ١٤ عنصرا فاعلا في قضية الاضطهاد الديني ، حيث رصد دورهم الحالي وأوصى بعدد من التوصيات المستقبلية الخاصة بكل عنصر ، وهذه العناصر هي مايلي:**

١) الرئيس الأمريكي
٢) وزارة الخارجية الأمريكية
٣) السفارات الأمريكية
٤) نظام التقارير
٥) مركز التدريب القومي للشئون الخارجية
٦) مساعدة اللاجئين.
٧) العدالة
٨) عملية السلام
٩) الدبلوماسية الموازية
١٠) برامج المساعدة الاقتصادية
١١) هيئة الاستعلامات.
١٢) النشاط التجاري.
١٣) الجماعات الدينية بأمريكا.
١٤) هيئة المعونة الأمريكية.

* أما التقرير الثاني ، وهو التقرير الصادر عن **وزارة الخارجية الأمريكية** حول أوضاع وممارسات حقوق الانسان في دول العالم ومن ضمنها مصر (وهو التقرير الذي اتفق على اصداره كل ٦ أشهر ، ويعد هذا التقرير هو الثالث من نوعه). **وحول مصر تناول التقرير مايلي:**

- مقدمة عامة حول مصر من حيث دستورها ونظامها السياسي ووضعها الاقتصادي وهيئاتها الأمنية المتنوعة . كما أشار إلى قانون الطوارئ وأثره.

- وانقسم التقرير إلى ستة أقسام:

١) احترام تكامل الحقوق الانسانية والتي تشمل التحرر من:

أ) الاغتيال السياسي.
ب) الاختفاء.
ج) التعذيب.
د) الاعتقال ، والتوقيف والنفي.
هـ) رفض إجراء محاكمات علنية عادلة.

٢) احترام الحريات المدنية وتضم:

أ) حرية التعبير والنشر
ب) حرية التنظيم السلمي وتكوين المؤسسات المدنية
ج) حرية المعتقد الديني.
د) حرية التنقل داخل البلاد وخارجها والهجرة منها والعودة إليها.

٣) احترام الحقوق السياسية
٤) الموقف الحكومي حيال التحقيق الدولي والغير حكومي.
٥) التمييز القائم على العرق ، والنوع ، والدين ، والاعاقة، واللغة ، والوضع الاجتماعي .
٦) حقوق العمال.

* أما مشروع قانون" **التحرر من الاضطهاد الديني**" فيتضمن الهدف العام ثم ١٣ قسما وذلك كما يلي:

* الهدف العام:

تأسيس مكتب لمراقبة الاضطهاد الديني ودعم التدخل **من خلال فرض عقوبات ضد الدول التي يمارس فيها الاضطهاد الديني ، وأمور أخرى.**

To Establish the office of Religious Persecution Monitoring and to provide for the imposition of sanctions against countries engaged in apattern of religious persection and for other purposes.

ويتناول القانون بعد ذلك مايلي:

القسم الثاني : الأساسيات التي يقوم عليها مشروع القانون من حيث مسئولية الحكومات في اقرار الحرية وأعمال المواثيق الدولية . كذلك التنويه عن واقع بعض الدول وممارسات بعض الأنظمة.

القسم الثالث: يضع بعض التحديدات لبعض المصطلحات ويقوم بتعريفها مثل: الجماعة المضطهدة ، الكيانات المسئولة..

إلخ.

القسم الرابع : ويتناول مجال تطبيق القانون

القسم الخامس : يتحدث عن تكوين المكتب ودوره ومسئوليات المدير الذى يعين من قبل رئيس الدولة.

القسم السادس: يتناول نظام تقارير متابعة الدول التى بها اضطهاد دينى فى ضوء تعريف محدد لمعنى الاضطهاد الدينى ، وتقسيم الدول إلى فئتين :

(١) فئة الدول التى بها اضطهاد دينى بدعم من الدولة.

ب) فئة الدول التى بها اضطهاد دينى دون دعم الدولة

القسم السابع: يحدد العقوبات التى ستوقع على الدول ويحددها فى خمسة أنواع:

(أ) حرمان من الصادرات الأمريكية.

(ب) حرمان من كل أنواع المساعدة الخارجية (يستثنى من ذلك المساعدات الانسانية)

(ج) وضع قيود على الاقتراض.

(د) عدم اعطاء تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية للأشخاص الضالعين فى عملية الاضطهاد الدينى.

(هـ) التصويت ضد عضوية منظمة التجارة العالمية.

كما تناول القانون فى أقسامه الباقية بعض الأمور الخاصة:

*بتنظيم حق اللجوء .

* تقارير حقوق الانسان وتدريب الجهات المعنية والأفراد على كيفية متابعة الاضطهاد الدينى وكتابة ذلك.

* إجراءات إنهاء العقوبات.

فى ضوء قراءة التقريرين المشار إليهما سابقا ونصوص مشروع القانون المقترح يمكن أن نرصد عددا من الملاحظات وذلك كما يلى:

١) قيمتان تحكمان هذه النصوص هما:" **الحماية" و" العقاب"** حماية فئة وعقاب فئة أخرى ، ويلاحظ كيف أن هاتين القيمتين متضادتين فى ذاتهما ، وفى نفس الوقت تحملا تجزئة المجتمع الواحد تجزئة رأسية بين مواطنيه.

(٢) اعطاء الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها الحق فى تقويم الدول وتصنيفها وعقابها بدون أية ضوابط أو معايير دولية حيث تحل محل الشرعية الدولية ، بل واعتبار حق التدخل حقا مكتسبا لانقاش فيه.

٣) تعكس النصوص التى تناولناها تكاملا فيما بينها تؤكده المفردات المستخدمة والذهنية التى تحكم هذه النصوص ، والبنية التى كتبت بها النصوص.

(٤) أن التعديلات التى طالت القانون غير جوهرية ولاتمس صلب القانون فعلى سبيل المثال أحد هذه التعديلات هو استبدال إطار عمل المسئول عن المكتب ، فبدلا من أن يعمل فى إطار البيت الأبيض ينتقل للعمل فى إطار وزارة الخارجية ولكن بنفس الفلسفة والأهداف والصلاحيات.

(٣)
نحو استراتيجية وطنية ذاتية

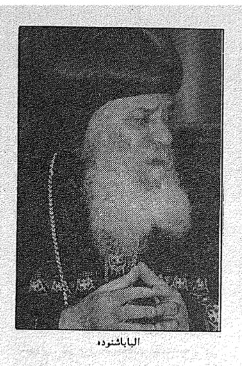
لاأحد يختلف على أن قيمة حقوق الانسان من القيم التى يجب أن يحرص عليها الجميع فى كل زمان ومكان ، وضرورة تفعيلها على أرض الواقع عمليا . ولكن القضية تتمثل فى اشكاليتين:

(١) أن تفرض القيمة ، مهما علا شأنها ، على المرء / الجماعة من قبل قوى خارجية دون أن تكون هدفا نسعى له من خلال قناعة ذاتية بأهمية تحققه.

٢) **أن يبدأ المفهوم يحل تدريجيا محل مفهوم المواطنة ، فبدلا من** أن يكون الحديث عن حقوق المواطنة لمواطنين أيا كان انتماؤهم السياسى أو الدينى أو الفكرى فى إطار الوطن الواحد ، يستبدل ذلك بالحديث عن حقوق الانسان لفئة أو جماعة فى مواجهة فئة أو جماعة مع الاخلال بالإطار الواحد الذى يجمع بينهما . وهو أمر ناقشناه كثيرا (**راجع مقال الأقباط بين مطرقة الطائفية وسندان الأقلية).**

إن الأمر يحتاج منا إلى قدر من الجدة والاهتمام ، فكثيرا ماحذرنا ومنذ **مؤتمر الأقليات فى عام ١٩٩٤** من خطر الاستهانة بالطروحات والمبادرات الأجنبية للتدخل فى شئون الوطن ، كذلك أهمية العمل على تجاوز الهموم الحياتية للأقباط.. **وأتصور أنه آن الأوان على أن يتعاون الجميع بشكل مبدع على وضع تصور ينبع منا يقطع الطريق على أى تدخل خارجى فى ظل متغيرات اقليمية ودولية تسهل من هذا الأمر.** وليس عيبا أن نأخذ بنفس الأساليب والأدوات التى يأخذ بها الغرب فى التعامل مع الأمور . لذا فأنى أجتهد فى طرح تصور.

١) الدعوة لحوار وطنى شامل تلتقى فيه كل الأطراف: الدولة والمجتمع ، المسلمون والأقباط ،.. لمناقشة الموضوع من جميع أبعاده ، يستمعون فيه لشهادات حية ، وتدرس كل المساهمات التى تناولت الموضوع وتبحث المستجدات التى طرأت عليه . ووضع



البابا شنوده

الملاحظات والتعليقات ومن ثم الوصول بين كل المشاركين على وضع حلول يرضاها الجميع كونهم أعضاء فى جماعة وطنية واحدة.

٢) **وضع الاجراءات العملية التى من شأنها أن تجعل من الحلول التى يتم الوصول إليها موضع التنفيذ.**

٣) **بدء حملة اعلامية واسعة ومدروسة تعنى بما يلى:**

(أ) اعلاء قيم المواطنة والمساواة نظريا على مستوى الفقه والفكر ، وعمليا على أرض الواقع.

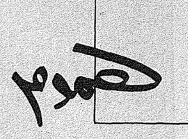
(ب) اعلاء من قيمة الآخر ، والاصرار على وجوده فى كل الكيانات والقنوات.

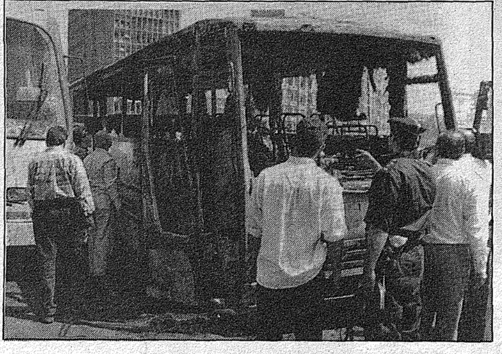
ج) انعاش الذاكرة الوطنية بالمواقف الايجابية التى كان لها دور كبير فى نهوض مصر . كذلك التأكيد على وحدة تاريخ مصر واستمراريته الحضارية عبر العصور.

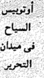
٤) محاولة فتح قنوات للحوار مع كل المتعاطفين مع القضايا الوطنية فى الغرب ، كذلك فهم خريطة الغرب والذهنية التى تحكم حركته.

٥) ايجاد مساحات للعمل مشتركة فى شتى المجالات.

إن الأمر يحتاج إلى تكاتف الجميع والتحرك السريع القائم على المعرفة والمواجهة الملائمة.






أوتوبيس السياح في ميدان التحرير

الإرهـاب ووسـائل الإعـلام

في الأزمة الأخيرة بين **الحكومة والصحافة** ، أغلقت جريدة **الدستور** بسبب صدور العدد الأخير وهو يحمل مانشتا يقول: **الجماعات الارهابية تهدد باغتيال أشهر وأهم ثلاثة رجال أعمال أقباط في مصر**.وفي اليوم التالي لتعطيل الدستور صدرت **روزاليوسف** وهي تحمل نفس البيان. وقبلها وبعد حادثة الاقصر فاضت صحفنا ومجلاتنا حكومة ومعارضة بصور الارهابيين المتأسلمين وبالأحاديث المطولة مع قياداتهم في الداخل والخارج، وبتحقيقات صحفية عن حركتهم وتاريخها، بل زاد الأمر بتكرار الدعوة للحوار معهم، وزادت الكثافة الاعلامية حولهم لدرجة أن قناة فضائية عربية وهي **قناة الجزيرة** بقطر نظمت لقاء حياً مع أحد القيادات الارهابية المتأسلمة المصرية والمقيم في لندن.

وأزعم هنا أنه رغم التشكك في مدى مصداقية بيان جماعات الارهاب المنشور في **الدستور وروزاليوسف** ، فإن أهداف الارهاب تحققت تماما من خلال الحملة الصحفية، ووصلت رسالة الارهاب للجميع. وأزعم أيضا أنه بتلك الضجة الاعلامية التي حدثت حول الارهابيين في جميع وسائل الاعلام عقب حادثة الأقصر تم تحقيق واستكمال جميع أهدافهم من الحادث، **لأن وسائل الاعلام تظل دائما قوة فعالة في المواجهة بين الحكومات وحركات الارهاب المتأسلم، فالاحتكام إلى الرأي العام، والتأثير عليه قد يعزز أفعال الحكومة لمواجهة الإرهاب، وأيضا قد يؤثر ويدعم أعمال الحركات الارهابية المتأسلمة**، التي تعتبر أن مدى نجاح تغطية وسائل الاعلام لجرائمهم هي مقياس هام لنجاح الفعل الارهابي نفسه، بل أن تلك التغطية الاعلامية تزودهم بمعلومات يمكن أن تساعدهم في تضليل قوات الأمن، وبالتالي تتعطل جهود محاصرتهم والقبض عليهم.

والحكومات تستعمل وسائل الاعلام لإثارة الرأي العام المحلي والعالمي ضد الحركات الارهابية. وتستثمر الحكومات أيضا الجهود الدبلوماسية بجانب وسائل الاعلام في تعبئة الرأي العام ضد الارهاب في الدول الأخرى للضغط على حكوماتهم لاتخاذ إجراءات ضده، فقد حاولت مصر بعد حادثة الأقصر التأثير على الرأي العام البريطاني للضغط على حكومته التي تشجع أيواء العناصر الارهابية المتأسلمة تحت مزاعم احترام حقوق الإنسان والحريات. وهنا نذكر بمقولة **مرجريت تاتشر** رئيسة الوزراء البريطانية السابقة التي وصفت عمليات الإعلام والاعلان والذيوع الذي تحدثه وسائل الاعلام حول الأفعال الارهابية، بأنها **الأكسجين اللازم للارهاب ولا يستطيع الاستغناء عنه**، بل أن الارهابي يعتبر وسائل الاعلام هي سلاحه الرئيسي وأنها تلعب دورا رئيسيا لصالحه عندما تغطي الحدث الإرهابي تغطية واسعة.

واعتمادا على تقرير **رافيل . ف .بيرل** وهو باحث متخصص في سياسات مواجهة الارهاب الدولي بمكتبة الكونجرس الأمريكي، وله بحث منشور في الانترنت في يوليو ١٩٩٧ ،تحت عنوان **«الارهاب والميديا في القرن الحادي والعشرين»** ، يمكن أن تثار عدة تساؤلات هي:

١- ماذا تريد حركات الإرهاب من وسائل الإعلام؟.

٢- ماذا تريد الحكومات من وسائل الإعلام عند تغطيتها الحدث الارهابي؟.

٣- ماذا تريد وسائل الاعلام عند تغطية الحدث الارهابي؟.

د. أحمد محمد صالح

وهنا يجب التأكيد على أن اختلاف رؤية كل من الحكومة، ووسائل الاعلام، والارهابيين حول وظيفة وأدوار ومسئوليات الاعلام عند تغطية أحداث الارهاب، يتولد عنه الكثير من التناقض والتنافس والتضارب أثناء تغطية الحدث الارهابي بين الجهات الثلاث المعنية، وتكون النتيجة غالبا مكاسب تكتيكية واستراتيجية يحصل عليها الارهاب، والتحدى الذى يواجه الحكومات والصحافة هو كيفية تفهم ديناميكية وجهات النظر الثلاث التى تعكسها الأسئلة السابقة.

١- ماذا تريد حركات الارهاب من وسائل الاعلام؟

فالارهابيون يريدون الشهرة، والاعلام، والاعلان المجانى عنهم الذى توفره لهم وسائل الاعلام عند تغطيتها لأحداث الارهاب، والذى لا تستطيعه تلك الجماعات أن توفره لافرادها وتتحمل تكاليفه المرتفعة. وهذه الشهرة التى توفرها لهم وسائل الاعلام، ويصبحون بعدها شخصيات معروفة، وصورهم وأحاديثهم منتشرة عبر العالم بمثابة اعتراف رسمى وإعلامى بوجودهم، ولا يستطيع أحد أن يتجاهلهم، وبعدها يصبح أى حديث عن عدم الحوار معهم ليس له معنى. **فالمقابلات الاعلامية الحية مع الارهابيين تعتبر جائزة ومكافأة لهم عن أفعالهم الاجرامية**، ففى مايو ١٩٩٧ أجرت محطةCNN مقابلة تلفزيونية حية مع الارهابى **محمد بن لادن** ،من خلال اللقاء معه وتصويره فى موقعه والكلام عن نشاطه وأهدافه، فهى قصة إعلامية حية ومثيرة جدا وتجذب ملايين المشاهدين، وهو ما يريده بالضبط **محمد بن لادن.**

فوسائل الاعلام عندما تجرى مقابلات حية وأحاديث صحفية مع الارهابيين ، تقدم لهم الفرصة لكى يتفهم الجمهور الأسباب والدوافع التى دفعتهم لذلك، فينشأ تفهم مادح لأسبابهم وليس لأفعالهم، فلا أحد يوافقهم على أعمالهم، لكن هذا لا يمنع أن يوجد من يتعاطف مع الدوافع والأسباب والمعاناة التى دفعتهم لذلك. ووسائل الاعلام توفر لعامة الناس الذين على استعداد للتجاوب مع أسباب ودوافع الارهابيين الفرص الكاملة للتعاطف معهم وتفهم أسبابهم، وهنا يظهر العنف والقتل الذى يمارسه الارهابيون مجرد حلقة فى سلسلة ردود الأفعال الممكنة ضد قوى الشر الجبارة التى دفعتهم للارهاب.

والارهابيون حريصون جدا أن يكونوا علاقات عامة جيدة مع وسائل الاعلام ، خاصة **الصحافة ووكالات الأنباء** ، فيحرصون على تزويد تلك الوكالات بأخبارهم وبياناتهم وأفكارهم . وهم أيضا حريصون على دس عملاء لهم فى مواقع الاتصال بالمؤسسات الصحفية ووكالات الأنباء، مثل عمال التليفونات أو موظفى التلكس والفاكس ، وغيره من المواقع الوظيفية المتحكمة فى مسار الأخبار ،**فواحد مثل محمد بن لادن يمول بالكامل الخط الساخن للأخبار الاسلامية فى الخليج.**

والارهابيون يريدون أيضا الشرعية ، ويطالبون وسائل الاعلام أن تعطى لجماعاتهم المسلحة الشرعية مثل بقية الأجنحة السياسية الأخرى فى المجتمع، ويتاح لهم التعبير عن وجهة نظرهم مثل بقية المنظمات غير الحكومية ومراكز الأبحاث الخاصة التى غالبا ما تعتبر غطاء للحركات الارهابية من خلالها يسهل جمع التبرعات أو تجنيد أعضاء جدد، وتسهيل السفر والتنقل بين البلاد المستهدفة.

إنهم يريدون أيضا من وسائل الاعلام أن تساعدهم فى تضخيم جرائمهم وتعظيم الأضرار التى أصابت المجتمع من الحوادث الارهابية من خلال **نشر التحقيقات الاعلامية عنهم كمجرمين عتاة يثيرون الرعب، فيزداد الخوف والذعر منهم وتتعاظم خسائر الاقتصاد خاصة فى قطاع السياحة**، ويفقد الناس الثقة فى حكوماتهم وقدرتها على حمايتهم من الارهابيين، إنهم يريدون أيضا أن تبالغ وسائل الاعلام فى وصف أفعالهم الارهابية حتى تبالغ الحكومة أيضا فى الخوف منهم، وتنتشر مشاعر الرعب منهم فى المجتمع.

٢- ماذا تريد الحكومات من وسائل الاعلام عند تغطيتها الحدث الارهابى؟

والحكومات تبحث دائما عن تفهم ، وتعاون ، وولاء وسائل الاعلام حول تحديد أضرار الارهاب على المجتمع، وأيضا فى تناولها للجهود الأمنية المبذولة لمحاصرة المسئولين عن الارهاب ،والحكومة تريد من وسائل الاعلام تقديرا لجهودها وبرنامجها ضد الارهاب ، فمن وجهة نظر الحكومات أنه يجب على وسائل الاعلام أن تدعم مجهودات وأفعال الحكومة وهي تحاصر وتقاوم الارهاب. وتهدف الحكومات أيضا إلى عزل الارهابيين عن وسائل الاعلام، ومنع نشر أفكارهم ومبرراتهم مع الاعلام والدعاية لبرنامجها فى مكافحة الارهاب على أمل محاصرته وهزيمته.

والحكومات تريد من وسائل الاعلام أن تقدم الارهابيين إلى المجتمع كمجرمين عتاة أعداء للبشر والمجتمع. والحكومات وهى تمنع عادة دخول وسائل الاعلام المنطقة الآنية للحدث، تأمل وتطلب من وسائل الاعلام أن تقدم بيانات ذكية لصالحها حين تسمح لها بالدخول. **والحكومات تريد من وسائل الاعلام المساعدة فى حصار التوتر الناشئ عن الحدث الارهابى، وليس المساهمة فى إحداث هذا التوتر ونشره، لأن المحافظة على هدوء المجتمع هدف سياسى هام لأى حكومة.**

وأثناء الحدث الارهابى وبعده تسعى الحكومات إلى منع وسائل الاعلام من توصيل أية معلومات للارهابيين تساعدهم على


جثة أحد مرتكبى جريمة الاقصر

متابعة تحركات الأمن، والهرب من منطقة الحدث. وتأمل الحكومات من وسائل الاعلام، خلال قصصها الاعلامية الحية والمثيرة الا تكشف عن خبايا العمليات الارهابية الناجحة أو المحبطة، حتى لا تستخدم تلك الأسرار فى نجاح إرهابى جديد. والحكومات تريد من وسائل الاعلام أن تكون حذره، ولا تنخدع من البيانات والفاكسات التى تصلها من المجموعات الارهابية، فهى عادة بيانات مدسوسة وغير دقيقة.

إنهم يريدون من وسائل الاعلام أيضا أن تظهر الحكومة ومؤسساتها بمنظر جيد، وهنا تحذر الحكومات مؤسساتها المختلفة من تسرب أى معلومات إلى وسائل الاعلام، خاصة من خلال هؤلاء الاعلاميين الذين يحصلون على معلومات مقابل تلميع وتجميل تلك المؤسسة أوهذه. وتسعى الحكومات الى تزويد وسائل الاعلام بأسباب جيدة للإرهاب ، تظهره كعمل فردى، وتعلم الناس بابعاد جريمته، خاصة اعلام هؤلاء المتوقع دخولهم كروافد جديدة لمجموعات الارهاب. **باختصار الحكومات تريد تعاون وسائل الاعلام خاصة فى حالات الارهاب المتطرف فى اجرامه حيث يتعرض الأمن القومى لمخاطر حقيقية، وهنا يجب على وسائل الاعلام التوعية بهذا الخطر الذى يهدد الأمن القومى.**

٣- ماذا تريد وسائل الاعلام عند تغطية الحدث الارهابى؟.

كل صحفى وإعلامى يحتاج الحرية فى تغطية القضايا بدون أى ضغط أو إعاقة من رئيس التحرير أو من الحكومة، ووسائل الاعلام يجب أن تكون أول من يعرف قصة الحدث الارهابى، فالأخبار القديمة لا تعتبر أخبارا ، فبث أو نشر الخبر فى وقته الحقيقى والفعلى يعتبر اليوم شيئاً ضرورياً فى المنافسة

الشديدة بين وسائل الاعلام.وهي تريد أن تجعل قصص الارهاب مثيرة وحية عن طريق المقابلات الحية مع القائمين بالحدث الارهابي.
والاعلاميون في معظم الأحيان يريدون أن يكونوا محترفين ومضبوطين وممارسين للدقة لكي لا يعطوا مصداقية للمعلومات المشوشة مهما كانت مثيرة ، إنهم يريدون حماية قانونية لحريتهم في نشر الحوادث الارهابية نفسها والا يكونوا هدفاً لها. وأثناء تغطية الحوادث الارهابية يريدون حماية حقوق المجتمع فيالمعروفة ، **أنهم يريدون أن يكون لهم دور بناء في مكافحة الحالات الارهابية بدون أن يخسروا هم أنفسهم القصة الخبرية حول الحدث الارهابي.**

هذا ويؤثر على وجهات النظر الثلاث السابقة عدة عوامل:

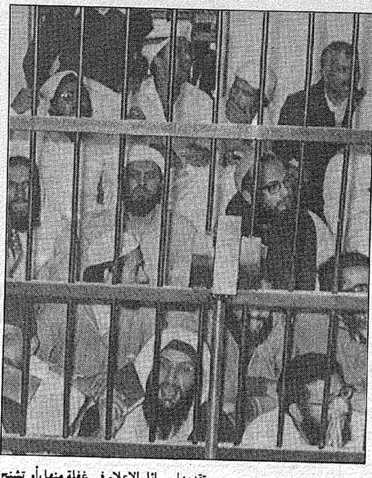
١- تزايد الاتجاه نحو سرية الحركات الارهابية ، والارهاب المجهول، حيث يحدث العنف والانفجارات والقتل، ولا أحد يدعي مسئوليته عن الحدث، وبذلك تعطى فرصة أكبر لوسائل الاعلام في التخمين، والتضخيم والمبالغة في طلبات وأهداف الارهابيين، فيتزايد الخوف والرعب منهم، وتزداد الأضرار الاقتصادية وخاصة في قطاع السياحة، وبالتالي تثار ردود فعل قوية من الحكومات إلى درجة تقييد حريات الافراد.

٢- تزايد العنف الارهابي أصبح حقيقة في عالم اليوم، لا يمكن أن تهمل، وهنا **تتحمل وسائل الاعلام خاصة الصحافة بعض المسئولية في تسهيل الارهاب وتضخيمه والمبالغة في تأثيراته، وكلما تزايدت المجتمعات المهددة بالارهاب تزايد عدم الثقة في وسائل الاعلام.**

٣- تزايد معدلات الهجوم الارهابي على الصحفيين والاعلاميين والمفكرين الذين تناولوا قضايا الارهاب بصراحة، **وأمامنا الجزائر والمكسيك وروسيا وشيشينيا ، ولندن ،ومصر، فهناك أكثر من ٣٠٠ صحفي قتلوا من ١٩٨٦ حتى الآن منهم ٥٤ صحفيا في عام ١٩٩٥ وحدها.**

معنى ذلك أن كلاً من الحكومات ووسائل الاعلام لدى كل منهما وجهة نظر مختلفة في كيفية التغطية والمعالجة الاعلامية للحدث الارهابي، ويحاول صانعو القرار التوازن بين متطلبات الحكومة في التغطية الاعلامية للحدث، **لذلك فإن الاتصال والتفاهم بين الحكومات ووسائل الاعلام، وتفهم كل منها لوجهة نظر الآخر، مهم للغاية، وهو الركيزة الأساسية في أي استراتيجية توضع لمكافحة الارهاب خاصة في المجتمعات الديمقراطية.**

فالارهاب والديمقراطية لا يجتمعان، فالمجرمون والمتطرفون الدينيون عندما يحكمون أي



محاكمة أم رسائل عبر وسائل الاعلام

مجتمع تموت فيه تماما الصحافة الحرة.

وهناك الكثير من الوسائل التي لجأت إليها دول كثيرة في العالم لضمان الاتصال والتفاهم بين الحكومات ووسائل الاعلام في استراتيجية واحدة لمقاومة الارهاب منها:

١- تدريبات مشتركة بين ممثلي الحكومة وممثلي الاعلام على كيفية التعامل مع الحوادث الارهابية اعلاميا بما يضمن صالح المجتمع، مثل التدريبات التي حدثت في جامعة **جورج واشنطن** بأمريكا ، وفي معهد التكنولوجيا باسرائيل، فقد افتعلوا حدثاً ارهابياً، وأتوا بموظفي الحكومة وممثلي وسائل الاعلام لمحاكاة رد الحكومة على الحدث الارهابي، وكيفية تغطية وسائل الاعلام للحدث ، والتعليم والتدريب للوصول إلى أفضل استراتيجية تحقق مصالح الطرفين الحكومات ووسائل الاعلام.

٢- إقامة مركز حكومي للمعلومات عن الارهاب ،مثل هذا المركز يستطيع أن يكون على اتصال دائم بوسائل الاعلام من خلال خطوط الاتصال، بحيث يوفر السرعة وتسجيل ردود الفعل عند تغطية الحدث الارهابي بتنسيق كامل بين الطرفين، وبذلك يتم التحكم في أي مبادرات دعائية للارهاب تقدمها وسائل الاعلام في غفلة منها ،أو تشنج تحت وطأة المنافسة والحصول على سبق إعلامي.

٣- تشجيع المنافسة بين وسائل الاعلام، مع اتفاق على مؤشرات يتفق حولها الاعلاميون والصحفيون لتغطية الحدث الارهابي منها:

- المعلومات المحددة حول الحدث الارهابي متضمنا عدد الضحايا وجنسياتهم ومراكزهم الرسمية، ومدى علاقاتهم بالشخصيات الهامة بالدولة، ومن منهم يمثل أهمية، ومن منهم من الأثرياء ، بمعنى كل المعلومات حول الضحايا.

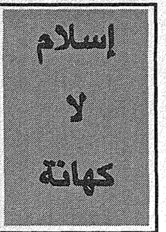
-معلومات محددة حول الحركات المسلحة أثناء عمليات انقاذ الضحايا والقبض على الارهابيين.

-لا يجب إجراء مقابلات حية على الهواء مع الارهابيين غير محررة ومنضبطة.

-التأكد من مصادر المعلومات بحذر شديد خاصة في وطأة المنافسة، والرغبة في السبق الاعلامي يتولد ضغط شديد في تمرير المعلومات التي يحتمل أن تكون غير دقيقة.

-تخفيف المعلومات التي قد تسبب رعباً شديد وتنشر الخوف بين الناس.

-نشر الاحصائيات لقتلى من رجال وسائل الإعلام بأنواعها.



هكذا كشفوا أنفسهم!

خليل عبد الكريم

فى يوم عيد الأضحى المبارك العاشر من ذى الحجة ١٤١٨ نشرت كلية الشريعة والقانون. بجامعة الأزهر فى جريدة الأهرام بيانا ممهوراً بتوقيع عميدها ووكيلها نسب إلى أحد الكتبة الصحفيين أمورا لو صحت- ونرجح أنها كذلك- لو صمته بإحدى نقيضتين كبيرتين فهو إما -

أ- طائش متهور لا يتثبت من مصادر ومعلوماته التى يضمنها مقاله الأسبوعى فى جريدة قومية كبرى.

ب- أو أنه خبيث النية، سئ الطوية ، طفس القصد يؤم الاساءة إلى رئاسة شئون التقديس التى تحاول إصلاح المعهد العتيق المشهور إعلاميا بـ(الأزهر) والذى أعيا تقويم إعوجاجه نطس العلماء منذ الشيخ **حسن العطار**.

- وهذا الكاتب الصحفى تخصص فى السنوات الأخيرة فى التصدى للمفكرين الإسلاميين المستنرين وإذ أنه لا طاقة له على نقدهم نقداً موضوعياً فإنه يضع إزاء كل واحد منهم جملاً مكررة وعبارات معادة واكليشيهات محفوظة وهى أن كتاباته تهدم أركان الإسلام وعواميده وأسسه وثوابته وتشكل عدواناً على عقيدة الأمة ومقدساتها وخروجاً على دستورها ونظامها العام!!.

كيف؟

هكذا دون توضيح أو شرح أو توثيق .. مع الإيحاء بين السطور بضرورة محاكمتهم مع التظاهر أنه يعارضها (أى المحاكمة) كل ذلك بأسلوب متدن وعرض هابط وكلمات بذيئة وألفاظ فواحش. إنتصبت له كلية هامة فى أقدم جامعة إسلامية ألقمته حجراً وشلحته من ورقة التين(دائما يكتب خطأ) (ورقة التوت) ولا أدرى كيف تستطيع ورقة التوت أن تغطى شيئا ؟ (أ. هـ) التى بقيت له يوارى بها سوأته هذا أولهم.

وفى ذات البيان تأكيد على أن عدداً من عمداء الكليات والمعاهد والأساتذة الأزهريين الذين يناوئون الشيخ **محمد سيد طنطاوى** فى مشروعه الرائع بتحديث الأزهر (نحن نختلف مع الشيخ المذكور فى العديد من سلوكياته مثل مقابلته ل حاخام الكيان الصهيونى العنصرى ووضع بصمة إبهام يده اليمنى على التقارير التى يحررها كتبة «التقارير فى محكمة التفتيش المعاصرة التى تحمل اسم **مجمع البحوث الاسلامية** دون أن يكلف نفسه عناء قراءة الكتب وهو يعلم أن هذه التقارير تروّع المؤلفين وتخرب بيوت الناشرين وفى ذلك إضرار بالناس نهى الاسلام عنه بشدة أ. هـ) لم يتورعوا عن التزوير والتلفيق والاصطناع إلى آخر ما جاء من شرور وآثام وموبقات وخطايا أوردها بيان كلية الشريعة والقانون فى حقهم تاييدا لمزاعمهم الباطلة ولما كان أولئك هم زملاء ونظراء وأنداد الجهابذة البهاليل أمين وأعضاء مجمع البحوث الاسلامية الذين نصبوا أنفسهم أو صياء على سماء الفكر والابداع فى مصر المحروسة وبيدهم وحدهم حق تقديم المؤلفين إلى التحقيق والمحاكمة وقطع أرزاق دور النشر وافلاس أصحابها وتشريد موظفيها وعمالها نؤب فنقول لما كان ذلك فنحن نطلب من القارئ أن يتصور مدى الكارثة التى حاقت وتحيق بالفضاء الثقافى فى البلد الذى علم الدنيا الحضارة والمدنية.

هؤلاء هم الفريق المصلى (فى المعجم الوسيط/ المصلى : التالى أ. هـ).

أما ثالثة الأثافى -فتلك الأياة(فى القاموس المحيط للفيروز آبادى/ الأياة = الهيئة أ. هـ) المسماة بـ (جبهة علماء الأزهر) والتى اغتيل الشهيد فوده بعد إصدار بيانها ضده بأربعة أيام فقط وكتبت عن ذلك فى حينه فى (الأهالى) فقد قامت جامعة الأزهر بالتحقيق مع رئيسها وأمينها وبعض أعضائها ونسبت إليهم تهما أهونها العمل فى جهات أجنبية- والاتصال ب ما يسمى (المراكز الاسلامية) فى أمريكا والسفر للعمل فيها (إلقاء مواعظ توجل لها القلوب وتذرف منها العيون الدموع.. الخ) وما أدراك ما (المراكز الاسلامية) ومن الذى يمولها إلخ!.

ومنهم من يسافر لأداء عمرة مبرورة ومن جدة يفك إلى بلد العملة الخضراء.. الدولار(لمزيد من التفصيلات ارجع إلى ما نشرته الصحف عن هذه الجبهة الميمونة ومن بينها مجلة روزا العدد ٣٦٤١).

هؤلاء الذين نصبوا من أنفسهم حماة حمى الاسلام والذى يعادون المفكرين الشرفاء (مثل /د **حسن حنفى مؤخرا**) ممن لا يجرؤ واحد على إتهامهم بالعمالة لأية جهة أو انفتاح جيوبهم على المراكز المستوهة.

لقد كان الجبابهة يظنون أن أمرهم سيظل مستوراً ولكن شاءت ارادة الله أن يهتك أسرارهم أصحاب عمائم مثلهم

وبعد

فلقد شهد شاهد من أهلها وتولى بعضهم فضح بعض وعرف القاصى والدانى حقيقة أولئك الاشاوس الذين يقفون فى وجه حركة التنوير ويعادون تيار التجديد- ولعلهم بعد ذلك وأولهم ذلك الصحفى الكاتب أن يتحمشوا ولو أنى أشك فى ذلك كثيرا فقد أخبرنا الصادق المصدوق عليه وآله أفضل الصلاة وأتم السلام أنه إذا لسم تستح فاصنع ما شئت.



جرائم تصفوية فى الاردن
على خلفيات مالية وأبعاد سياسية

رسالة عمان

صلاح يوسف

فى الوقت الذى كان فيه الاردنيون يتابعون ما يجرى فى فلسطين من تطورات لقضية اغتيال صانع متفجرات حركة حماس **محيى الدين الشريف** ، روعهم فى عمان نبأ جريمة اغتيال حدثت فى الوقت نفسه تقريبا ، وراح ضحيتها واحد من أكبر المحامين الاردنيين ونجله و طبيب نفسى مشهور . فقد عثر على المحامى **حنا ندّه** ونجله **سهيل** والدكتور **عونى سعد** قتلى فى عيادة الأخير بعد ثلاثة أيام من اغتيالهم وكان وقع الجريمة البشعة ثقيل الوطأة على الجميع بمن فيهم **الملك حسين** نفسه الذى ذهب بنفسه للتعزية بالضحايا ، ومن هناك عرج على مديرية الأمن العام طالبا منهم بذل أقصى الجهود لمعرفة الجهة التى تقف وراء الجريمة.

وبالرغم من عدم كشف الكثير عن ملابسات الجريمة فإن بعض ما تكشف حول طريقة القتل ، وكذلك حول هوية الضحايا جعل الجريمة وملابساتها حديث المدينة التى كانت إلى عهد قريب أشبه بقرية كبيرة بعيدة كل البعد عن مثل هذه الجرائم البشعة.

لكن الجريمة لم تكن جنائية فقط، بل كان لها جانب مثير آخر، فالطبيب النفسى الذى وجدت جثث الضحايا فى عيادته وقد قتلت باطلاق الرصاص عن قرب، هو الطبيب الذى عاين الجندى الاردنى أحمد الدقامسة الذى قتل عدداً من التلميذات الاسرائيليات فى منطقة الباقورة المحاذية لنهر الاردن من الجهة الشمالية، والتى أصبحت حدوداً مع إسرائيل ، وذلك فى شهر مارس من العام الماضى.

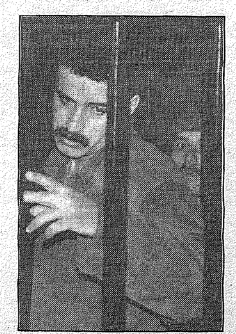
الجندى أحمد الدقامسة

أما **حنا ندّه** فهو كما ذكرنا واحد من علماء القانون فى الأردن وهو مرجع لا يبارى فى القانون الادارى . أما ابنه **سهيل** فهو رجل أعمال.

وقد فرضت الحكومة حظرا على نشر أى تفاصيل عن الجريمة التى وقعت فى أحد أرقى أحياء عمان، وهو **حى الشميسانى**،مما أثار تساؤلات وتداعيات وتصورات لسيناريوهات تنفيذ الجريمة تداخلت فيها عناصر على درجة كبيرة من التناقض.

تداعيات الجريمة

لكن الأمر الأكثر إثارة فى القضية هو أنها أعادت إلى أذهان الأردنيين جريمة أخرى حدثت قبل أكثر من شهرين ذهب ضحيتها سبعة أشخاص أبرزهم **الوزير المفوض فى السفارة العراقية فى عمان ابراهيم الهجو**



وزوجته ،وهى مصرية الجنسية ، إضافة إلى رجال أعمال عراقيين وعدد من الأبرياء بينهم حارس العمارة المصرى وصديق له تواجدا هناك بالصدفة.

وعلى الرغم من عدم الكشف عن ملابسات الجريمة الأولى فإن التساؤلات فى شأن هوية القتلة ، والذين تبدو على عملهم سمات الاختراق ، تماما كما هو الأمر فى قضية الاغتيال الأخيرة ، تجددت بعد حادث القتل الأخير. خاصة وأن **هناك عدداً من العناصر المشتركة بين الجريمتين من بينها هويات الضحايا وكونهم جميعا من رجال المال والأعمال فى الوقت الذى يظهر العنصر السياسى جليا من خلال مقتل الوزير المفوض العراقى فى الجريمة الأولى ومقتل الطبيب النفسى الذى عاين الجندى أحمد الدقامسة فى الثانية.**

ويربط كثيرون فى الاردن بين هذا النوع غير المألوف من جرائم القتل فى البلاد وبين التغيرات السياسية والديمقراطية التى شهدها الأردن بعد العام ١٩٩٠ ، وهو العام الذى نشبت فيه أزمة الخليج والتى تمخضت عن نتائج من بينها عودة مئات الآلاف من المغتربين الاردنيين من الكويت ودول الخليج الأخرى . وقد تميز هؤلاء بالحالة المادية الميسورة مقارنة بالمواطنين من أبناء البلد الذين كانوا لدى عودة هؤلاء يرزحون تحت وطأة الافلاس الذى كانت تعانى منه الدولة فى نهاية الثمانيات.

وقد وقعت جرائم قتل عديدة منذ ذلك العام على خلفية هذا التناقض الطبقى الصارخ. غير أن العامل الطبقى لم يكن الوحيد وراء تلك الجرائم، فوصول عشرات آلاف العراقيين الهاربين إما من قمع النظام ، أو من الحالة المادية المزرية فى العراق ،وما هو

متوقع من ملاحقة النظام البوليسى فى بغداد لمواطنيه الهاربين منه عبر عملائه وقتلته الذين غادروا مع المغادرين إلى عمان أدى إلى وقوع بعض الجرائم ذات **الطابع «التصفوى»** على حد التعبير العراقى الأثير.

كانت ذروة هذه الجرائم تلك التى وقعت فى خريف العام ١٩٩٢ حين قتل **عالم ذرة عراقى** فى وسط الشطر الغربى من عمان على أيدى من تبين فيما بعد أنهم عملاء مخابرات عراقيون . وبين تلك الجريمة وجريمة قتل الوزير المفوض العراقى قبل أكثر من شهرين وقعت جرائم عديدة من هذا النوع «التصفوى» كان آخرها فى شهر يناير الماضى حين تمت محاولة اغتيال الملحق الصحفى العراقى فى السفارة العراقية فى عمان.

غير أن العراق لم يكن الدولة الوحيدة التى مارست عمليات الاغتيال فى الأردن، فقد كانت إسرائيل هى الأخرى وفية لتاريخها الارهابى حين حاولت اغتيال رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الاسلامية (حماس) خالد مشعل فى أحد أهم شوارع العاصمة الأردنية فى شهر أغسطس من العام الماضى.

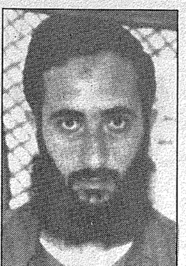
قضية مشعل

وإن كان الاردنيون استذكروا الجريمة التى ذهب ضحيتها الوزير المفوض فى السفارة العراقية فى عمان، لدى سماعهم نبأ مقتل المحامى حنا نده وولده فى عيادة الطبيب النفسى الذى عاين الجندى الاردنى **أحمد الدقامسة**، فإن جريمة **اغتيال خالد** مشعل استذكرت هى الأخرى مع تطور جريمة اغتيال صانع متفجرات حركة حماس **محيى الدين الشريف** . **فلم ينس الأردنيون أن وزير البنى التحتية الاسرائيلى ارئيل شارون قد عاد ليؤكد أن إسرائيل سوف تستمر فى ملاحقة رئيس المكتب السياسى لحماس خالد مشعل ، وهو ما يعنى أن اسرائيل ما زالت تعتبر عمان ساحة للتصفية الجسدية لاعدائها.**

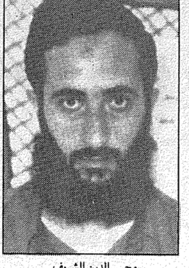
وقد أثارت تصريحات **شارون** فى حينه استياء عاماً من جانب المسئولين الاردنيين الذين طالبوا **شارون** بايضاح مغزى تصريحاته ،مما جعله يصرح بأن أقواله حرفت وأنه يحترم الأردن فاعتبر المسئولون الاردنيون هذه التصريحات اعتذارا للأردن مكتفين بذلك.

غير أن الشارع الأردنى وكذلك حماس لم تركن إلى تصديق شارون. وترددت أنباء عن أن قادة حماس المقيمين فى الأردن قد بدأوا فى البحث عن أماكن أخرى غير الاردن للاقامة فيها مثل دمشق وطهران ولبنان ، وذلك خوفاً من محاولة جديدة لاغتيال **خالد مشعل** تنفذها اسرائيل مستغلة الاتهامات المتبادلة بين السلطة الوطنية الفلسطينية وحماس فى شأن اغتيال **محيى الدين الشريف**.

ولا يعود اهتمام الشارع الاردنى بجريمة **اغتيال الشريف** إلى كون النسبة الكبرى من هذا الشارع فلسطينية الأصل، وأن القضية الفلسطينية ما زالت تمثل المرجعية الأهم بالنسبة له، بل بسبب التواجد الخاص لرموز حركة المقاومة الاسلامية (حماس) فى الاردن . فمن المعروف أن **أبرز قياديى حماس يقيمون فى الأردن** من الناطق الرسمى باسم حماس **ابراهيم غوشه** ، إلى رئيس المكتب السياسى للحركة **خالد مشعل** ، إلى الرئيس السابق للمكتب السياسى **موسى أبو مرزوق** ، إلى **محمد نزال عضو** المكتب السياسى للحركة.



محيى الدين الشريف



خالد مشعل

حماس والاردن

ويقال فى هذا المجال أن الاردن يحتضن **حماس** ويسمح لقادتها بالاقامة فى الاردن وممارسة نشاطهم فيه بحرية لا تتمتع بها جبهة العمل الاسلامى مثلا، إلا **أن الأردن بذلك إنما يلعب بورقة حماس ضد منظمة التحرير الفلسطينية التى لا تصفو سماء علاقاتها بالاردن حتى تتعكر من جديد** ، وذلك على الرغم من حرص الطرفين على إظهار الاحترام التام لاستقلالية الآخر.

وهكذا فإن وجود **حماس** فى الاردن مدعوم بقرار أردنى على أعلى المستويات . وإن حدث وتجاوزت حماس الخطوط الحمراء للأردن فإن تنبيهاً وتحذيرا حاسما من الأردن كفيل بارجاع كل شئ إلى مكانه. ،كما حدث حين تجاوز الناطق الرسمى باسم حماس **ابراهيم غوشه** هذا الخط وتبنى عملية انتحا[illegible] لحماس من عمان مما آثار اسرائيل وبالتالى الاردن فقامت السلطات الاردنية باعتقال **غوشه** لمدة يومين قبل أن تطلق سراحه مشترطة عليه عدم تكرار محاولة تجاوز الخطوط الحمراء الاردنية.

المشكلة مع حماس فى قضية محيى الدين الشريف كانت فى الهجمات الاعلامية الشرسة التى شنتها حماس، ومن ورائها جبهة العمل الاسلامى ، وهى الذراع السياسى لحركة الاخوان المسلمين فى الاردن ، ضد السلطة الوطنية الفلسطينية،فقد تبنت جبهة العمل الاسلامى ، وصحيفتها الاسبوعية «**السبيل**» رواية حماس عن اغتيال **محيى الدين الشريف** وبدأت فى شن هجوم شرس على السلطة الفلسطينية متجاوزة رأى حماس فى الداخل، والذى ركز على إتهام اسرائيل بقتل الشريف ، واتهمت -أى صحيفة السبيل- السلطة الوطنية الفلسطينية نفسها بالضلوع فى مقتل **الشريف**، وتوجيه أصابع الاتهام إلى رئيس الأمن الوقائى الفلسطينى **جبريل الرجوب**.

فى خضم الهجمات الاعلامية من جانب حماس بدأ الاردنيون فى تحكيم حسهم السياسى محذرين من أن تصعيد الخلاف بين حماس والسلطة الفلسطينية من شأنه أن يوفر لاسرائيل فرصة ذهبية للقيام بمحاولة اغتيال بعض رموز حماس المتواجدين فى الاردن،مع ما يمكن أن يثيره ذلك من مشاكل فى الساحة الفلسطينية التى تعانى من جمود فى عملية السلام وراءه **بنيامين نتنياهو** الذى دأب منذ مجيئه لرئاسه الوزارة فى اسرائيل على تخريب العملية برمتها والمماطلة فى تنفيذ ما وقع عليه هو نفسه ، فى ظل تراجع أمريكى عن رعاية عملية السلام التى وضعت خطوطها الرئيسية من الألف إلى الياء.

وفيما يستمر مسلسل التصعيد بين السلطة الفلسطينية وحماس حول قضية محى الدين الشريف يضع الناس فى الاردن أيديهم على قلوبهم مرتين: مرة بسبب الأنماط الجديدة من جرائم القتل التى بدأت عمان تشهدها ،مثل جريمة قتل المحامى حنا نده وولده والدكتور عونى سعد، الشاهد فى قضية الدقامسة ومرة ثانية بسبب خشيتهم من استغلال اسرائيل فرصة الخلاف بين حماس والسلطة وتوجيه ضربة إلى أحد قياديى حماس فى الأردن.



واحد وخمسون عاما على تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي

تجــربة غـــنيــة .. لـــم تـــدرس بـعد

احتفل **حزب البعث العربى الاشتراكى** فى السابع من نيسان (أبريل) بالذكرى الحادية والخمسين لتأسيسه ، وهذا التاريخ هو فى الحقيقة التاريخ الرسمى لتأسيس الحزب، أما الوجود الفعلى لحزب البعث كتيار سياسى وشبه تنظيم فقد بدأ قبل ذلك بعدة سنوات.

من المعروف أن مبادئ البعث أطلقها **ميشيل عفلق وصلاح البيطار** وكانا مدرسين فى مدارس دمشق الثانوية، ولذلك انتشرت مبادئ الحزب أول ما انتشرت بين الطلاب والمدرسين والمعلمين وطلاب الجامعة، وهم المثقفون فى ذلك الوقت، ومعظمهم من منابت فلاحية وفئات مدينية فقيرة ، وقد تأثر هذا التيار بعدة عوامل أهمها:

١- استقلال سورية، وتبنى البرجوازية السورية الناشئة ، التى ورثت الحكم عن الاحتلال الفرنسى ، النظام البرلمانى على الطريقة الأوروبية(نظام برلمانى، تعددية سياسية، أحزاب، صحافة حرة..)وكانت الساحة خالية من حزب قومى يسد الفراغ ، وكانت حاجة المجتمع ماسة لتأسيس مثل هذا الحزب.

٢-**تعقيدات القضية الفلسطينية ،وتنامى التيار الصهيونى فى فلسطين** ، وتخاذل الأنظمة العربية فى مواجهة هذا التيار ، والهزائم الكبيرة التى منى بها العرب فى فلسطين قبيل قيام إسرائيل وبعيده ، وكان رد الفعل الطبيعى هو تبنى الشعارات القومية الأكثر جذرية، وخاصة الاعتزاز بالأمة، ودورها الحضارى ، وماضيها التليد، وإمكانياتها الكبيرة، وضرورة وحدتها .. إلخ.

٣-**تحول البورجوازية السورية الناشئة من بورجوازية قاومت الاحتلال الفرنسى ، وناضلت من أجل استقلال سورية وتصنيعها وتطويرها اقتصاديا واجتماعيا ، إلى بورجوازية متأكلة، تتصارع أجنحتها وتطغى المصالح الآنية والمكاسب الفردية على عملها اليومى ومشاغلها اليومية**. وزاد الطين بلة، تخلف زعاماتها وعدم استيعابها للظروف الناشئة بعد الاستقلال فى سورية، وقيام إسرائيل فى فلسطين وتغير الظروف فى المنطقة برمتها . ولم تحاول هذه البرجوازية أن تتبنى النظام الليبرالى كموقف ونهج عمل اقتصادى واجتماعى وسياسى.

٤- التأثر إلى حد بعيد بالمبادئ الجديدة التى طرحت بالعالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام الأمم المتحدة وبروز الاتحاد السوفيتى كقوة عالمية عظمى ، وخاصة مبادئ حق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها، ومبادئ الحرية والعدالة والمساواة وغيرها.

٥- توسع التعليم فى سورية ومجانيته ، وتوجه الناس جميعا وخاصة الفلاحين والطبقات الدنيا إلى تعليم أبنائهم ، وازدياد عدد المدارس، وبالتالى ازدياد عدد المتعلمين المهيأين للعمل السياسى ، والنضال من أجل مستقبل شعبهم ووحدة أمتهم، وعدم وجود حزب تستجيب مبادئه لتطلعاتهم وترد على تساؤلاتهم سواء من أحزاب البورجوازية السورية أم الحزب الشيوعى السورى أم الأحزاب الدينية أم غيرها.

فى هذا المناخ العام كانت الشعارات القومية التى طرحها **حزب البعث (الوحدة العربية الحرية الاشتراكية)**هى الشعارات الأكثر بريقا لمواجهة أزمة المجتمع وحل القضايا القومية وقضايا التحرر الوطنى ، وكانت الظروف مناسبة لتنسيب آلاف المثقفين من المنابت الفلاحية والبورجوازية الصغيرة الريفية وغير الريفية للحزب ، وليصبحوا أعضاء فاعلين فيه، حيث سيطروا على الجامعة السورية(وكانت الجامعة الوحيدة فى سورية) وعلى المدارس الثانوية ، وأصبح حزب البعث خلال سنوات قليلة قوة فعالة فى السياسة السورية، يحسب حسابها عند اتخاذ أى قرار.

لم تدم ديمقراطية البورجوازية السورية فترة طويلة بعد الاستقلال ، فمنذ عام ١٩٤٩ ، أى بعد عامين من تأسيس **حزب البعث (كان اسمه حزب البعث العربى)** بدأت الانقلابات العسكرية فى سورية ، إما رداً على فشل البرجوازية السورية فى إدارة البلاد وانشغالها بخلافاتها ومصالحها الآنية ، أورداً على هزائم الجيوش العربية فى فلسطين، أو استجابة لتداخلات ورغبات أجنبية . إلا أن هذه الانقلابات جميعها تعاملت مع حزب البعث (سلباً أو إيجاباً) كقوة سياسية عقائدية وكحقيقة قائمة فى المجتمع وذات تأثير فعال فيه.

كان انقلاب أديب الشيشكلى آخر الانقلابات وأطولها عمراً ، واستمر بالحكم حتى عام ١٩٥٤ ، وكان شديد القسوة ، فحل الاحزاب السياسية وأقام حزبا واحداً بدلها ، وسجن السياسيين أو شردهم خارج البلاد . إلا أن تصرفاته هذه، والظروف التى فرضها على البلاد أدت إلى وحدة بين(حزب البعث العربى) وحزب سورى آخر هو (الحزب العربى الاشتراكى) الذى أسسه وكان يقوده أكرم الحورانى ، السياسى المخضرم والمعادى الصريح للاقطاع الذى كان يسيطر على معظم الأراضى الزراعية فى ريف حماة ، مركز الحزب الفعلى وبلد **الحورانى** ،ونتج عن هذه الوحدة حزب جديد باسم جديد هو(**حزب البعث العربى الاشتراكى**) اختلف عن حزب (البعث العربى القديم) بأمرين:**الأول : تبنى الحزب(المبادئ الاشتراكية) وطعم بها المبادئ القومية الصرفة التى كان ينادى بها** ، والتى لم تكن تتجاوز فى السابق فى المجال الاجتماعى شعارات (العدالة الاجتماعية) وأصبح حزب البعث العربى بعد الوحدة مع الحزب العربى الاشتراكى حزباً اشتراكيا بقى يتطور حتى

رسالة دمشق

حسين العوادات

اعتمد الماركسية فيما بعد(عام ١٩٦٣) مصدراً أساسيا من مصادر ومرجعيات مبادئه.

الثانى : أصبح أكرم الحورانى من قادته الأساسيين ، وهو سياسى مخضرم يتقن ألاعيب السياسة ،على عكس عفلق والبيطار اللذين كانا أقرب إلى المرشدين منهما إلى القائدين السياسيين . وقد أتاحت مساهمة **الحورانى** فى قيادة البعث الفرصة للحزب كى يصبح شريكا فى اتخاذ القرار السياسى السورى ، وأن يدخل الحلبة السياسية من أوسع أبوابها.

منذ الاستقلال ، انتسب آلاف الشباب البعثيين (الريفيين خاصة) إلى صفوف الجيش السورى ، وعندما تولى **الحورانى** مكانته القيادية فى الحزب شجع هذا الانتساب وساعد على فتح أبواب الجيش أمام منتسبى الحزب،**وما أن انتهى عهد الشيشكلى وجاء ما سمى بالحكم الديمقراطى (١٩٥٤- ١٩٥٨) حتى صار الضباط البعثيون يشكلون القوة الأساسية فى الجيش ، وهذا ما عزز مركز الحزب وزاد من تأثيره فى السياسة السورية. وهو نفسه ساعد على قيام الوحدة السورية-المصرية فيما بعد.**

توسعت قاعدة حزب البعث الشعبية خلال مرحلة الحكم الديمقراطى ، وأصبح محركاً للشارع السورى وللجيش السورى . وتنامى دوره السياسى ، ولعب دورا برلمانيا ممتازاً (كان له **١٧ نائبا** فى البرلمان الذى يضم **١٤٣ نائبا**،وكان من المتوقع أن يزيد نوابه عن الـ **٥٠ نائبا** لو جرت الانتخابات عام ١٩٥٨) وأقام تحالفاً جبهويا مع نواب مستقلين وأحزاب ليبرالية وشخصيات بورجوازية وطنية **(مثل خالد العظم وصبرى العسلى وغيرهما)** وصار له وزراء فى الحكومة كما انتخب **أكرم الحورانى** رئيسا لمجلس النواب، وأصبح حزب البعث الحزب العقائدى الأول فى سورية ، إلى أن قامت الوحدة السورية المصرية وحلت الأحزاب، وحل حزب البعث نفسه (فى سورية ومصر).

وعين **أكرم الحورانى** نائبا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة،كما عين عدة وزراء من قيادة الحزب، وجرى ما جرى إلي أن قامت ثورة **١٩٥٨** فى العراق ولعب حزب البعث دوراً هاما فيها ، ثم جاء الانفصال **وكان صدمة قاسية ليس للشعب السورى فقط، بل لحزب البعث نفسه** -الذى تراوحت مواقف محازبيه بين مؤيد للانفصال ومعارض له، وتحول أعضاء فى الحزب إلى الناصرية أو أصبحوا ليبراليين أو (اشتراكيين قوميين) أو(اشتراكيين ماركسيين).

وبقى الحزب أكثر من سنتين ممزقا، بعضه يشارك فى السلطة الانفصالية وانتخاباتها والبعض الآخر يعيد النظر بمبادئ الحزب برمتها ،حتى**جاءت ثورة (٨ شباط فبراير) ١٩٦٣ فى العراق وثورة(٨ آذار ، مارس ١٩٦٣)فى سورية ، وتسلم حزب البعث السلطة فى سورية والعراق، وبدأ محادثاته مع عبد الناصر لإعادة الوحدة أو للوصول إلى وحدة ما ، ولم تسفر هذه المحادثات إلا عن مزيد من التناقض بين حزب البعث وعبد الناصر ، وبين القيادات المتصارعة داخل حزب البعث.**

فشل حزب البعث فى العراق بالاحتفاظ بالسلطة ، وسقط نظامه هناك بعد بضعة أشهر مما طرح تساؤلات عديدة لم تطل مبادئ الحزب. وتوجهاته السياسية فقط بل طالت مجمل أوضاعه ومهماته ودوره ، فعقد الحزب أكثر من مؤتمر فى دمشق ، وانتهت هذه المؤتمرات إلى تبنى ما سمى(**بالمنطلقات النظرية لحزب البعث العربى الاشتراكى)** عام ١٩٦٣ ولا شك أن المنطلقات هذه كانت خطوة متقدمة على دستوره الذى أقر عام**١٩٤٧ حيث تبنى الحزب فى منطلقاته الماركسية كمرجع أساسى من مرجعياته ،كما تبنى ما سماه(الطريق العربى إلى الاشتراكية) بعد أن كان ينادى (بالاشتراكية العربية).**

ومع ذلك استمرت الصراعات داخل الحزب، حيث انقسم مجدداً عام ١٩٦٦ انقساما كبيرا ترك فى إثره **ميشيل عفلق وصلاح البيطار** الحزب ،**وصار الحزب حزبين بالاسم نفسه على نطاق الوطن العربى كله ، أحدهما مركز قيادته دمشق والثانى بغداد** ،وكان انقساما بدأت معه مرحلة جديدة من تاريخ حزب البعث العربى الاشتراكى حيث سار كل من الحزبين فى طريق مختلف.

شأن معظم الأحزاب ، تطورت مبادئ حزب البعث ومفاهيمه وسياساته وممارساته خلال العقود الخمسة الماضية -فهو- كما رأينا- بدأ حزباً قوميا يدعو لوحدة العرب وإحياء تراثهم ، ولم يكن يولى القضايا الاجتماعية وبناء المجتمع أهمية كافية. فلم تكن قضية الاشتراكية تشغله كثيرا ، ولم يحدد مفاهيمه ومواقفه بوضوح من قضية الوحدة العربية ، وبنية الدولة العربية الموحدة المأمولة ، وشكلها وعلاقتها بالمجتمع.

، ولا موقفه من المجتمع المدنى ومؤسساته ،**وكان توفيقيا من الناحية العقائدية خاصة مواقفه تجاه الدين ، والفلسفات الغربية ، والحريات الفردية ، والديمقراطية والتعددية وغيرها ، وكانت شعاراته القومية مثالية إلى حد بعيد ،** تستجيب لرغبات الناس وأحلامهم أكثر مما تنطلق من دراسة الواقع العربى ، فضلا عن عدم وضوح موقف الحزب من عديد من القضايا العقائدية والسياسية.

ولم يهتم باجراء دراسات معمقة للواقع العربى الاقتصادى والاجتماعى ، والواقع الدولى ، ولذلك ارتبك فى أول امتحان واجهه وهو الوحدة السورية- المصرية ، وقبل بها كما طرحت عليه بدون تصور واضح واقعى ينطلق من الشرط الموضوعى ويجنب الوحدة الفشل، فرض بوحدة بلا أحزاب ولا مؤسسات ولا تنظيمات تحميها من هيمنة البيروقراطية والعسكر ،**وارتبك فى امتحان آخر هو الموقف من الانفصال وخاصة فى اشكالية الوحدة والدولة الديمقراطية ، ولم يحسم موقفه من الجيش ودوره ، وقبل بفرح وسعادة تسلم السلطة فى العراق وفى سورية بطريق الجيش.**

ثم انقسم عندما حاول فصيل منه تبنى الماركسية كواحدة من مرجعياته ، ثم زاد ارتباكه خلال تسييره للسلطة ، وخاصة فى تحديد مهمات الحزب ووظيفة الدولة وعلاقة كل منهما بالآخر، إلى عديد من القضايا الهامة التى لم يحسمها الحزب بعد توليه السلطة وخاصة تلك المتعلقة بدور المنظمات الشعبية ومؤسسات المجتمع وعلاقتها بالحزب والدولة، ودور القطاع العام ومفهوم الاشتراكية نفسه ،وغيرها من القضايا.

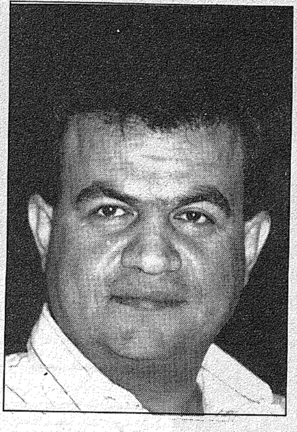
كان حزب البعث يحاول تطوير مواقفه لكنه كان يخسر فصيلا من أعضائه عند كل انعطاف فى هذه المواقف، وكثيرا ما كان يلجأ للتوفيق بين التيارات المتصارعة داخله لئلا يخسر فصيلا منها ،وهكذا فإن قسماً كبيرا من كوادر الأحزاب القومية القائمة الآن فى المشرق العربى ،ومن المثقفين والسياسيين غير الحزبيين، كانوا أعضاء في حزب البعث وانشقوا عليه افراداً أو فصائل مع مراحل التطور المختلفة.

وليس من المبالغة القول أن حزب البعث هو الحزب الأم الذى أنجب معظم الأحزاب القومية والقسم الأكبر من السياسيين والمثقفين المشارقة- وبعض المغاربة أيضا- على مختلف توجهاتهم العقائدية والسياسية القائمة الآن.

إن تجربة حزب البعث العربى الاشتراكى هى تجربة غنية دون شك ، ومن المهم دراسة هذه التجربة سواء من قبل الحزب نفسه أم من الأحزاب العربية الأخرى ، أم من قبل مراكزالدراسات ، دراسة جدية معمقة للوصول إلى استنتاجات ربما تفيد كثيرا في اختيارات المستقبل ، خاصة بعد التطورات التى حصلت فى العالم وفى منطقتنا فى العقد الأخير.



رسالة حيفا



الاصولية تلجأ إلى العنف ضد الصحافة العربية في إسرائيل!

* بعض مظاهر العنف التى ابتلى بها العديد من الشعوب العربية والاسلامية من المتعصبين المتزمتين فى الحركة الاسلامية، وصلت أيضا إلى الأقلية العربية الفلسطينية داخل إسرائيل.

فمنذ مطلع ابريل (نيسان) ١٩٩٨ ،تتعرض صحيفة «**الاتحاد**» اقدم واعرق الصحف الفلسطينية (صدرت العام ١٩٤٤) لحملة تهديدات بالحرق وبالقتل واعتداءات .. بلغت حد الاعتداء الدموى، وذلك بسبب موقفها الديمقراطى الموضوعى من أولئك المتعصبين.

وفي إسرائيل توجد حركتان اسلاميتان ترفعان شعار« **الاسلام هو الحل**» (كانتا حركة واحدة لكنها انشقت على نفسها إلى حركتين ،احداهما تؤيد خوض انتخابات الكنيست الاسرائيلى ويتزعمها الشيخ **عبد الله نمر درويش** والثانية تمتنع عن خوض هذه الانتخابات ويتزعمها الشيخ **رائد صلاح** ،وهما يتراشقان الاتهامات) . والحركتان تدينان ، بشكل عام، أعمال الارهاب الاصولية فى العالم.

فى الشهر العاشر من السنة الماضية وقع خلاف بين هاتين الحركتين ومندوبيهما فى الناصرة مع بلدية الناصرة بخصوص قطعة أرض فى وسط المدينة،كانت تقوم عليها مدرسة قديمة ، تم مهدمها من أجل إقامة ساحة عامة. لكن فئة اصولية سيطرت على الأرض بالقوة واقامت فوقها خيمة اعتصام ، زاعمة بأنها أرض تابعة للوقف الاسلامى.

البلدية من جهتها أعلنت انها مستعدة **لفحص كواشين الطابو**، فاذا تبين انها وقف فانها ستضعها تحت سيطرة الوقف . ولكن اذا تبين أنها أرض عامة، فان المشروع الذى قرره المجلس البلدى لاقامة الساحة العامة سينفذ (**علما بأن أعضاء الحركة الاسلامية الاربعة فى البلدية لم يعارضوا المشروع فى حينه، بل أن أحدهم اقترح اقامة دار للبلدية على الأرض بدلا من الساحة العامة**) . واتفق على لجنة تحكيم من المسلمين برئاسة قاضى القضاة ،**أحمد نافور** ،بشرط اخلاء المكان،ولكنهم لم يخلو المكان واعلنوا انهم لا يعترفون باللجنة ولجأوا إلى القضاء الإسرائيلى لمنع اخلائهم.

منذ ذلك الحين، وهذه المجموعة تدخل فى صراع متوتر مع البلدية ومع كل من يؤيد موقفها أو يختلف مع تلك المجموعة . واتخذت موقفا متطرفا ادخلها حتى فى خلافات مع قيادات الحركتين الاسلاميتين . وأصبحت تلك الخيمة وكرا للتحريض الدموى ، إذ اهدروا دم رئيس البلدية ،**رامز جرايسي** (وهو شخصية وطنية فاعلة وبارزة) فقارنوه مع **سلمان رشدى** واعتدوا علي لجنة التحكيم المؤيدة لموقف البلدية، المحامى **وليد الفاهوم**،.

وجنبا إلى جنب ،مع ذلك ، بدأت حملة تهديد واعتداءات على صحيفة «**الاتحاد**» ،فراح مجهولون يهددون رئيس تحريرها ، **الزميل نظير مجلى** ، بالقتل وباحراق مكاتب الجريدة. وقام أحد الأشخاص **باقتحام مكاتب الاتحاد فى الناصرة ودلق ماء الاسد الحارق على مديرته الصحفية آمال شحادة، وطعنها بالسكين فى يدها ١٤ طعنة**. ولم تسكت الصحيفة ،فخرجت بحملة استنكار واسعة . وبادر عدد من الصحفيين إلى عقد مؤتمر عام للصحفيين العرب(١٨ أبريل نيسان ١٩٩٨). فى الناصرة ، احتجاجا ، وتبين فيه أن حوالى **٢٠ صحفيا على الأقل تعرضوا لتهديدات أو اعتداءات . لكنهم لم يجرأوا على الاعتراض أو النشر أو الشكوى.**

وإلى جانب احتجاج الصحفيين ، خرجت حملة احتجاج واسعة فى صفوف القيادات العربية، اثارت اهتماما كبيرا من وسائل الاعلام الاسرائيلية.



إسرائيتل .. الشهير بكيريينكو يثير ازمة سياسية كبرى


يلتسين وفتاه المدلل.. كيريينكو

أحمد الخميسى

رسالة موسكو

فى شهر أبريل اجتاحت روسيا ظاهرة غريبة بكل معايير مسرح العبث والفوضى ذكرت برواية **بلجاكوف «مرجريتا والمعلم»** حيث تتبادل الشياطين الأدوار مع البشر وتتداخل الكوابيس والأحلام ، فقد غدت الحقائق وهما ودخانا وأصبح الوهم واقعا مفزعا. **فالحقيقة أن روسيا تمر بأعنف أزمة اقتصادية** (وهذه تتراجع للخلف) **والوهم هو أزمة سيرجى كيرينكو** (وهذه تتقدم إلى صدارة المسرح) ،ثم تجرى التفاصيل لاحكام أجواء التشويق والاثارة.

خرجت المظاهرات فى ٩ أبريل وقدر **«اتحاد نقابات روسيا الحرة» عدد المشاركين فيها** بأربعة عشر مليون، وقدرهم الشيوعيون **بعشرين مليوناً**، وقدرتهم الداخلية **بمائة وتسعة آلاف فقط**. لكن التهوين من شأن المظاهرات عادة حكومية ففى العام الماضى قدر الشيوعيون المتظاهرين بعشرين مليون وقدرتهم الحكومة بثلاثمائة ألف ، وهو نفس ما حدث عامى ٩٥ و ٩٦ . ولكن هناك على الأقل ستة ملايين متظاهر إذا تركنا تقديرات الداخلية وتقديرات النقابات جانبا.

المتظاهرون فى مقاطعة **بريمورى** وحدها بلغوا **مائتى ألف وفى بطرسبورج** مائة ألف وفى موسكو حوالى خمسين ألفاً وفى منطقة عمال المناجم فى الكوزباس خرج **ستون ألفاً** ، وفى يكاترين بورج حمل المتظاهرون يافطات كتب عليها «لم يكن أحد يدفع شيئا للعبيد لكنهم كانوا يطعمونهم على الأقل . نحن لاطعام ولا رواتب ». **وكان العمال والأطباء والمدرسون هم الفئات الأنشط فى تلك الاحتشادات لأن بعضهم يعمل منذ نصف عام وعام وعامين ولا يتلقى راتبا أو معاشا، ووصل الأمر حد أن مسنا من أصحاب المعاشات وضع قنبلة فى مبنى هيئة البريد الذى يقصده كل شهر ليتسلم معاشه فلا يجده وأصبحت من الظواهر الشائعة أن يخرج العمال أن المدرسون ليضعوا أجسادهم عند قضبان القطارات بينما لا يمر يوم دون اضراب عن الطعام فى منجم أو مستشفى.**

وكان الأطباء قد خرجوا قبل **٩ أبريل** وطوقوا مبنى الحكومة بموسكو وسبقهم إلى نفس الشئ العلماء الذين تنهار مؤسساتهم العلمية أمام أعينهم دون أن يستطيعوا إنقاذها . وبلغ الأمر درجة أن الاكاديمى الكبير **آندريه تروفيموك** رفض أن يتلقى وساما من أرفع الدرجات وراتباً ثابتا مدى الحياة من الرئيس الروسى معلنا :«**كيف أتلقى وساما من شخص مسئول عن انهيار قطاع العلوم ؟وكيف له أن يمنحنى وساما ؟ »**. هذا فى الوقت الذى تدنت فيه الأجور -التى لا تصل لمستحقيها -فأصبحت فى مقاطعات الشمال التى يسودها نصف عام من الشتاء والصقيع ٤٩٤ روبل ، بينما لا يقل الحد الادنى للمعيشة عن ١٥٦٥ روبل .

وتضاعفت **مع بداية هذه السنة مديونية الدولة للعاملين فبلغت فى مارس ٥٨ مليار روبل جديد بعد الاصلاح النقدى أى حوالى تسعة مليارات دولار تشكل حوالى ١٢٪ من ميزانية الحكومة** ، بينما تنذر ديون الدولة الخارجية بعد خمسة أعوام باستقطاع سبعين بالمئة من ميزانية الحكومة فقط لتسديد فوائد الدين . وفى ظل هذه الصورة كتبت «**نيزافيمسيا جازيتا**» أن وضع العاملين فى

روسيا :«أصبح مرعبا حتى فى أعين المجتمع الدولى».

نظم المظاهرات «**اتحاد نقابات روسيا الحرة**» كعادته فى حشدها يوما كل عام للدفاع عن حقوق العاملين الاقتصادية ، وهو الاتحاد الذى ظهر عام ١٩٩١ بزعامة **ميخائيل شوماكوف** .فى حينه صادر الرئيس يلتسين كل ممتلكات الحزب الشيوعى الضخمة لكنه أبقى لاتحاد النقابات الجديد هذا- أو منحه بعبارة أدق -كافة ممتلكات ومقرآت النقابات السوفيتية الهائلة. وعندما تأكد الاتحاد أن الشيوعيين سيخرجون فى مظاهرات بكر بمظاهراته لكى لا تلصق به السلطة تهمة التنسيق مع الشيوعيين ، بينما انفصل عمال **الكوزباس** بنقاباتهم عن الاتحاد واعتبروه «**اتحاد النقابات الصفراء**» .


فلاديمير جيرينوفسكى يهدد أحد زملائه بالضرب عند التصويت الأخير

وركز الاتحاد كعادته على الشعارات الاقتصادية وحصر المطالب فى دفع الأجور بينما كانت الشعارات السياسية الأخرى التى طالبت فى أكثر من مدينة باقالة يلتسين ومحاكمته من وحى الشارع فقط.

الشيوعيون لم يشكلوا نقابات عمالية لأن القانون يمنع الأحزاب من ذلك كما يمنعها من النشاط السياسى داخل الجيش ، ولم يكن تأثيرهم واضحا خاصة فى المناطق العمالية التى تغلى . أما عن **شوماكوف** زعيم اتحاد النقابات الحرة فإنه التقى **بسيرجى كيرينكو** مرشح **يلتسين** لرئاسة الحكومة وأعلن أن الاتحاد يؤيد ترشيحه بينما أعلن **كيرينكو** من ناحيته أن موقف الاتحاد «إيجابى» وأن «الحكومة والنقابات تتفق فى تقديرهما لطبيعة الموقف فى روسيا» .

وكان العمال فى **فولجوجراد** قد خرجوا بشعار «**على قادة النقابات أن يستقيلوا**» . أما الناطق باسم **يلتسين** فصرح بقوله :«بطبيعة الحال لو عزلنا الشعارات السياسية عن الاقتصادية فإن مطالب المواطنين مفهومة. ويتابع الرئيس الوضع بدقة: «**وقد ركز اتحاد النقابات على«عزل» المطالب الاقتصادية كما تتمنى الحكومة** ، بينما ساد شعور أنه مع تدفق المتظاهرين بالملايين افتقدت الملايين القوة والشعار الموحد.

وذكرت صور العمال الروس بيوم ٩ يناير ١٩٠٥ عندما خرج العمال فى حينه إلى شوارع بطرسبورج للمطالبة بحقوقهم فأطلقت الشرطة النيران عليهم مما شكل أساسا لثورة ١٩٠٥- ١٩٠٧ هذه المرة لم تطلق شرطة يلتسين الرصاص على أحد لكنها متأخرا قليلا قمعت بوحشية بالغة مظاهرات الطلبة العنيفة يوم ١٥ أبريل فى يكاترين بورج.

وكانت النقابات قد حددت موعد ٩ أبريل يوما للاحتجاج يسبق التقرير الذى ستقدمه حكومة **تشيرنوميردين** فى ١٠ أبريل عن تنفيذ ميزانية عام ٩٧ التى اختفى منها حوالى ثلاثة عشر مليار دولار خرجت ولم تعد. لكن الرئيس **يلتسين** أطاح قبل ذلك فى ٢٣ مارس **بتشيرنوميردين فغيب** الهدف عن أعين المتظاهرين كما نحى أكبر منافسيه من داخل الدولة فى الانتخابات الرئاسية القادمة وأكد للهيئة التشريعية والأحزاب أن ثمة مركزا واحدا لاتخاذ القرار. **وبذلك انتهى الفصل الأول بحدثيه إقالة الحكومة والمظاهرات الضخمة ليبدأ الفصل الثانى الأكثر غرابة ، فقد أخرج يلتسين من كم معطفه مثلما يفعل الحواة شخصا مجهولا إلى المسرح السياسى هو سيرجى كيرينكو وقام بتحريكه أمام الجميع.**

ولم تكن مفاجآت **يلتسين** سوى شكل فوضوى لأهداف محددة بعيدة المدى ، فالاسم الحقيقى لعائلة **كيرينكو** هو «**اسرائيتل**» المشتق من **اسرائيل** ، أما كيرينكو فهو اسم عائلة والدته التى انفصلت عن أبيه وهو فى التاسعة ،**وقرر كيرينكو تفاديا لما قد يجره اسمه عليه من متاعب أن يتسمى بلقب أمه الاوكرانية**. وفى الوقت المناسب أصبح **كيرينكو فى طليعة الشباب الكمسمولى.** وفى الوقت المناسب أيضا ترك الحزب لينتقل إلى البيزنس مع التحولات فيصبح مديرا لشركة «**نورس أويل**» النفطية بنيجنى نوفجورد. ومن هناك انتشله إلى موسكو صديقه اليهودى الآخر **بوريس نيمتسوف** نائب رئيس الوزراء حاليا وقدمه إلى الكرملين فتم تعيينه وزيرا للطاقة والوقود.

وكتبت أكثر من صحيفة منها «**كوميرسانت ديلى**» الروسية عن أن الملياردير اليهودى **بوريس بيريزوفسكى** الذى شغل من قبل منصب مساعد سكرتير مجلس الأمن الروسى هو الذى أطاح- فى جلسة خاصة مع أسرة **يلتسين**- برئيس الوزراء السابق **تشيرنوميردين** قائلا إن «نجمه قد لمع أكثر مما ينبغى فى الآونة الأخيرة». وليبريزوفسكى -الذى يعد أحد أغنى عشرين شخصيا فى العالم- هذا التأثير ، وهو الذى تزعم عام٩٦ تمويل الحملة الانتخابية الرئاسية ليلتسين.

ويضيف نيكولاى تروتسكى بصحيفة «ميجابوليس اكسبريس» إلى تدخل بيريزوفسكى اعتبارا آخر- فقد راق اسرائيتل الشهير بكيرينكو لتاتيانا ابنه يلتسين ومستشارته الرسمية لأنها تهوى ذلك النوع من الرجال المهذبين الذين يرتدون نظارات بسلك رفيع . وهى نفسها تاتيانا التى ظلت ممسكة بأناتولى تشوبايس (اليهودى الثالث) نائبا لرئيس الوزراء وخططت معه لعزل مجموعة كبيرة من الجنرالات والقادة الروس.

وإلى حد كبير لم يكن الصراع الدائر على **سيرجى كيرينكو** صراعا من أجل منصب رئيس الدولة. فالتصور الروسى ينص على أن رئيس الوزراء هو الذى يتولى مهام رئيس الدولة فى حال عجز الأخير صحيا أو لأى سبب من الأسباب .

وبذلك فإن اسرائيتل الشهير بكيرينكو مرشح فى ظل مرض يلتسين لأن يكون الرئيس.

ولهذا لم تكن المعارضة فى الدوما ضد حل وسط جرى بحثه طويلا: **القبول بكيرينكو رئيسا للوزراء مقابل تعديل الدستور** بحيث ينص على أن يتولى رئيس المجلس الفيدرالى مهام رئيس الدولة فى حال مرضه وليس رئيس الوزراء! . لكن يلتسين رفض بشدة ذلك الاقتراح ونوه بأن تعديل الدستور «يمثل خطورة لأن الدستور ضمانة الاستقرار»!.

وعندما سئل جينادى زوجانوف زعيم

الشيوعيين فى لقاء تلفزيونى مفتوح عما إن كان يعارض كيرينكو لمجرد أن الأخير «يهودى»؟ لم يقلل زوجانوف من أهمية ذلك قائلا : «الشعب الروسى يمثل خمسة وثمانين بالمئة من سكان روسيا وقومياتها ويجب وضع ذلك فى الاعتبار عند اختيار المسئولين»!.

علاوة على ذلك فإن كيرينكو الذى تعيب عليه قوى كثيرة أنه شخص بلا تاريخ ولا تجربة كان على علاقة وثيقة بجماعة «**هارباد**» الأمريكية التى أسسها شخص من المخابرات الأمريكية يدعى **رون هابارد** فى دعوة مريبة لتوحيد الأديان بنظرية شمولية تستهدف زرع الشعور **بالكوسموبوليتية** لدى أعضائها كمقدمة لتجنيدهم فى المخابرات.

وكانت مجلة «**شبيجل**» الالمانية أول من كتب أن **كيرينكو** على علاقة وثيقة بتلك الجماعة المريبة وأنه حضر مجموعة لقاءات نظمتها الجماعة سنة ١٩٩٥ **وبلغ تعاطفه معها أنه حول لحسابها مائتى مليون روبل بواسطة بنك ترأسه اسمه«جارانتى»** ولهذا قررت كتلة«**سلطة الشعب**» فى الدوما المقربة من الشيوعيين التوجه بتساؤل نيابى عن حقيقة صلة **كيرينكو بتلك الجماعات** .

وتكتب صحيفة **كمسمولسكايا برافدا** فى ١٥ أبريل ٩٨ أن تلك الجماعة مهتمة بجمع المعلومات عن كل ما يتعلق بالقطاع العسكرى والصناعى فى روسيا بشكل خاص. وتؤكد الصحيفة أن **كيرينكو** شارك فى احدى الندوات التى عقدتها الجماعة فى **نيجنى نوفجورد** . ولم ينكر كيرينكو أنه لرفع مستواه المهنى كمدير لبنك سجل نفسه عام ١٩٩٥ عضوا منتسبا **بكلية هاربارد** التى تعلم أصول الادارة! وكان عليه أن يدفع مصاريف الدراسة التى تضمنتها الوثيقة المنشورة فى«شبيجل» .

وكيرينكو الذى يتصور البعض أن عيبه هو نقص الخبرة ليس بالبراءة التى يبدو بها . وقد وصفه زوجانوف بأنه« جايدار صغير لكن بقسوة أناتولى تشوبايس »وقد يكون سبب هذا الوصف البرنامج الغامض الذى أعلنه كيرينكو والذى لخصه بقوله : «دولة قوية ، سلطة قوية ، اقتصاد قوى».

وقد قام الاعتبار القومى بدوره فى الصراع على أرضية تزايد تغلغل النفوذ الاسرائيلى فى روسيا الذى استفز محافظ **كراسنادار ونيكولاى كوندراتنكو** فجعله يشن هجوما كاسحا على اليهود فى ٣ مارس فى خطاب علنى كرر فيه وصفة «**الصهاينة الحقراء**» واحد وستين مرة خلال ربع الساعة ،**بعدها فى ١١ أبريل جددت صحيفة برافدا المخاوف الروسية تحت عنوان« هل تحفظ أسرار روسيا فى إسرائيل؟ »**.

وإذا كان للصراع السياسى الذى دار على امتداد شهر أبريل **وجه اقتصادى ووجه قومى** ، فإن له وجها آخر دستوريا .فقد **ظلت روسيا منذ ٢٣ مارس حتى ٢٤ أبريل-موعد التصويت الثالث على كيرينكو -من دون حكومة وتحت التهديد بحل البرلمان . واتضحت نواقص الدستور عندما لم يعد واضحا إن كان من حق الرئيس الروسى ترشيح نفس الشخص لرئاسة الحكومة ثلاث مرات، أم أن على الرئيس أن يرشح كل مرة اسما مختلفا؟. ثم من الذى سيتولى مهام رئيس الدولة إذا أصابت يلتسين نوبة مرض مفاجئة؟.**

بهذا الصدد أكد رئيس المحكمة الدستورية **مارات باجلاى** فى ١٦ أبريل أن الدستور لا يمنح القائم بأعمال رئيس الوزراء حق تولى مهام رئيس الدولة. واتضحت أيضا الغرائب فى الاتفاقية التى وقعها **كيرينكو** مع صندوق النقد الدولى فى ١٣ أبريل فحددت سياسات روسيا الاقتصادية حتى نهاية هذا العام بالرغم من احتمالات رفض الدوما لكيرينكو . فكأن شخصا عابرا حدد سياسات روسيا لمدة عام ثم انصرف!.

زيجانوف وزوجته وابنته.. مواجهة التمرد على الحزب من نواب المصالح

قبل الطبع

صوت مجلس الدوما يوم الجمعة ٢٤ أبريل لصالح تعيين «سيرجى كيرينكو» رئيسا لوزراء روسيا بأغلبية ٢٥١ صوتا (كان المطلوب ٢٢٦) ولم يصوت ضده إلا ٢٥ عضوا بينما امتنع ١٣٥ نائبا عن استلام بطاقات الاقتراع بعد أن تقرر أن يكون التصويت سريا.

وقد عارض تعيينه متحديا يلتسين أغلبية الحزب الشيوعى الروسى وكتلة يابلوكو ، سواء برفض استلام البطاقات أو التصويت ضده.

بينما انتقل من صف المعارضين إلى صف المؤيدين حزب جيرونوفسكى (القومى المتعصب) بعد أن وعد بتعيين أعضاء من حزبه فى البرلمان ، وحزبين حليفين للشيوعيين هما الحزب الزراعى وحزب سلطة الشعب ، وخرج عن قرار الحزب الشيوعى برفض تعيينه حوالى ٢٥ من أعضاء هيئته البرلمانية ،خوفا من حل البرلمان وفقدان امتيازاتهم. وأكد بذلك يلتسين ما كان يقوله دائما أنه سيد روسيا. والمعروف أنه يتمتع طبقا للدستور الحالى بسلطات تفوق سلطات أى زعيم فى ظل النظام الشيوعى خلال وجود الاتحاد السوفيتى!.

وقد رحب كلينتون بالتصويت وتعيين كيرينكو رئيسا للوزراء

وفى كل الأحوال كان كيرينكو امتحانا صعبا للدوما وللشيوعيين خاصة. فقد تم التصويت على ترشيحه رئيساً للحكومة فى ١٠ أبريل فحصل على **١٤٣ صوتا من أصل ٤٥٠ صوتا فى الدوما** ، بينما يحتاج اقرار ترشيحه إلى مائتين وستة وعشرين صوتا. ثم تم التصويت على ترشيحه ثانية **فى ١٧ أبريل** فحصل على **١١٥ صوتا** معه بينما وقف ضده **٢٧١ نائبا ،ورد الرئيس الروسى على ذلك فورا بتجديد ترشيح كيرينكو للمرة الثالثة .**

والمفروض أن يعقد الدوما جلسة للتصويت يوم ٢٤ أبريل للبت فى أمره للمرة الأخيرة. وقد يعرف القارئ نتيجة التصويت الأخير من الوكالات لأن مقالات **اليسار** تسلم كحد أقصى فى ١٨ كل شهر. ولكن من الأهمية بمكان هنا القاء الضوء، على موقف الشيوعيين وزعيمهم **زوجانوف** الذى أعلن فى التصويت الثانى: «**إن بوريس يلتسين والحكومة سواء بكيرينكو أم من غيره عاجزان عن حل المشكلات الاقتصادية لروسيا** »وقال **زوجانوف** للنواب قبل التصويت بلحظات: إننى أخاطب فيكم شجاعتكم ، فاذا لم نظهر اليوم هذه الشجاعة فإننا سنكون مسئولين أيضا عن الانهيار الشامل لروسيا ، ولن يغفر لنا أولادنا وأحفادنا ذلك أبدا ». **ولا يمكن ليكرينكو أن يمر إذا ظل موقف الشيوعيين دون تبديل ، على ضوء توزيع القوى التالى داخل الدوما:**

*** الحزب الشيوعى وحلفاؤه:**

-الشيوعيون ١٣٤ مقعدا- الحزب الزراعى ٣٥ مقعدا- سلطة الشعب ٤٤ مقعدا الاجمالى /٢١٣ صوتا.

***القوى الأخرى التى ترفض كيرينكو:**

- كتلة يابلوكو ٤٤ مقعدا.

-جيرنوفسكى ٥٠ مقعدا

*** القوى التى تؤيد كيرينكو:**

-حزب روسيا بيتنا الحكومى ٧٦ مقعدا

-مجموعة أقاليم روسيا ٤٢ مقعدا- نواب مستقلون ٢٦ نائبا.

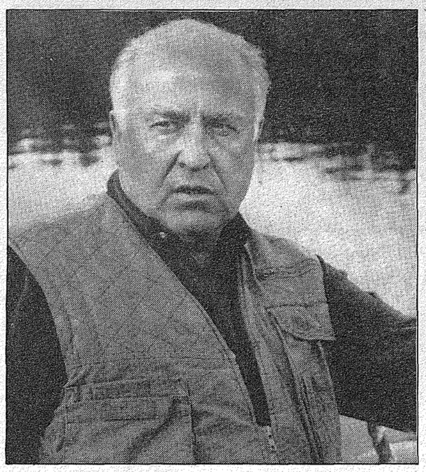
وقد نجح الشيوعيون حتى الآن فى مواجهة سياسة شراء ذمم النواب الرخيصة التى أعلن عنها يلتسين صراحة فى قوله «لقد أصدرت تعليماتى بحل كل مشاكل النواب السكنية لكن بعد التصويت على كيرينكو»! ولهذا تحديدا أعلن **جريجورى يافلينسكى** :«إن كتلتنا تعرب عن احتجاجها الحازم على سياسة **شراء النواب** التى برزت مؤخراعندما تنقلب المناقشات السياسية إلى شراء للأصوات والذمم فإننا نعلن منذ الآن أننا لن نخوض فى مناقشات من هذا النوع كما أننا نرفض المبدأ الذى ارتكزت عليه حركة الرئيس يلتسين القائم على الضغوط والعنف والقوة».

وسيعقد الشيوعيون مؤتمرا فى **٢٣ أبريل** -قبل التصويت الأخير بيوم واحد- لمناقشة موقفهم مرة أخيرة قبل التصويت. فقد **أبرزت أيام الصراع اتجاهات قوية داخل الشيوعيين للتصويت مع كيرينكو لتفادى حل الدوما ولهذا تمسك زوجانوف بالتصويت العلنى الذى يضمن السيطرة على الكتل**، بينما دعا **جينادى سيلزنيف** -زعيم الأغلبية عن الشيوعيين - صراحة لتأييد **كيرينكو** مبررا ذلك بأن «مصير الدوما أهم ألف مرة من مصير كيرينكو ! مما دعا **صحيفة سيفودنيا** للقول بأن **سيلزنيف** مستعد من أجل كيرينكو للتضحية ليس فقط بصوته بل وببطاقته الحزبية. **وفى نفس الوقت ظهرت تيارات متشددة داخل الحزب الشيوعى تدعو لتلقين يلتسين درسا خاصة أن حل الدوما قد يضاعف من شعبية الشيوعيين ويضمن لهم اكتساح الانتخابات البرلمانية الجديدة.**

ومع تسليم هذا المقال يمكن القول أن الأزمة تنزلق إلى المواجهة ، وأن الكلمة الحاسمة فى مصير **اسرائيتل سابقا الشهير بكيرينكو** حاليا ستصدر بنعم أو لا من الشيوعيين .وكم يتمنى الكثيرون أن يقولوا «لا» لأنها ضرورية جدا إذا كان مصير روسيا أهم ألف مرة من مصير الدوما وليس العكس.

وثمة مخرج دستورى واحد أمام الدوما الآن لمواصلة الصراع داخل الاطار البرلمانى :**المطالبة باقالة الرئيس يلتسين**. ويحتاج ذلك لجمع مائة وخمسين توقيعاً من النواب، الأمر الذى يعقبه تشكيل لجنة لطرح الاتهامات الموجهة للرئيس والتى يمكن بناء عليها اقالته **،فالدستور يمنع يلتسين منذ لحظة تشكيل هذه اللجنة من حل الدوما** . لكن اللجنة تحتاج لتهم من نوع«**الخيانة العظمى**» و«**ارتكاب جرائم فظيعة**» لكى يمكنها المطالبة باقالة يلتسين . وقد يفضى مخرج كهذا لتمطيط الوقت لا أكثر دون إثبات التهم على **يلتسين**.

وفى كل الأحوال فإن كيرينكو سيصبح رئيسا للوزراء بموافقة الدوما أو بحل الدوما وتعيين كيرينكو. اللهم إلا اذا راعى الجانبان الخسائر التى ستصيبهما فى حالة الصراع المكشوف وبرزت حلول وسط كأن يطرح يلتسين فى اللحظات الأخيرة أسما آخر أو أن يتراجع الدوما مستسلما أمام الرئيس.



تشيرنوميردين.. رئيس الوزراء السابق



رد الاعتبار لليسار الأمريكى ومعارك الصراع الطبقى

* السياسيون التقليديون يتبنون بعض مطالب اليسار.. ويعملون فى الوقت نفسه على محاصرته والتصدى لدوره.

* الماركسيون فى أبرز مواقع الاستاذية فى جامعات أمريكا .. وأحدهم أستاذ لمادة الدين فى جامعة «برينستون» العريقة.

تجرى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الآونة الاخيرة عملية« **رد اعتبار**» واسعة النطاق لليسار الأمريكى . للفكر اليسارى ، وتاريخ الحركة اليسارية الامريكية ومواقفها وأهدافها.. بما فى ذلك ، وبالدرجة الاولى، اليسار الشيوعى. تتعلق «ديناميكيات» هذه العملية بعوامل كثيرة . لعل فى مقدمتها **سقوط النظام السوفياتى** ، وبالتالى انحسار ظلال الاتهام والشك التى كانت تحط على اليسار فى أمريكا (كما فى غيرها .. وبالاحرى أكثر من غيرها) بشأن «ولاء» اليسار-خاصة الشيوعى-لبلاده أو البلاد الاشتراكية.

فان سقوط النظام السوفياتى لم يجرف معه اليسار الامريكى ، ولم يؤد إلى اختبار المفكرين اليساريين أو المناضلين اليساريين خجلا أو مراجعة . بل الواقع أن هذا الحدث دل بوضوح على حيوية اليسار الأمريكى وقدرته على استخدام الجدل كمنهج فى مناقشة مشكلاته فى ضوء «الواقع الجديد».

وهنا لابد من إبراز حقيقة ربما غفل عنها كثيرون ، أو ترددوا فى الافصاح عنها لاعتبارات ايديولوجية أو سياسية بحتة، وهى أن **حيوية الفكر اليسارى الأمريكى -الماركسى والديمقراطى والاشتراكى الاجتماعى -كانت أقوى وأثرى وأكثر «ديناميكية» من الفكر اليسارى «السوفيتى والفكر اليسارى فى أوروبا الشرقية»** حيث كانت الماركسية هى «الفكر الرسمى» . وربما لأنها كانت الفكر «الرسمى» فقدت كثيرا من حيويتها (على أى الأحوال هذه قضية أخرى).

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فان انجازات حركة الحقوق المدنية للأقليات وحركة الحريات المدنية بشكل عام أتاحت للفكر اليسارى نموا- كميا ونوعيا إذا جاز التعبير- ساعده علي الامتداد أفقيا ورأسيا في الجامعات ومراكز الدراسات (**أو ما يطلق عليه«مصانع الأفكار»**) وفى الاعلام وفي كافة المجالات الثقافية، من دور النشر إلى ستوديوهات هوليود.

وصل الأمر فى السنوات منذ أواخر الثمانينات أو أوائل التسعينات إلى حد أصبح فيه تمثيل اليسار فى أى مناقشة عامة- أكاديمية أو اعلامية، علي صفحات الصحف أو على شاشات التلفزيون -تقليدا لا يكن تجاوزه دون التعرض للنقد أو الشعور بالنقص.

وصحيح أن اختيار المؤسسات الاعلامية خاصة- الصحفية والتلفزيونية -لمن يمثل اليسار فى الندوات أو المناظرات التى تتناول القضايا الداخلية والخارجية ،كان أقرب إلى انتقاء اليسار الليبرالى .. يسار الحزب الديمقراطى مثلا ،منه إلى اختيار اعلاميين من اليسار الماركسى أو حتى الاشتراكى الديمقراطى .. إلا أن المجال أخذ يتسع شيئا فشيئا - ولو ببطء- لوجوه يسارية حقيقية.

رسالة واشنطون

سمير كرم

أما فى المجال الأكاديمى فان حظ اليسار الماركسى أصبح أوفر كثير مما كان فى سنوات الخمسينيات (**المكارثية**) وسنوات الستينات (**سنوات مقاومة الحرب الأمريكية فى فيتنام**) وسنوات السبعينيات(**سنوات الانشغال بما بعد فيتنام**) والثمانينيات(**سنوات صعود اليمين مع رئاسة رونالد ريجان ، أو صعود ريجان إلى الرئاسة مع صعود اليمين**).

لم يعد اليساريون يعدون على أصابع اليدين في المناصب الاكاديمية فى الجامعات فى أنحاء الولايات المتحدة. لم يعد بالامكان استبعاد الماركسين بسبب أفكارهم أو «ميولهم» السياسية من التدريس فى الجامعات ..حتى الجامعات الخاصة لم تعد تتحمل سمعة استبعاد اليساريين من هيئاتها التدريسية ، وكانت من قبل لا تتحمل سمعة وجود ماركسيين هنا أو هناك فى إحدى كلياتها(..).

وعزز من هذا الوضع حقيقة أن المفكرين اليساريين الأمريكيين أثبتوا جدارتهم ، إن لم نقل تفوقهم الفكرى والأكاديمى فى مجالات



Civil Rights: 90s Style

مظاهرات الحقوق المدنية طراز التسعينات

الرجعيون والعنصريون يحتجون.. واللافتة تقول« سنتغلب على التعددية الثقافية»

(عن صحيفة عالم الشعب الشيوعية الأمريكية)

عديدة خاصة فى علوم الاقتصاد والعلوم الانسانية والاجتماعية .. فضلا عن دراسات القانون الدولى والعلاقات الدولية والعلوم السياسية.

وإذا كان لنا أن نختار أمثلة قليلة لتأكيد هذا فإن من أوائل الأسماء التى تقفز مباشرة إلى الذهن **ناعوم تشومسكى** الذى يشغل منصب أستاذ اللغويات **فى معهد ماساتشوزيتس للتكنولوجيا** الذى يعد عالميا الأرفع مستوى بين معاهد التكنولوجيا) وهو فى الوقت نفسه كاتب سياسى نشط يسهم فى كافة الدوريات اليسارية والماركسية تحديدا داخل الولايات المتحدة وخارجها بانتاج غزير **يتناول قضايا السياسة الخارجية الأمريكية ، وله فيها اهتمام قوى بفضح تحالف«الامبريالية الأمريكية» مع «الصهيونية العالمية» واسرائيل ضد الشعب الفلسطينى وضد الشعوب العربية** .فضلا عن اسهاماته فى فضح هيمنة رأسمالية السوق على الاعلام الأمريكى ماليا وتنظيميا وفكريا ضد مصالح الغالبية الساحقة من الشعب الأمريكى وخاصة الطبقة العاملة.

ولا يقل أهمية فى الحقل الأكاديمى اسم **ادوارد سعيد** المفكر العربى الفلسطينى الذى يعد- علي صعيد عالمى أيضا- أحد أبرز المفكرين فى مجال النقد الادبى(وأيضا فى مجال نظرية الموسيقى وتحليلاتها) وهو أيضا من أبرز من يكتبون الآن عن **فلسفة «ما بعد الحداثة»Post Moderinsm من منظور يسارى** وهو يشغل منصب أستاذ الأدب الانجليزى المقارن في جامعة -كولومبيا الأمريكية فى نيويورك ،وهى بدورها من أعرق الجامعات الأمريكية.

وغنى عن القول أن ادوارد سعيد هو فى مقدمة المفكرين الأمريكيين من أصل عربى الذين يتعاملون مع قضية الشعب الفلسطينى من منظور ثوري مناهض للامبريالية الأمريكية والصهيونية. واسهاماته الفكرية فى كتبه وفى الدوريات التقدمية الأمريكية- والأوروبية هى من أهم مراجع المهتمين بقضية الشعب الفلسطينى وبفهمها خارج إطار المؤثرات الدعائية الصهيونية.

أما الأسماء غير اللامعة ، التى لم تحقق درجة« النجومية » خارج الولايات المتحدة، وبالأحرى فى العالم الثالث -من بين أسماء المفكرين اليساريين الأمريكيين فانها أكثر من أن تعد . وتملأ اسهاماتهم الفكرية أعداد الدوريات الفكرية ذات الثقل الفكرى فى الولايات المتحدة وأوروبا على السواء (يرجو كاتب هذه السطور أن تتاح له الفرصة للتعريف بالفكر اليسارى الأمريكى فى كتاب أو أكثر فى المستقبل القريب .. لأنه لم يعد فى العمر مستقبل بعيداً، انما نكتفى منها بعدد قليل في اشارة سريعة: **إيلين ماسكسينز وود** .رئيسة التحرير المشاركة لشهرية «منثلى ريفيو» الماركسية البارزة -وأهم وآخر كبتها اثنان : **الديمقراطية ضد الرأسمالية : تجديد المادية التاريخية (١٩٩٥)«نفير الغواية . النظرية السياسية وصعود الرأسمالية (١٩٩٧) تونى سميث** أستاذ الفلسفة والعلوم السياسية فى **جامعة آيوا** الحكومية الأمريكية. أهم وآخر كتبه اثنان: **منطق رأس المال الماركسى (١٩٩٠) ، « النظرية**

الاجتماعية الجدلية ونقادها(١٩٩٣) مايكل ليبويتس أستاذ مادة الاقتصاد الماركسى فى جامعة فانكوفر فى كندا . آخر كتاب له بعنوان **«ما بعد رأس المال»: الاقتصاد السياسى** الماركسى للطبقة العاملة (١٩٩٢) **كورنيل ويست** أستاذ مادة الدين(!!) فى جامعة «برينستون» - إحدى أبرز الجامعات الأمريكية مكانة من الناحية الأكاديمية- وهو فى الوقت نفسه مدير مركز الدراسات الافرو أمريكية فيها- أبرز مؤلفاته «أنساب الفلسفة البراجماتية(١٩٨٩) **فريد موزلى** أستاذ العلوم الاقتصادية فى كلية «**ماونت هوليوك**» الجامعة الأمريكية . آخر كتبه «**تحقيقات جديدة في منهج ماركسى» (١٩٩٧).**

القائمة طويلة إلى حد يشير انزعاج اليمين الأمريكى الذى لا يكف منذ سنوات عن التحذير من «هيمنة اليسار» على الجامعات والحياة الأكاديمية فى الولايات المتحدة.وهى مبالغة يقصد بها محاصرة اليسار من جديد ، وهى دعوة لا تلقى الآن نجاحا كبيرا ، وكما ذكرنا من قبل ، فان اتخاذ «الاتحاد السوفيتى» ذريعة والحديث عن الخطر الشيوعى على الأمن القومى لم يعد قابلا للتصديق.

مع ذلك لابد من أن نرى الدلائل الكثيرة على أن من الأسباب المهمة لعملية رد الاعتبار لليسار فى الحياة الفكرية والسياسية الأمريكية تخبط اليمين واستمراره فى استخدام الأساليب ذاتها التى اعتمد عليها طوال أكثر من نصف قرن من الحرب الباردة **.ويكاد اليمين الأمريكى فى الحقل الاعلامى والاكاديمى -يقدم ما يمكن أن نصفه بأنه دعاية مجانية لليسار والماركسية ، بمبالغته فى الحديث عن خطر «عودة الماركسية».**

ولعله من الصعب ، بل من المستحيل ,أن يكون من قبيل الصدفة أن تنشر الصحافة الأمريكية على التوالى خلال الأسابيع (فضلا عن الأشهر السنوات) الماضية مقالات تلتقى جميعا عند معنى«**عودة الشيوعية**»، وأن يكون موضوع حديثها هو الساحة الأمريكية .. وليست ساحة أوروبا الشرقية مثلا (حيث تظهر نتائج الانتخابات تباعا مدى تجدد شعبية الاحزاب الاشتراكية (وهو أمر يتابعه متابعة جيدة قارئ «**اليسار**» من خلال الرسائل التى ترد شهريا من عواصم أوروبا).

وهذه بعض الأمثلة على ما يكتبه المعلقون السياسيون اليمينيون الأمريكيون هذه الأيام عن صعود نجم الماركسية .من جديد.

** **ريتشارد جرينر** واحد من كتاب الأعمدة المعروفين بالإنتماء لليمين الجمهورى فى أشد أجنحته محافظة ، ويكتب فى صحيفة يمينية هى«**واشنطن تايمز**» التى تملكها

رونالد ريجان

مؤسسة دينية هى«**الكنيسة التوحيدية**» لصاحبها المبشر الكورى مون سونغ ، وهى أيضا صحيفة معروفة بقوة صلاتها مع قيادات المؤسسة العسكرية الأمريكية -ووكالة المخابرات الأمريكية.. إلى حد أنها تعيش علي ما تمد انها به من اخبار استثنائية تنفرد بها بصورة شبه يومية.

كتب جرينز يوم ١٧ أبريل الماضى مقالا بعنوان «**عودة البيان الشيوعى**» قال فيه:« **يجرى الاحتفال بالذكرى الـ ١٥٠ لصدور البيان الشيوعى بطريقة ربما تذهل مؤلفيه كارل ماركس وفريدريك انجلز نفسيهما .حتى أن المدير المبدع لمحلات بارينز التجارية فى مانهاتن (نيويورك) ..وهى محلات للأزياء يقول «لقد نسى الناس النفى وستالين والصورة السلبية كلها. لهذا ربما يكون الوقت قد حان لكى تعود الماركسية لتصبح الموضة الخالصة»** وينتقل إلى الحديث عن إصدار الطبعة الجديدة من «**البيان الشيوعى**» عن دار فيرسو لتوزع حتى فى أفخم محلات نيويورك ولندن ولتكون طبعة فاخرة ويسخر أنه حتى الماركسيون المؤمنون أعربوا عن ترحيبهم بالفكرة «وستعرض أكبر مكتبات أمريكا وأضخمها هذا الكتاب فى فروعها فى جميع أنحاء الولايات المتحدة فى أماكن بارزة من فترينتاتها الزجاجية ، بما فى ذلك مكتبة «**بوردرز**» الضخمة فى مبنى مركز التجارة العالمية الشهير فى نيويورك.

ويضيف جرينر لابد أن هذه ستكون المرة الخامسة التى أقرأ فيها **البيان الشيوعى** من عبارة: تاريخ كل المجتمعات التى وجدت فى الماضى هو تاريخ الصراعات الطبقية حتى عبارة «يعلن الشيوعيون طرحه أن أهدافهم يمكن أن تتحقق فقط عندما تتم الاطاحة بالنظام الاجتماعى برمته بقوة السلاح »

وصولا إلى الخاتمة التى تهز المشاعر:« لا يملك العمال ما يفقدونه سوى أغلالهم إن أمامهم عالما بأكمله للفوز به ! يا عمال العالم إتحدوا!».

وليست خافية بالطبع لهجة السخرية فى اختيار العبارات منزوعة من سياقها لاخفاء تفسير المعلق اليمينى الذى يؤكد أنه فى البداية -فى قراءته الأولى للبيان الشيوعى -تأثر كثيرا بماركس خاصة عندما أدرك أنه كان شديد الاعجاب بشكسبير .. لكنه ما لبث أن أدرك استحالة «الاطاحة» بدولة حديثة منظمة بمجرد قيمة الغوغاء فى الشوارع».

وبطبيعة الحال لا ينتهى مقال«**جرينر** قبل أن يذكر بأن النهاية كانت فى«سقوط الاتحاد السوفيتى بعد- أن سقط عشرات الملايين من البشر فى محاولة فاشلة لخلق دولة مثالية».

وليس هناك ما أوضح من نصيب مقال هذا المعلق من الغوغائية والسطحية . أنه يتجنب كلية مناقشة أفكار **البيان الشيوعى .وحسنا فعل فهذه حدوده.**

* جيمس جلاسمان يحمل لقب الزعامة فى «**معهد أمريكا انتربرايز**» أحد مصانع الأفكار اليمينية الموالية لقطاع الأعمال فكريا وتنظيميا وماليا فى واشنطن . وقد كان هذا المعهد فى الثمانينات بين نجوم المراكز البحثية فى حقبة الدفاع عن فلسفة الرئيس الأسبق **رونالد ريجان** الاقتصادية والاجتماعية ، التى أطلق عليها بعض اساتذة هذا المعهد وباحثيه وصف «**الثورة الرأسمالية**» واكتفى غيرهم بوصفها ب«**اقتصاد العرض**» ، ولم يلبث هذا المعهد أن خبا نجمه وتراجع دوره كثيرا فى رسم السياسة الاقتصادية الأمريكية عندما بدأت أمريكا تغوص فى أطول فترة انكماش اقتصادى .. وهى الفترة التى لم تطف منها على السطح إلا ابتداء من عام ١٩٩٣.

جلاسمان بدوره كتب مقالا فى صحيفة «**واشنطن بوست**» بعنوان «**يد كارل ماركس الخفية**» بدأه مباشرة بالتساؤل :«**هل وصلنا إلى هذا الحد؟ فى الاحتفال بالذكرى المئوية لصدور البيان الشيوعى تعلن دار فيرسو للنشر أنها ستنشر طبعة فاخرة من هذا المنشور الثورى الشهير .. وتعلن أن هذه الطبعة ستنزل إلى الاسواق فى أول مايو (اشارة إلى عيد العمال العالمى.. الذى لا تحتفل به أمريكا ، إذ يقع عيد العمال الأمريكى فى موعد آخر هو الاثنين الأول من شهر سبتمبر من كل عام).**

ويستمر **جلاسمان** الذى يفترض أنه باحث من الطراز الأول فى ذلك المعهد المرموق الذى يضم نخبة من الساسة الجمهوريين وأساتذة الاقتصاد والساسة المحافظين -فى التساؤل السطحى :«**لم يتغير العالم عما كان عليه**

عام ١٩٨٩ (تاريخ سقوط سور برلين) وبالأحرى عما كان فى عام ١٨٤٨ (تاريخ صدور البيان الشيوعى) مع ذلك يبدو أن كارس ماركس لا يموت ، بل ويبدو أن الماركسية أبعد ما تكون عن الموت ،حتى وان كانت نظرياتها الاقتصادية -مثل قولها بافقار الطبقة العاملة- قد تم تفنيدها تماما.

يحاول **جلاسمان أن يرفع مستوى الحديث قليلا فيقول إن** جورج ريسمان-وهو واحد من الاقتصاديين المحافظين القلائل الذين يأخذون الماركسية بجدية يكتب قائلا أن الماركسية لا تزال تقوم باعتبارها الأساس الفكرى لبرنامج اقتصادى واجتماعى كامل للنزعة الليبرالية فى القرن العشرين» . ثم يشكو **جلاسمان** «حتى فى الولايات المتحدة لا نزال نعرف أنفسنا بالطبقة، بتقسيمات على أساس الخطوط التى حددها **ماركس** .فى مسح جرى عام ١٩٩٦ وصفت نسبة ٤٥٪ من الأمريكيين أنفسهم بأنهم «طبقة عاملة» أى بروليتاريا ، ونسبة ٤٥ بالمائة وصفت نفسها بأنها من «الطبقة المتوسطة» ، أى البورجوازية.

ولا يتقدم هذا الباحث الأمريكى خطوة واحدة ليشرح اعتراضه على هذا . لكنه يقول أن السياسيين فى أمريكا يواصلون بدأب وبنجاح ضرب هذه المجموعات بعضها ببعض .(كأنه يوافق على الصراع الطبقى ، لكنه يعتبر أنه فعل ارادى يتحكم فيه السياسيون(٤).

ثم يفجر جلاسمان مفاجأته . قنبلة نظرية حقيقية حين يقول : «ليس من قبيل الصدفة أن ماركس وضع فى البيان الشيوعى «ضرائب الدخل التصاعدية والثقيلة» ،كالتى توجد الآن فى الولايات المتحدة ، باعتبارها وصفته رقم اثنين لتحريك البروليتاريا نحو التفوق ، لكى تنتزع رأس المال كله من البورجوازية ، ولكى تحقق المركزية لكل أدوات الانتاج فى أيدى الدولة».

نحن- إذن- أمام مدافع مستميت عن مصالح الرأسمالية الأمريكية -يصل فى دفاعه عنها إلى حد اتهام الدولة القائمة فى الولايات المتحدة اليوم بأنها تطبق «البيان الشيوعى» بما تفرضه من ضرائب الدخل على رأس المال .ذلك أن الدعوة إلى إلغاء ضرائب الدخل دخلت البرامج الانتخابية لأكثر عناصر اليمين الأمريكى تطرفا ، ويرون فيها أقصر السبل للفوز فى الانتخابات القادمة.. كل الانتخابات(..).

لكن ، ليس كل كتاب اليمين خائفين من **عودة الماركسية** أو الماركسية الخفية حتى داخل



جوزيف ستالين

الحكومة الأمريكية .. **بعضهم لا يزال متمسكا بأن سقوط الاتحاد السوفيتى أنهى الحرب الباردة وأنهى معها اليسار واليساريين وأخطارهم وقضى على مصداقية أفكارهم.**

**** ريتشارد هاروود-** من الكتاب المنتظمين فى صفحة الرأى فى جريدة **واشنطن بوست** -كتب مقالا بعنوان« **الباحثون بلا جدوى عن شعار**» يظهر فيه قدرا أكبر من الهدوء ازاء التطورات المحيطة به . يقول فى مقاله (يوم ١٣ أبريل الماضى) : «ميادين القتال هادئة الآن والجدال الخطابى بين اليسار واليمين أصبح أكثر دماثة . فإن انهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الرأسمالية فى أرجاء الكرة الأرضية قد قوض الروح المعنوية للراديكاليين من اليسار وحرم الراديكاليين من اليمين من قضية حية وغير معجم ألفاظ السياسة .**لقد بزغ عالم جديد من الحرب الباردة تبدو فيه موضوعات الماضى وشعاراته ضعيفة وغير ملائمة».**

*** الفكر اليسارى الأمريكى يثبت الان أنه- وكان دائما- أكثر حيوية من الفكر «الرسمى» السوفياتى بينما الفكر اليمينى يكشف انه يعانى من الضحالة والافلاس.**

*** صراخ كتاب اليمين من «عودة الماركسية» أعلى مما كان فى أى وقت .. وأحدهم يتهم الحكومة الأمريكية بتطبيق «البيان الشيوعى».**

قد يبدو هاروود للوهلة الأولى حريصا على أن تكون له وجهة نظر متوازنة ،خاصة حينما يقول أن اليسار المتطرف تحطمت روحه المعنوية واليمين المتطرف فقد القضية التى كان يصارع من أجلها . لكن توازن هاروود الظاهرى لا يستمر طويلا . انه يضيف: «خلال معظم القرن العشرين كان السؤال الأكبر هو أى نظام اقتصادى هو الذى سيسود . وقد أجيب على هذا السؤال : الرأسمالية وربما لا تزال هناك قضايا ومجادلات تقسيمية حول أفضل السبل للالتحام مع النظام ، إلا أنه لا يوجد سياسى أمريكى جاد يفكر مجرد تفكير -فضلا عن أن يقترح -فى بدائل لحرية السوق».

وهكذا يكون معلق «واشنطن بوست» السياسى هاروود قد فقد التوازن إلى حد انكار وجود معارضة للرأسمالية .. ليس فى أمريكا فحسب- بل فى «أنحاء الكرة الأرضية» ، بما فيها العالم الثالث(..) وينتهى إلى النتيجة الواضحة التالية : «لقد أصبح اليسار الراديكالى من الأنواع المنقرضة».

**

فى الأسبوع نفسه الذى نشرت فيه هذه المقالات الثلاث التى اخترناها كنماذج لمخاوف اليمين وحديثه عن الماركسية العائدة، وفى الوقت الذى حمل فيه الكتاب اليمينيون الثلاثة أقلامهم للتحذير أو السخرية أو اظهار ثقة زائفة بالنفس ، نشرت صحيفة «واشنطن بوست» (١٧ أبريل) تحقيقا عن المدى الذى وصل إليه فقدان الرأى العام الأمريكى الثقة بمؤسسات السلطة (التى تشكل فى مجموعها ما يطلق عليه وصف النظام الأمريكى) . وقد أظهرت نتائج الاستطلاع الذى أجراه «مركز بيو لبحوث الشعب والصحافة» واستندت إليه واشنطن بوست» فى كتابه هذا التحقيق ،بما يلى :

*** ٤٧ بالمائة من الأمريكيين لا يثقون بالكونجرس الأمريكى (السلطة التشريعية) ونسبة الذين يثقون به ٣٢ بالمائة ، والباقون ٢١ بالمائة لا رأى لهم.**

*** ٧٧ بالمائة من الأمريكيين لا يثقون بالمسئولين الذين يعينهم الرئيس (أى الذين لا يخضعون لتصديق الكونجرس عند تعيينهم) ومن هؤلاء مستشاروه المباشرون (للأمن القومى مثلا) ومساعدوه السياسيون والقانونيون .. الخ .**

*** ٨١ بالمائة من الأمريكيين لا يثقون بالموظفين المدنيين فى الحكومة الأمريكية . وهم الموظفون التنفيذيون الذين لا يتغيرون بتغير الرئيس أو الادارة أو حزب الأغلبية فى الكونغرس.**

*** تبين من الاستطلاع أنه على الرغم من أن الجمهوريين يسيطرون على الأغلبية ،فى مجلس الكونجرس فى الوقت الحاضر.. الشيوخ والنواب- إلا أن نسبة الذين أدرجوا أنفسهم كديمقراطيين بلغت ٤٢ بالمائة ، والمستقلون ٣٧ بالمائة ، والجمهوريون ١٧ بالمائة فقط. أي أن التكوين الحالى للمحليين لا يعبر على الاطلاق عن تمثيل ديمقراطى حقيقى لاتجاهات الرأى العام.**

الأسبوع نفسه- منتصف أبريل- كان الأسبوع الذى يقع فيه « أصعب يوم على الأمريكيين على مدار السنة ، وهو اليوم الأخير من مهلة تقديم إقراراتهم الضريبية .(لكى نقرب معنى صعوبة هذا اليوم فانه أقرب ما يكون إلى يوم انتظار نتائج الثانوية العامة بالنسبة للطلاب والأباء فى مصر فى هذا اليوم،هو١ أبريل - أذيع تقرير «من **معهد بحوث السياسة**» أبرز المعاهد التقدمية فى العاصمة الأمريكية واشنطن ويتمتع باحترام واسع في الأوساط السياسية والاجتماعية(**عدا اليمين المتطرف)**- أظهر أن«**مصلحة الايرادات العامة» (مصلحة الضرائب الأمريكية) تحولت فى السنوات الأخيرة إلى سوط يلاحق الفقراء وذوى الدخل المحدود ، وتتغاضى فى مراجعاتها الحسابية عن الاثرياء وعن المؤسسات الكبرى.**

وبالارقام أظهر التقرير أنه حدث انخفاض فى العام الماضى بنسبة **٧٥ بالمائة** فى أعداد الأمريكيين الذين يربو دخلهم السنوى على **١٠٠ ألف دولار** والذين تخضع مصلحة الايرادات العامة تقاريرهم الضريبية للفحص الدقيق، وأنه فى العام نفسه **حدث ارتفاع بنسبة ١٠٠ بالمائة فى أعدادالأمريكيين الذين لا يتعدى دخلهم السنوى ٢٥ ألف دولار والذين تخضعهم المصلحة لفحص دقيق لمعرفة أى خطأ فى تحرير اقراراتهم الضريبية** .والاقرارات الضريبية الأمريكية -بالغة التعقيد إلى حد أنها تتطلب من المواطن الأمريكى الاحتفاظ بكل إيصال عن مشترياته ونفقاته وايراداته الأساسية والفرعية (حتى ايصالات بنزين السيارة وأجرة التاكسى)ليس فقط لمدة سنة،. وإنما لمدة سبع سنوات كاملة،هى الفترة التى يمكن لمصلحة الضرائب أن تراجعه بشأنها. ولهذا فإن القادرين يلجأون إلى مراجعين حسابيين متخصصين يحررون لهم استمارات الاقرار الضريبى . وأجورهم أعلى من أن تسمح لأصحاب الدخول المحدودة «بالاستعانة بهم».

ومعنى هذا أن **مصلحة الايرادات العامة الأمريكية تمارس «شطارتها» على أولئك الذين لا يستطيعون الاستعانة بمراجعين محترفين** مهمتهم جعل الاقرار الضريبى يبدو لمراجعى الحكومة مضبوطا ومقنعا . ويجدر بالذكر هنا أن الغالبية العظمى من المراجعين الذين يقدمون خدماتهم للأغنياء فى تحرير اقراراتهم هم من الموظفين السابقين فى مصلحة الضرائب ، يعرفون أسرار عملها وطريقة مراجعتها الحسابية للاقرارات.

والنتيجة **يعرفها الجميع وهى أن الأكثر ثراء هم الأقدر على الالتفاف على قوانين الضرائب.. والأكثر فقرا هم الذين يدفعون ويظلون فى حالة رعب من أن يكونوا قد نسوا دولارا هنا أو هناك . فالسجن بانتظار من يقاوم مصلحة الضرائب.**

وقد تبين أنه بعد آخر رفع للحد الأدنى للأجور للعمال الأمريكيين بعد معركة ضارية ضد الشيوخ والنواب الجمهوريين الديمقراطيين على السواء، من المدافعين عن مصالح رجال الأعمال -**بقى دخل الحد الادنى السنوى أدنى من خط الفقر بنحو ٢٦٠٠ دولار سنويا** ،ولهذا بدأت معركة جديدة بين أنصار رفع الحد الادنى للأجور مرة أخرى وأنصار القول بأن رفع الأجور الدنيا« يجبر» رجال الأعمال والشركات على فصل أعداد كبيرة من العمال، وفى أقل الأحوال يجعلهم يحجمون عن خلق وظائف جديدة فى شركاتهم لهؤلاء العمال حتى لا تنخفض ارباحهم.

والمعركة دائرة على أشدها ، **وينتظر أن تلعب دوراً أساسيا فى حملة انتخابات الكونغرس التى ستجرى فى شهر نوفمبر القادم .. ويقود اليسار الأمريكى فى تنظيماته السياسية والجماهيرية وفى الاتحاد العام للعمال ومن خلال كتابه ومعلقيه معركة تأييد رفع جديد للحد الأدنى للأجور . ولم تعد الدعوة إلى اتخاذ هذه الخطوة تظهر فقط فى الصحف الشيوعية ونشرات التنظيمات اليسارية.**

قبل أسابيع قليلة كتب **دانييل هالبرين** أستاذ القانون بجامعة **هارفارد** مقالا فى صحيفة «**لوس انجليوس تايمز** - وهى واحدة من أوسع الصحف القومية الأمريكية انتشارا ، قال فيه:« أن كل الخطط المطروحة لاصلاح النظام الضريبى تحابى الأغنياء . وذهب إلى حد المطالبة باصدار قانون يلزم الشركات وأصحاب الاعمال بالاسهام فى صندوق معاشات العاملين لأن الأوضاع الحالية لأصحاب الدخول المحدودة لا تمكنهم أبدا من تحقيق توفير مالى يضمن لهم العيش بعد التقاعد.

بل كتب اثنان من الشيوخ الديمقراطيين -هما **ادوارد كيندى وديفيد بونيور**- مقالا نشر فى عدد من الصحف القومية الأمريكية -قال فيه« إن العمال الأمريكيين يستحقون أن يحصلوا على أجور تحفظ كرامتهم» وأشارا إلى أن الفضل يرجع إلى العمال الأمريكيين فى الانجازات التى حققها الاقتصاد الأمريكى فى السنوات القليلة الأخيرة.. وبالأخص ارتفاع الكفاية الانتاجية للعامل الأمريكى إلى« مستويات تاريخية جديدة».

وليس خافيا أن حماس عناصر كثيرة من السياسين التقليديين داخل الكونجرس وخارجه- للدفاع عن اقتراح كهذا يتبناه اليسار بكل درجاته منذ البداية ، إنما يرجع إلى شعور حقيقى بأن اليسار عاد أنشط مما كان فى أى وقت منذ مقاومته لحرب فيتنام ، والخشية من العودة إلى اعتماد أساليب اليسار فى المقاومة والنضال من أجل حقوق الطبقة العاملة، ومنها الاضراب ،ان ثمة **قلقا من بروز دور اليسار الأمريكى إلى حد «سرقة الأضواء» من السياسيين التقليديين من الحزبين**، وهو تعبير استخدمه عديد من المعلقين الليبراليين الذين يبدون فى الآونة الأخيرة تعاطفا مع قضايا اليسار، دون التعاطف مع اتساع دوره.

ونعنى بهذا أنه فى الوقت الذى يصعد نجم اليسار وحركته فى الأوساط العمالية وأوساط الأقليات وكذلك أوساط المثقفين ، وباعتراف الكتاب الليبراليين والمحافظين ، وحتى عن اليمين المتطرف ، **فان السير مع مطالب اليسار جزء من الطريق لا يمنع خصوم اليسار، بدرجات خصوماتهم المختلفة- من أن يقفوا بكل شدة ضد نمو دور اليسار ومنظماته وجماهيره.**

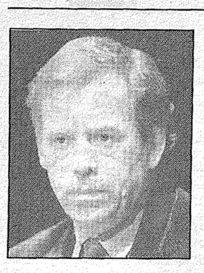
لا مانع من تأييد رفع جديد للحد الأدنى لأجور العمال ، لا مانع من كشف انحياز القوانين الضريبية وغير الضريبية ضد الفقراء .. **لكن الموانع كلها تظهر بوجه اتساع نفوذ اليسار السياسى وسط العمال . بوجه قرار الاتحاد العام للعمال الأمريكيين -بقيادته اليسارية الجديدة- بخوض انتخابات الكونجرس بمرشحين نقابيين . بوجه ارجاع الفضل فى وقف خطة استخدام القوة العسكرية ضد العراق فى الازمة الأخيرة إلى حركة السلام الأمريكية بقيادة اليسار الشيوعى فى الجامعة..**

حتى حينما نتحدث عن«**رد الاعتبار**» لليسار الأمريكى ، ينبغى أن لا يفوتنا أنها معركة ، وأنها جزء من الصراع الطبقى المستمر .. وليست مجرد معركة إعلامية أو برلمانية هادئة أو تبقى هادئة.

وهى فى الأساس معركة تعكس اشتداد ضراوة الرأسمالية الأمريكية داخليا وعالميا .. وتعكس فى الوقت نفسه- وبالقدر نفسه- تصميم قوى اليسار فى المجتمع الأمريكى على التصدى لها دفاعا عن مصالح حياتية جوهرية وليس فقط عن مواقع على الخريطة السياسية أو الثقافية لهذا المجتمع.



ناقوس خطر العنصرية يدق فى المجتمع التشيكى



كان يوم الثانى من نوفمبر عام **١٩٩٧** يوما أسود وعصيبا من أيام الجالية السودانية والطلاب والأجانب المقيمين فى الجمهورية التشيكية. فى الساعات الأولى من صباح ذاك اليوم المشئوم **قام اثنان من حليقى الرؤوس بالاعتداء على المواطنين السودانيين، الدكتور حميدلى عبد الرحمن عبد الكريم الذى تعرض للضرب المبرح بالجنازير والطعن بالمدية وعلى طالب السنة النهائية بكلية الاقتصاد فى جامعة شارل حسن الأمين عبد الرضى الذى تعرض للطعن بمدية حادة أودت بحياته**. وقد داهم المعتديان المرحوم **حسن وزميله** الدكتور **عبد الرحمن** عندما كان يهمان بدخول السكن الجامعى للطلاب وتعقباهما إلى داخله وإنتهت المطاردة بقتل **حسن** أمام أعين الخفير وبعض الطلاب.

لقد أثارت هذه الجريمة البشعة ردود فعل غاضبة عنيفة على المستويين الشعبى والرسمى ووسط أفراد الجاليات الأجنبية فى الجمهورية التشيكية وكذلك على صعيد الرأى العام العالمى وخاصة الأوروبى، لأنها شكلت أحد قمم الاعتداءات العنصرية التى يمارسها أفراد «**حركة حليقى الرؤوس**» ضد مواطنى الجمهورية من الأقلية الغجرية وضد الملونين الأجانب، والتى أصبحت ظاهرة شبه يومية فى حياة المجتمع التشيكى. وحسب المعلقين السياسيين ورجال القانون ومنظمات حقوق الانسان فان **هذه الظاهرة بدأت تهدد أمن واستقرار المجتمع التشيكى وتسئ إلى سمعة الجمهورية فى الخارج** وخاصة فى الوسط الأوروبى الذى تسعى تشيكيا الانضمام إلى مؤسساته المدنية والعسكرية وفى مقدمتها الاتحاد الأوروبى.

وفى غضون أقل من أسبوعين على جريمة قتل الطالب السودانى **حسن الأمين** اعتدى زهاء عشرة من **حليقى الرؤوس** على مواطن أردنى وأخر يمنى بالضرب المبرح فى مترو الأنفاق بالعاصمة براغ. وحسب ما أوردته صحيفة «**بليسك**» التى أوردت الخبر فى عددها الصادر بتاريخ **١٨-١١-١٩٩٧** أن أجنبيا آخر لم تعرف هويته وجد ملقى على أرض المترو مضرجاً بدمائه. وذكرت الصحيفة أنه تم القبض على اثنين من المعتدين وأن أحدهما يعمل لحساب وكالة أمن خاصة إسمها «**بينكترون**».

وفى الخامس والعشرين من نفس الشهر تعرض مقر الملحق العسكرى المصرى إلى اعتداء حيث رمى المقر بالحجارة وكسرت النوافذ وجرت محاولة اقتحامه وكان ذلك مصحوبا بالشتائم والصراخ بشعارات عنصرية.

مواطنو الجمهورية التشيكية من الأقلية الغجرية يتحملون العبء الأكبر من التفرقة والاعتداءات العنصرية. **وخلال السبعة أعوام المنصرمة قتل حوالى اثنين وعشرين من أفراد الغجر على يد حليقى الرأس**، وأحرق عدداً كبيراً من المنازل وقد صدرت أحكام ضعيفة ضد الذين قدموا لساحة القضاء الأمر الذى أدى فى العام الماضى إلى هجرة واسعة بين الغجر إلى غرب أوروبا وكندا وتبع ذلك اتصالات وتحركات دبلوماسية على أعلى مستوى أجهزة الدولة التشيكية مع نظيراتها فى تلك الدول لايقاف الهجرة، إلا أن **السلطات التشيكية ظلت حتى اليوم عاجزة عن وضع حد للاعتداءات والنشاطات العنصرية التى يمارسها حليقو الرؤوس.**

هنالك عدة أدلة تؤكد صحة ما ذهبنا إليه والتى من بينها جريمة القتل المروع التى شهدتها إحدى مدن الاقليم الشرقى للجمهورية التشيكية، حيث قام ثلاثة من أفراد «**حركة حليقى الرؤوس**» يوم ١٥ فبراير من هذا العام باغراق الغجرية **هيلينا بيهاريوفا** البالغة من العمر **٢٦ عاما** والتى حاولت الصحفية **إيلشكا بيلارشوفا** التى تعمل فى الاذاعة التشيكية إنقاذها عندما قفزت إلى الماء لانتشالها إلا أننا لم تنجح.

حضر تشييع مراسيم الجثمان عقيله رئيس الجمهورية **فاتسلاف هافل** والوزير **فلاديمير ملينارش** المتحدث باسم الحكومة والمسئول فى نفس الوقت عن قضية الأقليات القومية الذى أكد فى كلمة قصيرة أن العنصريين التشيك هم الذين قتلوا هيلينا بيهاريوفا.

أفراد الجالية الغجرية الذين شاركوا فى مراسيم التشييع وجهوا إتهامات للدولة والحكومة بأنها لا تريد حمايتهم من الاعتداءات العنصرية، كما طلبوا من عقيلة السيد رئيس الجمهورية أن تدعو زوجها للقيام بخطوات لتوفير الحماية والأمن لهم. كما

رسالة براغ

د. محمد مراد الحاج

الفاشية تطل براسها من جديد



.. وفي المانيا .. النازيون الجدد

طالبوا الوزير **مليناش** أن يطلب من الحكومة الأمريكية السماح لهم بالهجرة إلى هناك. وحسب تصريح صادر عن منظمة الغجر المسماه«**المبادرة الغجرية المدنية**»أن حوالى **٢٠٠** أسرة فى شمال مورافيا أبدت الرغبة فى الهجرة.

كل ما حدث ويحدث اليوم واحتمال ما سيحدث فى المستقبل من اعتداءات ونشاطات عنصرية خطيرة على امتداد الساحة التشيكية ، ناتج من أن **الحركات الفاشية بدأت فى الظهور والنمو على مرأى وعلم من أجهزة الدولة وأفراد المجتمع والتى أصبحت تشكل جزءا لا يتجزأ من نسيج ذلك المجتمع.**

فى شهر مايو فى العام المنصرم ظهرت حركة متطرفة فى **جنوب مورافيا** تطلق على نفسها اسم«**حركة الوحدة القومية**» التى تصدر مجلة باسم«**شرفنا**» وتعلن هذه الحركة انتماءها للفاشية الايطالية وتقوم بتدريب أفرادها على السلاح.كما ظهرت أيضا منشورات فاشية عنصرية باسم«**الأمة الجديدة**» ، و«**مشعل اليوم**».

بالاضافة إلى ذلك أن **حركة حليقى الرؤوس دأبت على الاحتفال كل عام بمناسبة ذكرى ميلاد الزعيم النازى أدولف هتلر** ويشارك فى هذه الاحتفالات أفراد من حركة حليقى الرؤوس من خارج الجمهورية التشيكية.

وكما أسلفنا من قبل فان حادث اغتيال الطالب السودانى **حسن الأمين** آثار موجة عارمة من الغضب والاحتجاج وسط قطاعات واسعة من المواطنين التشيك الذين عبروا عن إدانتهم للجريمة عبر وسائل الاعلام بصورة مكثفة وفى التظاهرات التى نظمها الأساتذة وادارة الجامعات وطلابها الذين عبروا عن تضامنهم مع أسرة الفقيد والجالية السودانية.

بعد مرور يومين فقط على حادث القتل دعت **عمودية مدينة براغ** إلى تظاهرة جماهيرية أمام مبنى كلية الاقتصاد والتى شارك فيها أساتذة الجامعة والطلاب وجمع غفير من المواطنين التشيك والأجانب ،كبار السياسيين وقادة الاحزاب والوزراء الذين كان في طليعتهم السيد رئيس مجلس النواب **ميلوش زيمان** ورئيس مجلس الشيوخ السيد **بيتر بتهارت** ونائب رئيس الوزراء السيد **يوزف لوكس** ونائب رئيس الوزراء الثانى السيد **سكالينسكى** وكذلك السيد وير الداخلية ووزير المالية وممثل مكتب السيد رئيس الجمهورية وأخرين.

وقد خاطب كل هؤلاء المتظاهرين **وطالبوا بتطبيق القانون بحزم وأن تأخذ العدالة مجراها فى هذه القضية.** ألقى أيضا ممثل الجالية السودانية طالب الدراسات العليا فى الاقتصاد **محمد محمد الحسن** الذى رافق جثمان الفقيد إلى السودان كلمة فى هذه المناسبة. تحدث أيضا السفير السودانى المقيم بالنمسا البروفسير **أحمد عبد الحليم.**

شهدت كذلك مدينة«**برنو**» عاصمة الاقليم المورافى مظاهرة شديدة ضمت حوالى **١٠ الاف مواطن** وخاطبت المظاهرة عمدة المدينة السيدة **داغما- لاستوفيسكا** التى طالبت بضرورة تطبيق القانون والتصدى بحزم لمثل هذه الحالات.

تحدث فى التظاهرة كذلك نائب مدير الجامعة الذى دعا إلى الاستمرار فى التصدى لظاهرة العنف العنصرى بصورة منتظمة.

كما شهدت أيضا مدينة«**كارلوفى فارى**» السياحية مظاهرة شارك فيها طلاب المدارس الثانوية والمعاهد الذين طالبوا باتخاذ موقف صارم تجاه جماعة حليقى الرؤوس. بالاضافة إلى ذلك نظمت مظاهرات فى مدن أخرى كمدينة «الوموس» و«شسكى بوجيوفتسه».

الجالية السودانية تصدرت حملة الاحتجاج على جريمة قتل المرحوم حسن الأمين والاعتداء على الدكتور عبد الرحمن عبد الكريم. جاء فى البيان الذى أصدرته الجالية فى نفس يوم الحادث:«أن هذا الحادث الخطير يعكس عمق النزعات العنصرية لهذه الجماعة المسماة **بحليقى الرؤوس** ويبنى المستوى الخطير الذى وصلت إليه الاعتداءات المتكررة التى يقومون بها ضد الأجانب وخاصة الملونين المقيمين بالجمهورية التشيكية إضافة إلى الغجر..

وتوجه البيان بنداء إلى منظمات حقوق الإنسان التشيكية والعالمية والمنظمات الدولية إدانة الحادث وطالبها بالعمل على كشف المنظمات والجماعات العنصرية التى تقوم بالاعتداءات العنصرية وتستبيح دماء الأجانب.كما طالب البيان المسئولين التشيك القيام بواجبهم الذى تمليه عليهم القوانين والاتفاقات والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الانسان . طالب البيان أيضا المسئولين فى البعثات الدبلوماسية العربية القيام بكل ما من شأنه أن يؤمن أوضاع المواطنين العرب فى الجمهورية التشيكية.

فى خضم ذلك السيل العارم من الغضب والاحتجاج نشرت كبرى صحف الجمهورية التشيكية «**دنيس**» مقاله لرئيس الجمهورية **فاتسلاف هافل** فى عددها الصادر بتاريخ ١٥-١١-٩٧ تحت عنوان :«**لقد قللنا من شأن العنصرية .. ذلك الشيطان المدمر**» جاء فيه:

«لقد فتحت جريمة قتل الطالب السودانى **حسن الأمين عبد الرضى** بالحاح جديد وتشديد ملف العنصرية التشيكية وأيقظت الرأى العام والسياسيين فى بلدنا من نومهم وفرضت علينا جميعا ضرورة البحث عن سبل لمقاومة العنصرية في مجتمعنا.**إن ذلك لن يخفف من آلام أهل الطالب القتيل وأصدقائه، ولكننى**

حركة حليقى الرأس
تعتدى على الأقلية الغجرية
وعلى الأجانب الملونين

أنظر إلى مقتله نظرتى إلى تحد قوى يضفى على الفقيد طابع الضحية».

فى هذا السياق كتب الدكتور **مجيد الراضى** أحد القانونيين والكتاب المهتمين بالأدب والثقافة وقضايا السياسة المتصلة بحياة الناس ومستقبل الأجيال والمدافع بقوة وصبر عن حقوق وكرامة الإنسان ،مقالة حول العنصرية بوصفها «**ثمرة الانغلاق الثقافى والحضارى**»،مشيرا إلى أن« **مقتل الطالب السودانى حسن الأمين عبد الرضى فى٨-١١-٩٧ كان مثلا صارخاً على نزعة العنف العنصرى الاجرامية . وأن العنصرية حالة مركبة ومعقده وما ينبغى لنا أن نبسطها..** وأن حقبتنا التاريخية الراهنة لتشهد إنبعاثا لنظرية «الصدام بين الحضارات» بعد أن كانت قد دفنت الفاشية بثمن باهظ يقدر بخمسين مليون إنسان، فضلا عن الخسائر المادية الهائلة والخراب الروحى العاصف الذى لا تزال أصداؤه تتردد فى كل ثقافات العالم».

جاء فى هذا الصدد أيضا بيان« **الجمعية التشيكية العربية**» الصادر بعد انعقاد اجتماعها السنوى فى شهر مارس هذا العام الذى أشار إلى ضرورة التركيز على عكس الجانب الايجابى فى الحضارة العربية وإبراز أسلوب الحياة والايمان والقيم الروحية والارث الثقافى بدلا من تركيز وسائل الاعلام على «الارهاب والاصولية والتطرف».كما أشار البيان إلى« تفشى الثقافة والقيم المشوهة، المستوردة فى الغالب، ثقافة العنف والكراهية والعدوانية والقمع التى تمثل تربة خصبة لتنامى العنصرية فى شكل عداء للعرب».

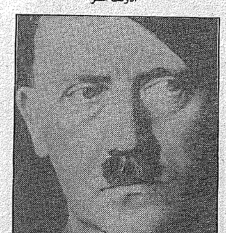
من بين السبل التى بدأ البحث عنها بعد مقتل **حسن الأمين** لمقاومة العنصرية فى المجتمع التشيكى والدفاع عن الذين يتعرضون للاعتداءات العنصرية كان تكوين« **منبر الكرامة الانسانية**» الذى يضم فى عضويته لفيفاً من رجال القانون وممثلين من منظمات حقوق الإنسان التشيكية غير الحكومية وممثلين للجاليات الأجنبية وآخرين .من بين المؤسسين للمنبر طالب الدراسات العليا فى القانون الأستاذ **فتح الرحمن أحمد هاشم** العضو القيادى فى منظمة حقوق الانسان السودانية التشيكية.

وما تجدر الاشارة إليه أن المنبر قد حظى بتأييد ودعم عدد من الشخصيات السياسية والاعلاميين وفى المقدمة السيد رئيس مجلس الشيوخ بيتر بتهارت الذى أعرب عن استعداده لدعم نشاط المنبر وتقديم المساعدة فى تنفيذ مهامه.

أول الأعمال التى قام بها المنبر كان متابعة الدعوى الجنائية التى قام برفعها جهاز النائب العام فى جريمة مقتل الطالب **حسن الأمين عبد الرضى** ضد القاتل **بيتر زيورنيك** من« **حركة حليقى الرؤوس**» البالغ من العمر **١٨ عاما ويان شيمبرتك** البالغ من العمر **١٦ عاما**. كما قام المنبر بمتابعة ما تكتبه وتنشره وتبثه وسائل الاعلام التشيكية فى هذا الموضوع.

وكنتيجة لقوة حركة الاحتجاج التى اجتاحت المجتمع التشيكى والضغط الأوروبى والنقد الحاد والإدانة التى تعرضت لها الجمهورية التشيكية فيما يتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان ،**اكتملت اجراءات التحقيق فى القضية فى فترة زمنية وجيزة** مقارنة بقضايا القتل والاعتداءات العنصرية التى سبقتهما ، وبدأت محكمة براغ وسط حراسة أمنية مشددة وحضور إعلامى مكثف يوم الاثنين ١٦-٣-٩٨ النظر فى القضية وقد استمعت المحكمة فى جلساتها التى استمرت اسبوعيا كاملا لأقوال ١٥ شاهدا. كما استمعت إلى بعض الخبراء فى مجال الجريمة والتحليل النفسى والطب الشرعى وأصدرت حكمها يوم الاثنين الموافق ٢٣ مارس ١٩٩٨ بادانة القاتل بيتر زيورنيك والحكم عليه بالسجن ١٤٫٥ عاما، وعلى يان شيمبرتك بالسجن لمدة سبعة أشهر مع وقف التنفيذ نسبة لصغر سنه.

ادولف هتلر



* **تجدر الاشارة إلى أن مجموعة من حركة حليقى الرؤوس الذين حضروا الجلسة الأخيرة للمحكمة، قاموا بتوزيع بيان باسم «الجبهة القومية التى تتخذ من مدينة «برنو» مقرا لها. البيان شكك فى الحكم وفى نزاهة المحققين الذين وصفهم بأنهم خاضعين لضغوط سياسية.**

* فى الجانب الآخر تابع الصحفى والكاتب التشيكى **بيتر أوول** وهو أحد المدافعين البارزين عن حقوق الانسان والحقوق المدنية وكان قد تعرض للاعتقال والسجن فى عهد النظام الشيوعى السابق، فى اليوم الثانى لإعلان قرار المحكمة نشر مقالا فى صحيفة «**برافو**» أشار فيه إلى **أن المجتمع التشيكى يتضرر من العنصرية وأعمال العنف وأنه إلى جانب الردع القانونى لابد أن يتصدى المجتمع ووسائل الاعلام للعنصرية.**

السيد رئيس مجلس النواب **ميلوش زيمان** صرح بأنه لا زال متمسكاً بدعوته باصدار أمر يمنع «**حركة حليقى الرؤوس**» وأشار إلى أن هذه الحركة على الرغم من أنها غير مسجلة رسمياً فى وزارة الداخلية إلا أنها حركة منظمة تصدر منشورات ولها نشاطات.

فى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن السيد رئيس الجمهورية قد ذكر فى المقالة التى نشرتها له صحيفة «**دنيس**» بتاريخ ١٥-١١-٩٧ إلى أنه « **يتوجب اتخاذ اجراءات قانونية ورفع دعاوى قضائية ضد جميع المطبوعات التى تروج آراء عنصرية واضحة أو مبطنة، وتدعو إلى الحقد**».

أما السيد **يوزف لوكس** نائب رئيس الحكومة فقد ذكر بانه توجد الادوات الكافية للتصدى «**لحركة حليقى الرؤوس**»، وعلى الدولة أن تتحرك بسرعة وحزم وتتصدى لجميع مظاهر التطرف العنصرى . ودعا فى نفس الوقت إلى ضرورة تخفيف حدة التوتر فى المجتمع.

* يقابل كل ما أسلفنا ذكره موقف أهل الفقيد وموقف الرأى العام السودانى وذلك منذ إعلان نبأ مقتل المرحوم حسن وحتى وصول الجثمان إلى السودان ودفنه ذلك **الموقف الذى اتسم بقدر عال من ضبط النفس والصبر والتسامح الذى عرف به أهل السودان.**

والد الفقيد، أرسل بتاريخ ١٠ يناير ٩٨ نيابة عن الأسرة رسالة للجالية السودانية فى تشيكيا عبر فيها عن شكره وتقديره ،للموقف الانسانى العظيم الذى وقفته والذى خفف عنهم كثيرا هول الحادث المفجع كما توجه بالشكر لشعب وحكومة الجمهورية التشيكية. وإدارة الجامعة والأساتذة والطلاب لتضامنهم مع الأسرة وتجهيز وإرسال الجثمان للسودان.

مرة أخرى.. مع طب الاعشاب

د. سمير حنا صادق

كما قلنا مرارا، يواجه كل علم حقيقى **علم زائف Pseudo Science** ويمثل العلم الزائف أحد المصادر الهامة للخرافة فى العصر الحديث. وكما يواجه علم الفلك بالمنجمين، يواجه **علم الفارماكلوجى** بالعطارين والعشابين والمعالجين بالاحجبة والتعاويذ.

وعلم الفارماكولوجى هو علم الأدوية: فعاليتها وسموميتها. وللجانب الأكبر مما نستعمله الآن من أدوية أصول بيولوجية نباتية أو حيوانية. والقائمة طويلة تشمل الأسبرين والكينين وأدوية القلب القديمة والمضادات الحيوية والهرمونات، فلكل من هذه الأدوية أصول بيولوجية ،**ولكن ما نتعاطاه من أدوية فى العصر الحديث قد مر خلال «مفرمة» العلم والدراسة النقدية الحازمة والحاسمة لعلم الفارماكولوجى** .نعم قد تحدث أخطاء ولكن آلية التصحيح فى العلم سريعة وباترة.

وتقوم هذه «**المفرمة**» بخطوات أساسية فى تحديد ما نتعاطاه من دواء . فهى:

أولا:تقوم بعزل المادة الفعالة وفصلها عما عداها من مواد أخرى قد يكون بعضها ساما.

ثانيا: تقوم بمعايرة هذه المادة الفعالة. فالمادة الفعالة فى عشب من قليوب تختلف كميا وأحيانا نوعيا عن المادة الفعالة فى العشب نفسه الوارد من أسوان.

ثالثا: تقوم بدراسة سمومية هذه المادة الفعالة نفسها. إن أغلب المواد الفعالة الموجودة بالنباتات الطبية يصنعها النبات للدفاع عن نفسه ضد المعتدين وللكثير من النباتات الطبية أثر ضار إذا لم تستعمل بعناية. حتى العرقسوس الذى يستعمل أحيانا كمهدئ للمعدة يؤدى استعماله إلى احتفاظ الجسم بكميات كبيرة من عنصر الصوديوم مما قد يؤدى بالتالى إلى الاستسقاء، وارتفاع ضغط الدم والوفاة.

رابعا: تقوم بدراسة فعالية الدواء . ودراسة الفعالية فى مجال الطب عملية فى منتهى الصعوبة ،وتحتاج إلى معرفة بشروط تطبيق المنهج العلمى على الدراسة باتباع شروط «**النموذج الارشادى» Paradign للبحث الطبى الاكلينيكى وتحتاج إلى دراسة واسعة بعلم« الاستنتاج الاحصائى» Statistical inference ورياضيات التفاضل والتكامل وقوانين الاحتمالات.**

وبتبسيط - أرجو ألا يكون مخلا- فإن شفاء مريض بعد استعمال دواء لمدة أسبوع يعنى أحد فروض منطقية عديدة منها:

أ- قد تكون المسألة مصادفة.

ب- قد يكون الشفاء نتيجة لما لاقاه المريض تحت الدراسة من عناية أثناء فترة التجربة.

ج- قد يكون من طبيعة المرض الشفاء بعد أسبوع.

د- قد يكون من طبيعة المرض الشفاء بعد يومين وأن الذى أجل الشفاء هو استعمال الدواء.

٥- قد يكون فى الدواء الشفاء.

وعلاوة على هذا كله، فقد يتلو الشفاء إصابة المريض بسرطان بعد سنتين. **وكل هذا يجب أن يدرس فى ظل اتفاقية هامة هى اتفاقية هلسنكى لإجراء تجارب على البشر، وهى الاتفاقية التى تم توقيعها بعد محاكمات نورمبرج الشهيرة التى ثبت فيها أن أطباء النازى كانوا يجرون تجارب على المعتقلين.**

خامسا: ويتلو هذه العمليات محاولة تصنيع مواد مشابهة للمادة البيولوجية وإن كانت أفضل فى الفعالية، وأوضح مثال لذلك ما حدث مع **البنسلين**:فقد كانت المادة الأصلية لها مدى قصير الفاعلية فى الجسم(٣ ساعات) ضعيفة المجال للفاعلية- أى ذات تأثير على عدد ضئيل من أنواع الميكروبات ولابد من إعطائها حقنا لأنها «تهضم» بعصائر المعدة. ولكن أمكن تخليق أنواع طويلة المفعول وأخرى يمكن تعاطيها بالفم. وأمكن أيضا تخليق أنواع لها فعالية على بكتريا لا يقتلها البنسلين الطبيعى. ولقد كان المصدر الأساسى لما يتعاطاه مرضى السكر من أنسولين هو بنكرياس الخنازير ولكن أمكن الآن باستعمال الهندسة الوراثية تصنيع أنسولين بشرى يتوفر الآن فى الأسواق ويتفوق فى فعاليته عن أنسولين الخنازير.

هذه- وغيرها- هى خطوات تحويل العشب الطبى إلى دواء، وهى خطوات تتطلب الاستعانة بالمعرفة العميقة لعلماء الرياضة والكيمياء وعلم وظائف الأعضاء والفيزياء والنبات والحيوان والفارماكولوجيا. وهذا هو الفرق بين الأعشاب والأدوية.

هل من المعقول ،مهما كانت الحجج، أن نتنازل عن كل هذه المعرفة الإنسانية؟.

هل من المعقول أن نطالب بالعودة إلى الانتقال بالحمير نظرا لانتشار **حوادث السيارات.**

ولكن ما هى أضرار التنازل عن العلم والاكتفاء بالعودة إلى الطبيعة وبطب الأعشاب؟.

بداية فلا مانع إطلاقا من بعض الاستعمالات البسيطة للأعشاب: فنحن جميعا قد نعالج الصداع بالقهوة والشاى ونعالج المغص البسيط بفنجان نعناع. أما أكثر من ذلك فهو كارثة.

مفرمة العلم وتحويل العشب إلى دواء

هل هناك اختيار بين العلم والخرافة!!

فالعشب يعطى المريض إحساسا كاذبا بالعلاج والأمان. والأم التى تعالج أبنها المريض بالسعال بورق الجوافة وينتابها الشعور بأنها قد أدت واجبها نحو ابنها المريض، قد تتسبب فى وفاته بالتهاب رئوى كان من الممكن شفاؤه بمضاد حيوى لو إنها أدت واجبها نحوه. والأسرة التى تعالج أبنها المصاب بالتهاب فى الحنجرة بشراب ساخن قد تتسبب فى إصابة قلب الطفل بروماتيزم القلب الذى يحطم صماماته ، أو أن تصاب الكلى بالالتهاب الذى يؤدى إلى الفشل الكلوى.

ولكن حتى هذا رغم خطورته ، ليس أخطر ما فى الموضوع. **إن هذا الأسلوب فى التعامل مع الواقع بالدعوة إلى ازدراء العلم والعودة إلى الكتب الصفراء هو بمثابة كارثة على دولة تواجه ما نواجهه تاريخيا وجغرافيا. فنحن تاريخيا** نواجه القرن الحادى والعشرين ونحن جغرافيا نواجه وحشا مفترسا مسلحا بالعلم الحديث، تبلغ فيه نسبة العلماء إلى السكان مائة ضعف النسبة عندنا. وهو يضع نصب عينيه محاولة التهامنا فى المستقبل.

وتمتد كراهية العلم وازدراء وحب الخرافة وتوقيرها إلى آفاق عديدة .فمن العلاج من لبن بقرة يشفى الأمراض أجمع، إلى ماء فى صنبور طبيب جراح له مفعول ساحر فى الشفاء، إلى طحلب فى الشاى له مفعول فى العلاج، إلى آخر هذه القائمة من أساليب العلاج الخرافية. **بل ووصل هذا الأسلوب إلى أكبر المراكز العلمية، حيث زعم مركز للبحث العلمى اكتشاف أعشاب تشفى فيروسات.**

ولعل أكثر هذه الأساليب انتشارا ما يدعى الانتساب إلى الدين.

ففى عام ١٨٥٨ زعمت فتاة رؤية العذراء مريم فى مدينة تدعى **لورد بفرنسا** . وقد زار هذا المكان منذ هذا التاريخ ما يربو على مائة مليون مريض لكافة الأمراض التى تصيب البشر من السل والأورام والرمد والنزلات المعوية .. ونشرت عشرات الآلاف من القصص عن شفاء مزعوم معجزة. ولكن الكنيسة الكاثوليكية رفضت هذه المعجزات إلا فى ٦٥ حالة: أى أن نسبة الشفاء تصل إلى حوالى واحد فى المليونين.

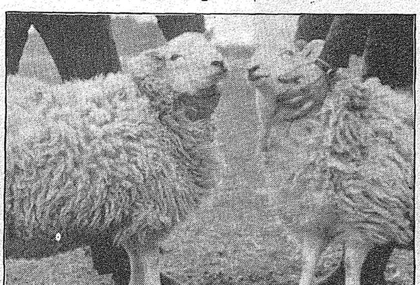
فإذا انتقلنا إلى ميدان السرطان، فإن الصورة تصبح أوضح : إذ يعرف علماء الأورام أن هناك نسبة معينة من الشفاء التلقائى تتراوح بين واحد فى المائة ألف إلى واحد فى العشرة آلاف . فإذا قارنا هذا بنسبة الشفاء من السرطان فى **لورد** لاكتشفنا أن بقاء المريض فى منزله يحقق نتيجة أفضل من مشقة الذهاب إلى لورد. وهو على كل حال ما كنا ننتظره حقيقة. **وعلاوة على هذه الأرقام الدامغة، فإن معجزات لورد ومعجزات غيرها من المعالجين بالدجل لم تشمل أبدا حالة واحدة لنمو عضو جديد بدلاً من عضو مبتور- وهو شئ أقل إعجازا من بعض العلاجات المدعاة.**

نعم ..من الممكن قبول بعض الحكايات الوجدانية الخرافية فى المجتمع.. ولكن **أن يصل الأمر إلى أن تقدم عشرات من رسائل الماجيستير والدكتوراه وأوراق الترقية فى اللجان الدائمة عن العسل الأبيض وحبة البركة، فهذه كارثة وهذا إفلاس وهذا كسل .**

وقد نشرت المراجع العالمية الطبية تقريرين هامين يوضح الأول أن غذاء الملكات يحتوى على كميات كبيرة من حبوب اللقاح التى قد تسببت فى بعض حالات الوفاة من الحساسية لها. ويوضح الثانى أن العسل الأبيض إذا لم يستعمل كما هو وإذا خفف بالماء فإنه يؤدى إلى زيادة النمو الميكروبى.

إن عودة الطب إلى امبيريقية ما قبل هيروفيليس (٣٣٠ ق. م) كارثة لا تهدد أنظمة العلاج فقط إنما تهدد مستقبلنا واختيارنا بين العلم والخرافة.


العلم.. واستنساخ النجمة دولى





جورج سوروس .. أشهر المضاربين الماليين

فى القرن العشرين .. قاهر الحكومات والعملات

والاسهم والسندات يكتب عن : التهديد الرأسمالى للرأسمالية

«إذا كان هناك فرد يمثل قمة النجاح المادى فى عالم الحرية المطلقة لقوى السوق فهو **جورج سوروس** هذا ما قاله المهندس **محمود الشاذلى** (مصرى أمريكى) وهو يلفت نظرنا إلى المقال الخطير الذى كتبه سوروس فى أحد أعداد مجلة «اتلانتيك مانثلى» الشهيرة الأمريكية الشهيرة، داعيا إيانا إلى ترجمته وتحليله ، لنفهم «قاهر الحكومات والعملات» قبل أن يجئ إلينا. إن المقال الذى يأخذ طابعا فكريا وفلسفيا ، ملئ بالمداورات، وهو يؤكد- وياللمفاجأة -ان اطلاق قوى السوق يمثل خطرا على الرأسمالية» لا يقل بحال عن خطر الشمولية والفاشية السابق. عنوان المقال الأصلى هو«التهديد الرأسمالى» وقد اضفنا من عندنا كلمة «للرأسمالية» لايضاح جوهر الموضوع ودون افتئات عليه.

لكن ماذا عن كاتب المقال وماذا عن أفكاره الأساسية؟ (سوروس يهودى مجرى ولد عام ١٩٣٠) وهاجر إلى لندن عام ١٩٤٧ وهناك التحق بـ«مدرسة لندن للاقتصاد» الشهيرة وبدأ العمل فى سوق المال بلندن ثم انتقل إلي نيويورك حيث حقق نجاحا مذهلا . ولسوروس شبكة من الجمعيات الأهلية يمكن اعتبارها رءوس حربة لأفكاره التبشيرية عن المجتمع المفتوح ،وهو ينفق على هذه الجمعيات ٣٥٠ مليون دولار سنويا . وكان قد بدأ العمل فى هذا السبيل بجنوب أفريقيا ، ثم انتقل إلى وسط أوروبا (بالذات بولندا وتشيكوسلوفاكيا) ثم إلى الصين إلا أنه انسحب من الأخيرة عام ١٩٨٩.

لا يترك لنا سوروس المجال لتعمق دوره فى تقويض النظم« الاشتراكية » فى أوروبا الشرقية فهو يتحدث بتفصيل عن ذلك.. وباعتداد . ان سوروس لم يؤثر فى الدول الاشتراكية فقط بل أنه أذل منذ سنوات قليلة حكومة بريطانيا ذاتها حيث كان على قمة مجموعة من المضاربين الذين راهنوا على بيع الجنيه الاسترلينى فى السوق المستقبلية متوقعين أنهم سوف يستطيعون شراء ما تعاقدوا عليه من الجنيهات الاسترلينية فى المستقبل بسعر أقل مقارنة بالعملات الصعبة الأخرى ، ولقد حاولت الخزانة البريطانية عبثا تدعيم سعر الاسترلينى بشراء فائض ما يعرضه المضاربون لكنها يئست فى النهاية وتركت عملة البلد« تعوم» وبذا تحققت خطة المضاربين وربح سوروس وحده خلال أسابيع ألف مليون جنيه استرلينى.

سوروس هو عبقرية مالية مذهلة. وهو فوق ذلك، وكما يظهر من المقال، يتمتع بقدرة فلسفية وتجريدية قلما تتوفر لفيلسوف أو مفكر، من هنا فان من الخطورة أن نكتفى بتصوير سوروس على هيئة الثعبان الاقرع أو الاخطبوط الذى له ألف ذنب ويبخ ناراً من عدة أفواه.

فعلت ذلك إحدى الصحف الاسبوعية مع موضوع عن التآمر السوروسى حين جاء أعوان السوروس إلى مصر لاستكشاف السوق). سوروس أخطر الف مرة من هذا الفهم المسطح. انظروا مثلا إلى ما يطرحه هنا..

إنه يتكلم بوعى عن فلسفات هيجل وكارل بوبر وماركس وداروين وغيرهم ويخرج عبر المتاهات الايديولوجية والفلسفية بفكرته الخاصة ، سوروس الرأسمالى العتيد يؤكد أن التهديد الرأسمالى الآن للرأسمالية هو العدو وليس الشيوعية أو غيرها . ويقول : المجتمع المفتوح مهدد بالخطر من الافراط فى الفردية ويرى أن «دعه يعمل دعه يمر» انحراف عن الحقائق العلمية المفترضة مثلما كانت الماركسية اللينينية ، وأن النظرية الاقتصادية تشوه موضوع البحث حتى تسهل الطريق أمام دعه يعمل .. متهما إياها بانها عبر التزييف والاختزال تقيم ايديولوجية معادية للمجتمع المفتوح.

كارل ماركس

يؤكد سوروس على دور الدولة بالذات فى التوزيع ، ويستشهد بمقولة فلسفية (المال مثل السماد الحيوانى لا يشكل خيرا ما لم يتم توزيعه) ، يعتبر سوروس أن التعاون جزء من نظام الطبيعة مثله مثل الصراع والتنافس . يتحدث عن أسبقية المصالح العامة على الخاصة ويتفلسف فيقول مثلا: لو كانت الحقيقة المطلقة بعيدة المنال فكيف نستطيع أن نقبل قابليتنا للخطأ كحقيقة مطلقة؟. سوروس يأس لضياع القيم وضياع السلام كما يأسف للنجاح الناجم عن التحايل على الحقيقة بل وإنكارها.

على كل لسنا من المفتونين بسوروس ولا توجهاته لكننا أوردنا ما سبق للتدليل على أهمية أن ننظر إلى خصومنا بما ينبغى من الجدية. وفى اعتقادى الشخصى ، وطبقا لمراجعات مع مصادر عرفت سوروس عن قرب، أن سوروس لا يحتاج إلى أن يضارب فى البورصة المصرية (فمكاسبها فى النهاية ملاليم بالنسبة إليه) لكنه سيدخل مصر أساسا من باب الترويج لافكاره عن «المجتمع المفتوح» وبغية خلخلة الموقف المركزى الاقتصادى المصرى، وربما السياسى أيضا. ولا ننسى هنا أن سوروس هو الداعم الرئيسى لمؤتمرات ديفوس (التى تروج لمقولة ان التعاون الاقتصادى هو الذى سيقود للسلام مع إسرائيل وليس العكس) . ان المقال .. المثير ، سيستدعى اختلافات عنيفة وردود سياسية وفكرية واقتصادية كثيرة كما نتوقع ونتمنى، بيد أن علينا قبل القراءة ، وقبل الردود أن نوجه الشكر للمترجمة القديرة السيدة **إكرام يوسف** على ترجمتها المترعة بالفهم والسلاسة وانضباط العبارة وبساطة العرض ، وأيضا على تفضلها باهداء عملها إلى اليسار.

مصباح قطب

التهديد الرأسمالى للرأسمالية

«ما هو نوع المجتمع الذى نريده؟ «دع السوق الحر يقررا» تلك هى الاجابة التى نسمعها غالبا . ويرى رأسمالى بارز أن هذه الاجابة تقوض القيم بعينها التى تعتمد عليها المجتمعات المفتوحة والديمقراطية».

فى كتابه «فلسفة التاريخ» يبرز هيجل نموذجا تاريخيا محيرا ، هو انهيار وسقوط الحضارات بفعل التكيف المرضى لمبادئها الأولى ، ورغم أننى نجحت فى تكوين ثروة فى أسواق المال، إلا أننى متخوف الآن من أن يؤدى إطلاق العنان لتكثيف المبدأ الرأسمالى «دعه يعمل» ونشر قيم السوق فى كافة مجالات الحياة إلى الاضرار بمجتمعنا المفتوح والديمقراطى وأعتقد أن الشيوعية لم تعد العدو الرئيسى للمجتمع المفتوح وإنما التهديد الرأسمالى.

وكان هنرى بيرجسون قد اشتق تعبير« المجتمع المفتوح» فى كتابه« مصدران للأخلاق والديانة» (١٩٣٢) ، وقد أكد على هذا التعبير كارل بوبر الفيلسوف النمساوى فى كتابه «المجتمع المفتوح وأعداؤه» (١٩٤٥)، فقد أوضح بوبر أن الايديولوجيات الشمولية مثل الشيوعية والنازية تشترك فى عنصر محدد، وهو الادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة. ونظرا لأن الحقيقة المطلقة ليست فى متناول البشر، يصبح على هذه الايديولوجيات اللجوء إلى القمع لفرض رؤاها على المجتمع. ويضع«بوبر» إلى جانب تلك الايديولوجيات الشمولية نظرة أخرى للمجتمع، تقر بأنه ما من أحد يحتكر الحقيقة، فلدى مختلف الأشخاص رؤى مختلفة ومصالح متباينة ، ومن ثم فهناك حاجة للمؤسسات التى تتيح لهم العيش معاً فى سلام. حيث تحمى هذه المؤسسات حقوق المواطنين وتضمن لهم حرية الاختيار وحرية التعبير . ويطلق «بوبر» على هذا الشكل من أشكال التنظيم الاجتماعى «المجتمع المفتوح» الذى يعتبر الايديولوجيات الشمولية أعداء له.

ولما كان «المجتمع المفتوح» وأعداؤه قد كتب إبان الحرب العالمية الثانية فقد قام بشرح القضايا التى تتصدى لها الديمقراطيات الغربية وتكافح من أجلها وجاء هذا الشرح مغاليا فى التجريد والفلسفية ، فلم يلق تعبير «المجتمع المفتوح» اعترافا كبيرا بعدها. ومع ذلك فقد كان تحليل بوبر نافذا ، وعندما قرأته فى الاربعينيات عندما كنت طالبا بعد أن عاينت بشكل مباشر كلا من الحكم النازى والشيوعى فى المجر ،أصابنى بقوة الابهام . فقادنى إلى البحث العميق فى فلسفة «بوبر» والتساؤل عن السبب فى أنه ما من أحد يستطيع الحصول على الحقيقة المطلقة ، وجاءت الاجابة واضحة: فنحن نعيش فى نفس العالم الذى نحاول فهمه ، ويمكن لتصوراتنا أن تؤثر على الأحداث التى نشارك فيها ، فاذا كانت أفكارنا تنتمى إلي عالم معين بينما تنتمى موضوعات فى هذه الأفكار إلى عالم مغاير ، ربما كانت الحقيقة لتصبح فى قبضتنا : ربما استطعنا صياغة تعبيرات مطابقة للوقائع ،وكانت الحقائق لتصبح معيارا يستند إليه عند تحديد صحة التعبيرات.

وهناك مجال تسود فيه هذه الظروف ، وهو العلم الطبيعى ولكن فى مجالات السلوك الانسانى الأخرى تكون العلاقة بين التعبيرات والحقائق أقل دقة. ففى الشئون الاجتماعية والسياسية تساعد تصورات المشاركين فى تحديد الواقع . ففى هذه المواقف تظل الحقائق بالضرورة معايير يعتد بها للحكم على دقة التعبيرات، وهناك رابطة مزدوجة -آلية التغذية المرتجعة- بين التفكير والاحداث ، وهو ما أسميه «الانعكاسية» التى استخدمها لطرح نظرية عن التاريخ.

وبصرف النظر عن صحة النظرية من عدمها ، فقد أعانتنى فى أسواق المال. فعندما أصبح لدى أموال أكثر من حاجتى

جورج سوروس

ترجمة: إكرام يوسف

قررت إقامة مؤسسة أضفيت عليها اهتماماتى الحقيقية ، فبعد أن عايشت الاضطهاد النازى والاستبداد الشيوعى ، وصلت إلى نتيجة مؤادها أن أسمى ما أتبعته هو المجتمع المفتوح ، لذلك أطلقت على هذه المؤسسة «صندوق المجتمع المفتوح» وحددت أهدافها فى فتح المجتمعات المنغلقة ، وجعل المجتمعات المفتوحة أكثر حيوية ، وتشجيع أسلوب التفكير النقدى، كان هذا فى عام ١٩٧٩.

وكانت أولى مهامى الكبرى فى جنوب أفريقيا ، إلا أنها لم تكن ناجحة، فقد كان نظام التفرقة العنصرية سائدا إلى الحد الذى جعل كل ما حاولت القيام به جزءاً من النظام ، بدلا من أن يساهم فى تغييره ثم حولت اهتمامى إلى وسط أوروبا حيث كنت أكثر نجاحا بكثير. فبدأت حركة ميثاق ال٧٧ فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٨٠ وحركة تضامن فى بولندا عام ١٩٨١ .كما أقمت مؤسسات مستقلة فى بلدى المجر عام ١٩٨٤ وفى الصين ١٩٨٦ والاتحاد السوفيتى ١٩٨٧ ثم فى بولندا ١٩٨٨ ،وقد تسارعت خطواتى فى هذا الصدد مع انهيار النظام السوفيتى ،وقد أنشأت حتى الآن شبكة من المؤسسات تمتد عبر أكثر من ٢٥ بلدا (استثناء الصين التى انهينا فيها نشاطنا فى ١٩٨٩).

الأنشطة البديلة

وأثناء عملى فى ظل الأنظمة الشيوعية ، لم أشعر أبدا بالحاجة لأن أشرح ماذا يعنى **«المجتمع المفتوح»** ،لأن أولئك الذين ساندوا أهداف المؤسسات كانوا يفهمونها ربما أكثر من فهمى لها حتى وإن كانوا غير معتادين على المصطلح ،فعلى سبيل المثال ،كان هدف مؤسستى في المجر هو دعم الأنشطة البديلة ، لأننى كنت أعلم أن«الدوجما » الشيوعية السائدة كانت مزيفة، بالتحديد لأنها «دوجما » ، وأنها لن تستمر فى البقاء اذا واجهت بدائل . وأثبت هذا النهج فعاليته، فقد أصبحت المؤسسة هى المصدر الرئيسى لدعم المجتمع المدنى فى المجر ومع ازدهار المجتمع المدنى بدأ أفول النظام الشيوعى.

وأثر إنهيار الشيوعية ، تغيرت رسالة

شبكة المؤسسات فقط لأن المجتمع المفتوح أكثر تطورا، فهو يحتاج لتنظيم اجتماعى أكثر تعقيدا مما يحتاجه المجتمع المغلق (فى المجتمع المغلق هناك خطة عمل واحدة تفرض على المجتمع بينما فى المجتمع المفتوح لا يكون مسموحا فقط لكل مواطن وانما مطلوب منه أن يفكر لنفسه) ومن ثم ، فقد تحولت المؤسسات من **مهمة التخريب إلى** مهمة البناء ، وهو أمر ليس بالسهل عندما يكون المؤمنون بالمجتمع المفتوح قد اعتادوا الانشطة التخريبية. وقد حققت معظم مؤسساتى آداء طيبا فى هذا الصدد إلا أنها لسوء الحظ لم تصادف مساندة كبيرة ، فلم تكن المجتمعات المفتوحة فى الغرب تشعر بدافع قوى يدفعها لتشجيع قيام المجتمعات المفتوحة فى بلدان الامبراطورية السوفيتية السابقة، بل على العكس كانت الرؤية السائدة أن تترك هذه الشعوب لتعتنى بأمورها بنفسها، وكانت الاستجابة لنهاية الحرب الباردة مختلفة تماما عن رد الفعل على انتهاء الحرب العالمية الثانية. فلم يكن فى الإمكان مجرد طرح فكرة «خطة مارشال جديدة» ،فعندما طرحت مثل هذه الفكرة فى مؤتمر بوتسدام (فيما كان وقتها المانيا الشرقية) ضحكوا منى بالمعنى الحرفى للكلمة.

وهم المفاهيم العالمية

ورغم أن انهيار الشيوعية مهد الطريق لقيام مجتمع عالمى مفتوح ، إلا أن الديمقراطيات الغربية عجزت عن الارتفاع إلى مستوى الحدث. فلم تكن الأنظمة الجديدة التى ظهرت فى الاتحاد السوفيتى السابق أو يوغسلافيا السابقة تحمل أيا من ملامح المجتمعات المفتوحة. ويبدو أن التحالف الغربى فقد الإحساس بالهدف، لأنه لم يعد قادراً على تعريف نفسه من منطلق فكرة الخطر الشيوعى . ولم تظهر المجتمعات الغربية ميلا لمساعدة أولئك الذين دافعوا عن فكرة المجتمع المفتوح فى البوسنة أو أى مكان آخر . أما بالنسبة لأولئك الذين يعيشون فى البلدان الشيوعية السابقة فربما كانوا يطمحون إلى مجتمع مفتوح عندما كانوا يعانون من الاستبداد ، أما الآن وبعد انهيار النظام الشيوعى ، فهم مشغولون بمشكلات الحياة، فبعد فشل الشيوعية أصبح هناك تحرر من وهم المفاهيم العالمية ، والمجتمع المفتوح مفهوم عالمى.

دفعتنى هذه الاعتبارات لإعادة النظر فى ايمانى بالمجتمع المفتوح. ولمدة السنوات الخمس أو الست التالية على سقوط سور برلين كرست عمليا كل طاقتى لقضية التحول فى العالم الشيوعى السابق.

ومؤخرا جدا وجهت اهتمامى إلى مجتمعنا ، واستمرت شبكة المؤسسات التى أنشأتها فى الآداء الجيد، ومع ذلك ، شعرت بحاجة ملحة لاعادة النظر فى الاطار المفاهيمى الذى كان يوجهنى عند إنشاء هذه المؤسسات، وقد قادتنى اعادة التقدير هذه إلى نتيجة مؤداها أن مصطلح «المجتمع المفتوح» لم يفقد فعاليته ، بل على العكس ، ربما يكون مفيدا أكثر فى تفهم اللحظة التاريخية الحالية وفى تقديم دليل للعمل السياسى أكثر عملية مما كان عليه الحال عندما ألف «**كارل بوبر**» كتابه، إلا أن هذا المصطلح يحتاج لاعادة التفكير فيه وإعادة صياغته بدقة، فاذا كان« المجتمع المفتوح» سوف يعنى مثالا يستحق النضال من أجله، فلم يعد من الممكن تعريفه بلغة الخطر الشيوعى ، وانما يجب أن يمنح محتوى أكثر إيجابية.

العدو الجديد

أوضح«بوبر» أن لدى الفاشية والشيوعية سمات كثيرة مشتركة رغم أن إحداهما تمثل أقصى اليمين والأخرى تمثل أقصى اليسار، لأن كلتيهما تعتمد على سلطة الدولة فى كبت حرية الفرد . ولرغبتى فى توسيع نطاق هذه المناقشة الزائدة عن الحد والتعاون الأقل من اللازم ربما يسفران عن تفاوتات حادة وعدم استقرار بالغ.

وحتى يومنا هذا ، هناك إيمان سائد فى مجتمعنا بسحر السوق . فمذهب «دعه يعمل» الرأسمالى يعنى أن أفضل ما يخدم الصالح العام هو السعى المطلق وراء المصلحة الخاصة. ولكن نظامنا الحالى، الذى يعتبر مجتمعا مفتوحا وان كان غير كامل، سوف يتعرض للانهيار ما لم نعترف بأن المصلحة العامة يجب أن تسبق المصالح الخاصة. ومع ذلك ، أود أن أؤكد على أننى لا أضع رأسمالية «دعه يعمل» فى نفس التصنيف مع النازية أو الشيوعية . فالعقائد الشمولية تسعى عامدة إلى تدمير المجتمع المفتوح، ولكن «دعه يعمل» ربما تعرضه للخطر، ولكن فقط عن غير قصد ،وكان «**فريدريش هايك**» أحد رواد دعه يمر ، وكان أيضا نصيرا متحمسا للمجتمع المفتوح ، ومع ذلك فنظرا لأن الشيوعية بل وحتى الاشتراكية فقدت مصداقيتها، فأنا أعتبر التهديد من جانب «دعه يعمل» أكثر احتمالا من الخطر القادم من الايديولوجيات الشمولية.. فرغم أننا نعيش اقتصاد السوق العالمى بحق الذى يتميز بحرية الحركة للسلع والخدمات ورؤوس الأموال ، بل وحتى الافراد ، إلا أننا عاجزون عن ادراك الحاجة للحفاظ على القيم والمؤسسات المتعلقة بالمجتمع المفتوح.

ويمكن مقارنة الوضع الحالى بالوضع الذى كان قائما فى أوائل القرن . فقد كان العصر الذهبى للرأسمالية الذى اتسم بمبدأ «دعه يعمل» مثلما هو الحال فى العصر الحالى ، بينما كان العصر الأول أكثر استقرارا، فوقتها كانت هناك قوة إمبريالية هى إنجلترا التى كانت مستعدة لارسال سفنها البحرية إلى أماكن بعيدة ، ونظرا لأنها كانت المستفيد الرئيسى من ذلك النظام فقد كان لديها اهتمام كبير بالحفاظ عليه. أما اليوم ، فالولايات المتحدة لا ترغب فى أن تصبح رجل شرطة العالم، وبينما كان هناك معيار الذهب فى الحقبة الأولى ، أما الآن فالعلاقات الرئيسية تطرح وتتداول مقابل بعضها البعض فى سهولة عبر البلاد . ورغم أن نظام السوق الحر الذى كان سائدا منذ مائة عام قضت عليه الحرب العالمية الأولى ، ثم ظهرت الأيديولوجيات الشمولية ونهاية الحرب العالمية الثانية فلم يعد هناك عمليا حركة لرؤوس الأموال بين البلدان. وبالطبع ما لم نتعلم من الخبرة فما أدراك ما حجم الانهيار الذى سيصيب نظامنا الحالى.

ورغم أن مذهب «دعه يمر» يتعارض مع مبادئ المجتمع المفتوح مثلما تتناقض معه الماركسية اللينينية أو أفكار النازية حول نقاء الجنس، إلا أن كافة هذه المذاهب تشترك فى ملمح عام. وهو أنها جميعا تحاول تبرير ادعائها بامتلاك الحقيقة المطلقة مع احتكام إلى العلم.وفى حالة المذاهب الشمولية ، يمكن اغفال هذا الاحتكام . وكان أحد انجازات بوبر اظهار أن نظرية مثل الماركسية لا يمكن أن توصف باعتبارها علما، وفى حالة «دعه يعمل» تصعب مناقشة هذا الادعاء لانه يقوم على أساس نظرية اقتصادية ، وعلماء الاقتصاد هم الأكثر شهرة واحتراما بين العلماء فى العلوم الاجتماعية ، فلا يستطيع المرء أن يساوى ببساطة بين اقتصاد السوق والاقتصاد الماركسى . إلا أننى أرى أن نظرية «دعه يعمل» تعتبر انحرافا عن الحقائق العلمية المفترضة مثلما هى الماركسية اللينينية.

المقدمات والنتائج

والمعروف أن الأساس العلمى الرئيسى لأيديولوجية «دعه يعمل» هو النظرية القائلة بأن الاسواق الحرة والتنافسية تدفع العرض والطلب إلى التوازن ومن ثم تضمن أفضل تخصيص للموارد، الأمر الذى يتمتع بقبول واسع لحقيقة خالدة ، وهو كذلك بالفعل من

إحدى الزوايا. والنظرية الاقتصادية هي نظام بديهي : فالنتائج تتبع المقدمات . ولكن عندما تختبر المقدمات عن قرب ،نجد أنها لا تنطبق على العالم الواقعي ، فنظرية المنافسة الكاملة -والتوازن الطبيعي بين العرض والطلب- كما صيغت في الاساس ،كانت تفترض ، المعرفة الكاملة، والتكامل وسهولة تقسيم المنتجات ، والعدد الكافي من المشاركين في السوق حتى لا يكون باستطاعة مشارك بعينه التأثير على سعر السوق.

وقد أثبت الواقع عدم صحة افتراض المعرفة الكاملة، ومن ثم فقد استبدل بأداة عبقرية ، فقد اعتبر العرض والطلب في حد ذاتهما أحد المعطيات ، وتم طرح هذا الشرط باعتباره شرطا منهجيا أكثر منه افتراضا فقيل أن النظرية الاقتصادية تدرس العلاقة بين العرض والطلب، ومن ثم فيجب أن تقبل كل منهما باعتباره مسلمة.

ووفق ما رأيت في كل مكان ، فان هذا الشرط لم يتواءم مع الواقع على الأقل بالنسبة لأسواق المال، وأسواق المال كما هو معروف تلعب دوراً حاسما في تخصيص الموارد. فالمشترون والبائعون في أسواق المال لا يتفقون في المستقبل الذي يعتمد على قراراتهم .كما أن شكل منتجات العرض والطلب لا يمكن اعتباره معطية مسلمة لأن كليهما يتضمن توقعات حول الأحداث التي تشكلها تلك التوقعات . وهناك آلية تغذية مرتجعة بين تفكير المشاركين في السوق وبين الموقف الذي يفكرون بشأنه وهذه الآلية تسمى «بالانعكاسية» وهي مسئولة عن كل من فهم المشاركين غير السليم (والاعتراف به هو أساس مفهوم المجتمع المفتوح) وعدم وضوح العملية التي يشاركون فيها.

فإذا لم تكن منحنيات العرض والطلب معطيات مستقلة ،كيف تتحدد أسعار السوق؟ اذا نظرنا إلى سلوك أسواق المال، سوف نجد أن الاسعار بدلا من أن تميل إلى التوازن تواصل التأرجح وفقا لتوقعات المشترين والبائعين. وقد كانت هناك فترات طويلة لم تكن الأسعار فيها تسير وفقا لأي توازن نظري. وحتى لو كانت قد أظهرت في النهاية ، نزوعا نحو العودة إلى التوازن ، فهو ليس نفس النوع من التوازن الذي كان يمكن أن يكونه بدون فترة الانتقال .ومع ذلك يصمد مفهوم التوازن أمام الواقع ، ويسهل تفسير ذلك ، لأنه بدون هذا المفهوم لم يكن الاقتصاديون ليقدروا على معرفة الطريقة التي يتم بها تحديدالأسعار.

وفي غياب التوازن ، فان فحوى عبارة أن الأسواق الحرة تؤدي إلى التخصيص الأمثل لاثباته ، يفقد مبرراته ، فالنظرية العلمية المفترضة التي استخدمت لاثباته تصبح بنية بديهية تنطوي افتراضاتها على نتائجها ولا تدعمها بالضرورة الشواهد التجريبية.ومن هنا يظهر التشابه مع الماركسية التي تدعى أيضا علمية مكوناتها.

وأنا هنا لا أعني ضمنا أن النظرية الاقتصادية تحرف الواقع عمدا لصالح الاغراض السياسية . ولكن النظرية الاقتصادية ، في محاولة منها لتقليد انجازات العلم الطبيعي (لتضفي على نفسها مكانة محترمة) فانها تسعى للمستحيل، فنظريات العلم الاجتماعي ترتبط بموضوعاتها صورة انعكاسية ، بمعنى أنها تستطيع التأثير على الشواهد على نحو لا تستطيعه العلوم الطبيعية.

ويعني مبدأ عدم اليقين الشهير «لهسنبرج» أن فعل الملاحظة قد يتدخل في سلوك المكونات الكمية، إلا أن الملاحظة هي التي تحدث الأثر، وليس مبدأ عدم الوضوح. وفي المجال الاجتماعي ، تتمتع النظريات بالقدرة على تغيير موضوع البحث الذي يدخل في نطاقها.. تستبعد النظرية الاقتصادية عمدا «الانعكاسية» من حساباتها . وبهذا الشكل، فهي تشوه موضوع بحثها وتسهل على أيديولوجية «دعه يعمل» استقلالها.

وافتراض المعرفة الكاملة هو الذي يتيح للنظرية الاقتصادية التحول إلي أيديولوجية معادية للمجتمع المفتوح، وهو الفرص الذي كان يطرح بوضوح في البداية ثم بدا يتخفى في شكل أداة منهاجية. وهناك بالفعل حجة قوية في آلية السوق، ولكنها لا تعني كمال فكرة السوق، وإنما تعني أنه في عالم يسوده نقص الفهم، توفر الاسواق آلية تغذية مرتجعة فعالة تساعد المرء في تقييم قراراته وتصويب أخطائه.

ومهما كانت صياغة اطروحة «المعرفة الكاملة» فهي تتعارض مع مفهوم المجتمع المفتوح(الذي يعترف بأن فهمنا لواقعنا غير كامل بالفطرة) . ولما كان هذا الرأى نظريا ، أجد نفسي بحاجة لوصف سبل معينة يمكن من خلالها لأفكار«دعه يعمل» أن تشكل تهديداً على المجتمع المفتوح . وسوف أركز على ثلاث قضايا: الاستقرار الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، والعلاقات الدولية.

الاستقرار الاقتصادى

فقد عملت النظرية الاقتصادية على خلق عالم زائف ، تستقل فيه تفضيلات المشاركين والفرص المتاحة أمامهم عن بعضها البعض، وتتجه الأسعار إلى توازن يجعل القوتين (التفضيلات والفرص) متوازنتين: إلا أن الأسعار في أسواق المال ليست مجرد انعكاس سلبي للمسلمة المستقلة (العرض والطلب) ،وانما تلعب الاسعار أيضا دورا فعالا في تشكيل تلك التفضيلات والفرص. وهذا التفاعل الانعكاسي يجعل أسواق المال غير مستقرة بالطبيعة. والمعروف أن مبدأ «دعه يعمل» ينكر عدم الاستقرار ويرفض أي شكل من أشكال التدخل الحكومي بهدف تحقيق الاستقرار ، بينما أوضح التاريخ أن أسواق المال كثيرا ما تنهار فتتسبب في ركود اقتصادي واضطراب اجتماعي . وقد أسفرت تلك الانهيارات عن ظهور البنوك المركزية وغيرها من أشكال التنظيم. أما أنصار فكرة «دعه يعمل» فهم يحبون أن يرجعوا الانهيارات إلى خطأ القواعد المنظمة وليس إلى اضطراب الاسواق. وهناك بعض الحق في إدعائهم ، لأنه اذا كان فهمنا ناقصا بالطبيعة ، فسوف تكون القواعد التنظيمية قاصرة بالضرورة ، إلا أن هذا الادعاء يبدو أجوف ، لأنه يعجز عن تفسير السبب في فرض هذه القواعد التنظيمية من الاساس. وهو يتجنب الرد على هذا الموضوع باستخدام حجة مختلفة مؤداها أنه طالما كانت القواعد التنظيمية قاصرة ، فالاسواق غير المنظمة وضع مثالي.

ويعتمد الادعاء على افتراض المعرفة الكاملة: فاذا كان قرار ما خاطئا ، يكون نقيضه صحيحاً بالضرورة. ومع ذلك ، ففي غياب المعرفة التامة، فان كلا من الاسوق الحرة والقواعد التنظيمية يشوبه النقص .فالاستقرار يمكن الحفاظ عليه فقط في حالة القيام بجهد متعمد للحفاظ عليه. وحتي في هذه الحالة يمكن أن تحدث الانهيارات لأن السياسة العامة قاصرة غالبا. وإذا كانت انهيارات السوق حادة بما يكفي ، فربما تعطى الفرصة لقيام الأنظمة الشمولية.

قيم السوق وفقدان الأمان

ومن ناحية أخرى فان عدم الاستقرار يتجاوز أسوق المال : فهو يؤثر على القيم التي توجه تصرفات الناس، **فبينما تأخذ النظرية الاقتصادية القيم على أنها أمر مسلم،** وعندما نشأت النظرية الاقتصادية في عصر **آدم سميث وديفيد ريكاردو والفريد مارشال ،** كان ذلك افتراضا معقولا ، فالواقع أن القيم تنشأ بالفعل بسبب أفعال الناس. وقد أدرج آدم سميث نفسه فلسفة أخلاقية ضمن نظريته الاقتصادية : فوراء تفضيلات الأفراد التي عبرت عن نفسها في **سلوك السوق ، يقود سلوك الناس مجموعة من المبادئ الاخلاقية**

التى عبرت عن نفسها فى السلوك خارج مجال آلية السوق، ونظرا لأن هذه المبادئ ذات جذور عميقة فى التقاليد والدين والثقافة فهى ليست بالضرورة سليمة بمفهوم اتخاذ خيارات واعية من بين البدائل المتاحة، بل أنها بالفعل لا تستطيع أن تثبت صحتها عندما تصبح البدائل متاحة. فقيم السوق تعمل على تقويض القيم التقليدية.

وهناك صراع قائم بين قيم السوق وغيرها من أنظمة القيم التقليدية التى أثارت مشاعر الحب والعداء .ومع اتساع نطاق آلية السوق لم يعد من السهل استمرار فكرة أن الناس يتصرفون على أساس مجموعة من القيم غير السوقية المسلم بها ، فقد أصبح الاعلان والتسويق ، بل وحتى التغليف تهدف إلى تشكيل تفضيلات الناس وليس مجرد الاستجابة لهذه التفضيلات كما تقول نظرية «دعه يعمل» . وقد تزايد اعتماد الناس على النقود كمعيار للقيمة مع عدم التأكد من قيمة الأشياء، فأصبح الأغلى ثمنا يعتبر الأفضل، فقيمة العمل الفنى تقدر بما تجلبه من سعر، والناس يستحقون الاحترام والاعجاب لأنهم اغنياء . واغتصب ما كان مألوفا كوسيلة للتبادل مكانة القيم الأصلية فانعكس حال العلاقة التى كانت قد أقرتها النظرية الاقتصادية ، وما كان يعتبر من قبيل العمل المهنىّ فى المعتاد أصبح استثمارا ، وحل مذهب النجاح محل الايمان بالمبادئ ، ففقد المجتمع أمانه.

الاشتراكية الداروينية

ومع اعتبار ظروف العرض والطلب مسلمات النظر إلى التدخل الحكومى باعتباره شرا مطلقا ، استبعدت أيديولوجية «دعه يعمل» فكرة اعادة توزيع الدخل أو الثروة. وربما اتفق مع فكرة أن كافة محاولات التدخل لاعادة التوزيع لم تحقق نجاحا ، ولكن هذا لا يستتبع إلا ببذل أى محاولات أخرى . وتعتمد فكرة «دعه يعمل» على نفس الميل الضمنى للكمال مثلما هو حال الشيوعية ، لذلك فهى تدعى أنه طالما تتسبب إعادة التوزيع فى حالات العجز والتشويه ، يمكن أن تحل المشكلة بالغاء إعادة التوزيع ، بالضبط مثلما يدعى الشيوعيون أن الازدواج الذى تنطوى عليه المناقشة مدمر، ومن ثم فعلينا أن نمتلك اقتصادا يتم تخطيطه مركزيا. ولكن الكمال بعيد المنال فالثروة لاتتراكم فى أيدى ملاكها، واذا لم يكن هناك آلية لاعادة التوزيع ، يمكن أن تصبح التفاوتات غير محتملة، وكان **فرانسيس بيكون** اقتصاديا عميق التفكير عندما قال «المال مثل السماد الحيوانى لا يشكل خيرا ما لم يتم توزيعه».


لينين

التعاون والمنافسة

وتشير دعوى «دعه يعمل» ضد اعادة توزيع الدخل مذهب بقاء الأصلح ، بينما يدحض هذه الدعوى حقيقة أن الثروة تنتقل بالميراث ونادرا ما يكون الجيل الثانى صالحا مثل الأول . وعلى أية حال ، هناك خطأ ما فى جعل بقاء الأصلح مبدأ يقود المجتمع المتحضر ، فهذه الاشتراكية الداروينة قامت على نظرية النشوء القديمة ، مثلما أخذت نظرية التوازن فى الاقتصاد نقطة انطلاقها الأول من افكار نيوتن فى الطبيعة . فالمبدأ الذى يقود نشوء الكائنات الحية هو التحول ، والتحول يحدث فى صورة أكثر تطورا وبينما تتفاعل الكائنات الحية وبيئتها يمثل أحد هذه الكائنات البيئية بالنسبة للكائنات الأخرى . وهنا توجد آلية تغذية مرتجعة مشابهة «للانعكاسية» فى التاريخ ، على فارق يتمثل فى أنه فى حالة التاريخ لايقود التحول الآلية وانما الذى يقودها هو الاعتقادات الخاطئة. وأنا أقول ذلك لأن الاشتراكية الداروينة هى أحد الاعتقادات الخاطئة التى توجه شئون الانسان فى عالمنا ، ومن ثم ، فالمعنى الرئيسى الذى أود **التأكيد عليه هو أن التعاون جزء من النظام مثله مثل المنافسة وأن شعار «البقاء للأصلح» يشوه هذه الحقيقة.**

العلاقات الدولية

وتشترك أيديولوجية «دعه يعمل» فى بعض نواحى القصور مع علم زائف آخرهو الجغرافيا السياسية. فعلماء الجغرافيا السياسية يدعون أن الدول ليس لديها مبادئ، وانما مصالح فقط ، وهذه المصالح يحددها الوضع الجغرافى إلى جانب أسس أخرى، ولهذا المنهج الحتمى جذوره فى نظرة قديمة للمنهج العلمى ترجع إلى القرن التاسع عشر، يشوبها على الأقل عيبان واضحان لا يمكن تطبيقهما بنفس الدرجة على الافكار الاقتصادية لمبدأ «دعه يعمل» الأول: أنها تعامل الدولة باعتبارها وحدة تحليل لا يتجزأ كما يتعامل علماء الاقتصاد مع الافراد ، وهناك تعارض بين أبعاد الدولة عن الاقتصاد والاحتفاظ بها فى نفس الوقت كمصدر للسلطة نهائى فى العلاقات الدولية. وبصرف النظر عن ذلك ، هناك جانب أكثر عملية للمشكلة ما الذى يحدث عندما تتفكك الدولة؟ هنا يجد أنصار الجغرافيا السياسية الواقعيون أنفسهم غير مستعدين للاجابة وهذا ما حدث بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا أما العيب الثانى للجغرافيا السياسية فهو أنها لا تعترف بوجود مصلحة مشتركة تتجاوز المصلحة القومية.

ومع زوال الشيوعية ، يمكن وصف الوضع الحالى للشئون الدولية بانه مجتمع عالمى مفتوح ،رغم عدم اكتماله ولا يتهدد هذا المجتمع خطر من الخارج ،من ايديولوجية شمولية تبحث عن السيادة على العالم، وإنما يأتى التهديد من الداخل ،من الطغاة المحليين الساعين إلى اقامة هيمنة داخلية عبر الصراعات الخارجية .. وربما يأتى أيضا من الدول الديمقراطية ولكنها مسيطرة وتسعى

لتحقيق مصالحها الخاصة على حساب المصلحة العامة، وقد يكون المجتمع الدولى المفتوح أسوأ أعدائها.

ولا شك أن الحرب الباردة كانت تشكل وضعا مستقرا للغاية ،حيث تتصارع كتلتان تمثلان مفهومين متعارضين للتنظيم الاجتماعى على السيادة ، ولكن على كل منهما احترام المصالح الحيوية للأخرى ، لأن كل جانب كان يستطيع تدمير الآخر فى حرب شاملة ، الأمر الذى يضع حدا حاسما لنطاق الصراع ، فكافة الصراعات المحلية كانت ، بدورها داخلة ضمن صراع أكبر. وقد انتهى هذا النظام العالمى المستقر للغاية كنتيجة للتفكك الداخلى فى احدى القوتين العظميين ، ولم يحل محله نظام جديد ، فقد دخلنا فترة من الفوضى . ولم تكن ايديولوجية «دعه يعمل» قد أعدتنا للتكيف مع هذا التحدى فهى لم تدرك الحاجة لنظام عالمى .ومن المفترض أن النظام ينشأ من سعى الدول لتحقيق مصالحها ، ولكن وفقا لمبدأ بقاء الأصلح، يتزايد انشغال الدول بقدراتها التنافسية ، فتنعدم لديها الرغبة فى تقديم أية تضحيات للصالح العام.

ولا يتطلب الأمر توقعات متشائمة حول الانهيار النهائى فى نظامنا التجارى العالمى بغرض اظهار عدم مواءمة ايديولوجية «دعه يعمل» لمفهوم المجتمع المفتوح ، ولكن يكفى أن نضع فى الاعتبار عجز العالم الحر عن تقديم يد العون بعد انهيار الشيوعية ، فقد أصبح نظام الرأسمالية اللصوصية الذى استولى على روسيا نظاما ظالما إلى الحد الذى قد يجعل الشعب يتجه نحو زعيم كاريزمى يعد بالاحياء القومى على حساب الحريات المدنية.

فاذا كان هناك درس يستفاد به ، فهو أن انهيار نظام استبدادى لا يؤدى تلقائيا إلى انشاء مجتمع مفتوح . فالمجتمع المفتوح ليس مجرد غياب التدخل والاستبداد الحكومى . وانما هو بنية معقدة ومتطورة تحتاج إلى جهد متعمد لايجادها . ونظرا لأنها أكثر تطورا من النظام الذى حلت محله ، فإن التحول السريع يحتاج مساعدة خارجية . إلا أن ائتلاف أفكار «دعه يعمل» والاشتراكية الداروينية ، والواقعية الجغرافية السياسية الذى ساد فى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وقفت فى طريق أى أمل فى مجتمع مفتوح فى روسيا ، فاذا كان زعماء هذه البلدان قد امتلكوا رؤية مختلفة للعالم ، فقد كان من الممكن أن ينشئوا مؤسسات قوية من أجل مجتمع عالمى مفتوح.

وفى الوقت الذى انهار فيه الاتحاد السوفيتى ،كانت هناك فرصة لقيام الأمم المتحدة بالوظيفة التى كانت مرسومة لها فى الأساس. وكان ميخائيل جورباتشوف قد زار الأمم المتحدة فى ١٩٨٨ وحدد رؤيته لتعاون القوتين العظميين لاقرار السلام والأمن فى العالم، ومنذ ذلك الحين ، تلاشت الفرصة ، فقد فقدت الأمم المتحدة مصداقيتها كمؤسسة لحفظ السلام وتمثل البوسنة بالنسبة للأمم المتحدة ،ما مثلته الحبشة لعصبة الأمم فى ١٩٣٦.

ويفتقر مجتمعنا العالمى المفتوح إلى المؤسسات والآليات المطلوبة للحفاظ عليه ، إلا أنه ليست هناك رغبة سياسية فى إيجاد هذه المؤسسات والآليات . وأرى أن مسئولية ذلك تقع على الاتجاه السائد .وهو السعى المتواصل وراء المصلحة الذاتية بأمل تحقيق التوازن الدولى .كما أرى أن هذه الثقة فى غير محلها . وأعتقد أن مفهوم المجتمع المفتوح الذى يحتاج إلى مؤسسات تحميه ربما يوفر دليل حركة أفضل . فالواقع أن الأمر ليس بحاجة إلى كثير من الخيال لادراك أن المجتمع العالمى السائد حاليا من المحتمل أن يكون ظاهرة مؤقتة.

انتفاء العصمة

من الأسهل تحديد أعداء المجتمع المفتوح بدلا من إعطاء المفهوم معنى ايجابيا ، إلا أنه بدون ذلك المعنى الايجابى . ويجب أن تكون هناك مصلحة مشتركة تضم مجتمعين معا ،ومع ذلك ، فالمجتمع المفتوح ليس مجتمعا بالمعنى التقليدى للكلمة ، فهو فكرة نظرية ، أو مفهوم عالمى . صحيح أن هناك مثل هذا المجتمع العالمى ، فهناك مصالح مشتركة على المستوى العالمى مثل الحفاظ على البيئة ومنع الحروب . لكن هذه المصالح ضعيفة نسبيا بالمقارنة بالمصالح الخاصة ، ومن ثم فليس لها أنصار كثيرون فى **عالم لم يتكون من الدول المستقلة**. والأكثر من ذلك، أن المجتمع المفتوح كمفهوم كونى يتجاوز كافة الحدود . والمجتمعات تستمد تماسكها من القيم المشتركة ، وهذه القيم لها جذورها فى الثقافة والدين والتاريخ والتقاليد وعندما لا يكون لمجتمع حدود ، فاين يمكن أن توجد القيم المشتركة ؟ أعتقد أن هناك مصدر واحد ممكن: مفهوم المجتمع المحدود فى حد ذاته.

وللقيام بهذا الدور، يحتاج مفهوم المجتمع المفتوح إلى إعادة تعريف فبدلا من أن يكون هناك انقسام بين المفتوح والمغلق ، أرى أن المجتمع المفتوح يشغل منطقة وسطا تجد فيها حقوق الافراد حماية فى وجود القيم المشتركة التى تضم المجتمعين معا . وتتعرض هذه المنطقة الوسطى لتهديدات من كافة الجوانب، فقد تؤدى المذاهب الشيوعية والقومية إلى هيمنة الدولة من ناحية، ومن ناحية أخرى ربما تؤدى رأسمالية «دعه يعمل» إلى اضطراب هائل وانهيار فى الأمر ، وبين هذين النقيضين توجد عدة متنوعات . فيقترح لى كوان يو من سنغافورة ما يسمى بالنموذج الآسيوى الذى يضم اقتصاد السوق مع سيطرة الدولة. وفى اجزاء عديدة من العالم ارتبطت سيطرة الدولة على نحو وثيق بخلق ثروات خاصة إلى الحد الذى يجعلنا نتحدث عن الرأسمالية اللصوصية أو «عصابة الدولة» باعتبارها تهديداً جديداً للمجتمع المفتوح.

وأنا أتخيل المجتمع المفتوح باعتباره مجتمعا مفتوحا أمام التحسن فلنبدأ بالاعتراف بأننا غير معصومين الأمر الذى يمتد إلى مؤسساتنا أيضا وليس إلى مكوناتنا الذهنية فقط، فالشئ القاصر يمكن تحسينه من خلال عملية التجربة والخطأ . ولا يتيح المجتمع المفتوح هذه العملية فحسب وانما يشجعها أيضا بالاصرار على حرية التعبير وحماية المعارضة . ويوفر المجتمع المفتوح أفقا للتقدم اللامحدود ، وبهذا يقترب من المنهج العلمى . إلا أن العلم لديه معياره الموضوعى المرتب ألا وهو الحقائق التى يمكن من خلالها الحكم على العملية . ولسوء الحظ، لا توفر الحقائق فى الشئون الانسانية معيارا يمكن الاعتماد عليه للحقيقة إلا أننا بحاجة لبعض المعايير المتفق عليها عموما والتى يمكن بواسطتها الحكم على عملية التجربة والخطأ. وتوفر كافة الثقافات والديانات مثل هذه المعايير ومن ثم فلا يستطيع المجتمع المفتوح البقاء بدون هذه المعايير والجديد فى المجتمع المفتوح أنه بينما تعتبر الثقافات والديانات قيمها كمطلقات ، يجب على المجتمع المفتوح الواعى بوجود العديد من الثقافات والديانات ، أن يتعامل مع قيمه المشتركة كأمر قابل للجدل والاختيار.

وحتى يكون الحوار ممكنا ، يتعين أن يكون هناك اتفاق عام على نقطة واحدة على الأقل، وهى: أن المجتمع المفتوح شكل مرغوب فيه للتنظيم الاجتماعى. فيجب أن يكون الناس أحرارا فى التفكير وفى العمل لا يخضعون إلا إلى الحدود التى تفرضها المصالح العامة، حينئذ يجب أن تتحدد هذه الحدود أيضا من خلال التجربة والخطأ.

وربما يعتبر «اعلان الاستقلال» اقترابأ جيداً من مبادئ المجتمع المفتوح ، ولكن بدلا من أن ندعى أن تلك المبادئ واضحة فى حد ذاتها ، علينا أن نقول أنها تتناسب مع كوننا غير معصومين ومع قابليتنا للخطأ ، فهل يمكن أن يكون الاعتراف بنقصان فهمنا مفيدا فى اقامة المجتمع المفتوح كشكل مرغوب فيه من أشكال التنظيم الاجتماعى؟ أعتقد أنه كذلك، رغم أن هناك صعوبات هائلة. وعلينا أن ننمى الايمان بقابليتنا للخطأ لدرجة أن نبحث بشكل طبيعى الايمان بالحقيقة المطلقة، بعيدة المنال ، فكيف نستطيع أن نقبل قابليتنا للخطأ كحقيقة مطلقة؟ . ربما كان ذلك تناقضا ظاهرا ، إلا أنه قابل للتفسير ،

فالافتراض الأول الذى ينص على أن قدرتنا على الفهم قاصرة يتواءم مع الفرضية الثانية وهى ان علينا ان نقبل الافتراض الاول كموضوع للاعتقاد ،حيث تنشأ الحاجة الى موضوعات للاعتقاد بالتحديد لان فهمنا قاصر، فاذا كنا نتمتع بمعرفة كاملة ، لن تكون هناك حاجة للعقائد . ولكن قبول هذا الخط الاستنتاجي يتطلب تغييرا عميقا فى الدور الذى نعطيه لمعتقداتنا.

ومن الناحية التاريخية، لعبت العقائد دورا فى تبرير قواعد معينة للسلوك ، ولكن القابلية للخطأ يجب أن تتبنى اتجاها مغايرا ، بينما يتعين ان تسهم المعتقدات في تشكيل حياتنا ، وليس فى جعلنا نلتزم بمجموعة من القواعد المسلم بها فإذا أدركنا أن معتقداتنا هى التعبير عن خياراتنا وليس عن الحقيقة المطلقة فمن الارجح اننا سنكون متسامحين مع المعتقدات الاخرى وتغيير معتقداتنا فى ضوء تجاربنا ، ولكن ذلك ليس هو الاسلوب الذى يعامل به معظم الناس معتقداتهم ، فهم ينزعون إلى التوحيد بين معتقداتهم والحقيقة المطلقة بل أن هذا التوحد غالبا ما يستخدم فى تحديد هويتهم ، فاذا الزمتهم خبرتهم بالعيش فى مجتمع مفتوح بالتخلى عن ادعائهم بامتلاك الحقيقة المطلقة فانهم يشعرون بالضياع.

والحقيقة أن فكرة أننا ، بشكل ما ، الحقيقة المطلقة مغروسة بشكل عميق فى تفكيرنا . وربما كنا على الاستعداد للتفكير النقدى ، إلا أننا نرتبط بأنفسنا على نحو لا ينفصم . وربما نكون قد أكتشفنا الحقيقة والفضيلة ولكن الأهم من ذلك أننا يجب أن نمثل مصالحنا وأنفسنا . ومن ثم ، فاذا كانت هناك أشياء مثل الحقيقة والعدالة -وقد وصلنا إلى الاعتقاد بوجودها- فسوف نرغب فى امتلاكها- .ونحن نطلب الحقيقة من الدين- ومؤخرا -من العلم . بينما يمثل الاعتقاد فى قابليتنا للخطأ بديلاً ضعيفاً ، فهو مفهوم بالغ التعقيد ، يصعب التعامل معه بالمقارنة بالتعامل مع المعتقدات الأولوية ، على سبيل المثال أن تقول أن بلدي (أو شركتى أو عائلتى) على حق أو على خطأ.

فاذا كان من الصعب قبول فكرة قابليتنا للخطأ ،فما الذى يجعلها فكرة جذابة؟ ان أقوى الحجج المؤيدة لها توجد فيما تسفر عنه من نتائج فالمجتمع المفتوح أكثر نجاحا ، وأكثر ابداعا ، ونشاطا من المجتمعات المغلقة، إلا أن هناك خطورة فى اعتبار النجاح الاساسى الوحيد لقبول اعتقاد ما ، لأنه اذا صحت نظريتى عن الانعكاسية ، فالنجاح لا يتطابق تماما مع صحة الموقف ، وفى العلم الطبيعى ، يجب أن تكون النظريات صحيحة (بمعنى أن التوقعات والتفسيرات التى تطرحها تتلاءم مع الوقائع)حتى يمكن تطبيقها (بمعنى طرح توقعات وتفسيرات مفيدة) . ولكن فى المجال الاجتماعى ما هو ناجح لا يتطابق بالضرورة مع ما هو صحيح، وذلك بسبب الصلة الانعكاسية بين الفكر والواقع.

وكما المحت سابقا ، يمكن أن يصبح مذهب النجاح مصدرا للاضطراب فى المجتمع المفتوح لأنه يمكن أن يقوض مفهومنا للصحيح والخطأ . وهذا ما يحدث فى مجتمعنا اليوم، فقد أضير احساسنا بالصواب والخطأ بسبب انشغالنا بالنجاح مقاسا بالمال . فأى شر جائز طالما أنك لن تتعرض لعواقب سيئة.

فاذا كان النجاح هو المعيار الوحيد ، سيكون المجتمع المفتوح خاسرا أمام الايديولوجيات الشمولية ،كما حدث بالفعل فى العديد من المناسبات ، فمن الأسهل كثيرا أن أدافع عن مصلحتى الخاصة بدلا من الدخول فى تعقيدات الاستنتاج النظرى من القابلية للخطأ إلى مفهوم المجتمع المفتوح.

ويحتاج مفهوم المجتمع المفتوح إلى أن يقف على أرضية أكثر صلابة، فيتعين أن يكون هناك التزام بالمجتمع المفتوح لأنه الشكل الصحيح من أشكال التنظيم الاجتماعى ، إلا أن هذا الالتزام يصعب الوصول إليه.

وأنا أؤمن بالمجتمع المفتوح نظرا لانه يتيح لنا تطوير امكاناتنا على نحو أفضل من نظام اجتماعى يدعى امتلاك الحقيقة المطلقة. لأن قبول فكرة صعوبة امتلاك الحقيقة يقدم مفهوما أفضل للحرية والازدهار مما لو انكرنا هذه الفكرة ، إلا أننى اعترف بوجود مشكلة هناك فانا ملتزم للغاية بالبحث عن الحقيقة حتى أجد الحالة التي يكون عليها المجتمع المفتوح مقنعا ، إلا أننى غير متأكد من أن الآخرين سوف يشاركوننى وجهة نظرى، فبسبب الصلة الانعكاسية بين الفكر والواقع ، لن تكون الحقيقة شرطا لازما للنجاح.

فمن الممكن تحقيق اهداف معينة بالتحايل علي الحقيقة أو انكارها ، وربما يهتم الناس بتحقيق أغراضهم المحددة أكثر من اهتمامهم بالوصول إلى الحقيقة. فليس للحقيقة أهمية فائقة إلا فى أعلى مستويات التجريد عندما نبحث معنى الحياة. وحتى فى هذه الحالة ربما يكون الخداع مفضلا عن الحقيقة لأن الحياة تستلزم الموت ، والموت يصعب قبوله .

وهكذا ، لعلنا نرى أن المجتمع المفتوح أفضل أشكال التنظيم الاجتماعى للحصول على أفضل ما فى الحياة ، فى حين أن المجتمع المغلق هوالشكل الأكثر مناسبة لقبول الموت،وفى التحليل الأخير ، فان الايمان بالمجتمع المفتوح أمر اختيارى وليس ضرورة منطقية.

وليس ذلك فقط، فلا يمكن أن يكون مصطلح المجتمع المفتوح مقبولال عالميا حتى نضمن أن تسود الحرية والازدهار ، فالمجتمع المفتوح يقدم فحسب إطارا يمكن تسوية القضايا الاجتماعية والسياسية من خلاله ، فهو لا يقدم رؤية حاسمة للاهداف الاجتماعية ،فاذا قدم هذه الرؤية لن يكون مجتمعا مفتوحا. ويعنى ذلك أن يقبل الناس معتقدات أخرى إلى جانب عقيدتهم فى المجتمع المفتوح. ولا يقدم مفهوم المجتمع المفتوح أساسا كافيا للعمل السياسى إلا فى مجتمع مغلق؟ ففى المجتمع المفتوح لا يكفى أن تكون ديمقراطيا ، فالانسان قد يكون ليبراليا ديمقراطيا، أو اشتراكيا ديمقراطيا ، أو مسيحيا ديمقراطيا أو أى نوع آخر من أنواع الديمقراطيين . وربما يكون الاعتقاد المشترك فى المجتمع المفتوح أمرا ضروريا ولكنه ليس شرطا كافيا للحرية والازدهار وكل الأشياء الطيبة التى يفترض أن يوفرها المجتمع المفتوح.

وربما يرى البعض أن مفهوم المجتمع المفتوح يبدو من الظاهر مصدرا للصعوبات لا ينضب، وهذا أمر متوقع ، فالمجتمع المفتوح رغم كل شئ يقوم على الاعتراف بقابليتنا للخطأ وأننا غير معصومين ومن ثم فمن المنطقى أن تكون فكرتنا المثالية عن المجتمع المفتوح صعبة التحقيق واذا زعمنا وجود صورة دقيقة له سيكون ذلك تناقضا مع النفس . ولكن لا يعنى ذلك أننا لا يجب أن نكافح من أجل الوصول إليه . ففى العلم أيضا الحقيقة المطلقة بعيدة المنال ، ولكن لننظر إلى التقدم الذى حققناه فى سعينا إليها . وبالمثل ، يمكن أن يتحقق المجتمع المفتوح بصورة قريبة.

وربما يبدو استخلاص برنامج عملى اجتماعى من فكرة فلسفية أو نظرية معرفية مهمة مستحيلة ، إلا أنها قابلة للتنفيذ فى الحقيقة وهناك سوابق تاريخية. فالتنوير كان احتفالا بسلطة العقل وكان عاملا ملهما لبيان الاستقلال * ووثيقة الحقوق* . وقد شهدت الثورة الفرنسية تطرفا فى الايمان بالعقل ،وكان لذلك آثاره السلبية ،ومع ذلك فقد كانت بداية التحديث. وقد أصبح لدينا الآن خبرة ٢٠٠ عام من عصر العقل وعلينا كأناس عقلانيين أن نعترف أن العقل له حدوده . وقد آن أوان تطوير اطار مفهومى يقوم على الاعتراف بقابليتنا للخطأ، فقد تنجح القابلية للخطأ بعد أن فشل العقل.

---

* فى الولايات المتحدة.

* فى المملكة المتحدة.



الأسباب الثقافية للعنف السياسى


طه حسين


محمد عبده

عندما نتحدث عن الاسباب الثقافية للعنف السياسى فنحن نقترب، فى واقع الأمر ،من اكثر المناطق حساسية فى **الصراع الدائر بين الدولة والتيارات الدينية، وأيضا بين التيارات الدينية والمجتمع**، فلا شك أن المجال الثقافى يحظى بأهمية استثنائية فى هذا الصراع المرتكز أساسا على ثنائية الكفر / الايمان . وعلى الرغم من صعوبة الحديث عن اثر العوامل الثقافية بمعزل عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية الاخرى، إلا أن الحاجة إلى مقاربة البعد الثقافى تظل ملحة بوصفه أحد أهم المداخل لفهم العنف السياسى فى اللحظة الراهنة .ومما يدعم أهمية مقاربة هذا البعد أن الحركات الاسلامية المعاصرة ، الموصوفة بأنها حركات احتجاج ثقافى ، تبنى حججها وتؤسس «مشروعها» على فكرة تحقيق خلاص المجتمع ثقافيا . وثمة واقع يؤكد أن هذه الحركات ، على خلاف الحركات الاجتماعية الأخرى، حولت مسار الصراع الاجتماعى والسياسى إلى المسار الثقافى . فالأمر ، إذن ، لا يتعلق بإضفاء الطابع السياسى على الثقافة والدين(كما يشير مصطلح الإسلام السياسى) بقدر ما يتعلق بإضفاء الطابع الثقافى أو الدينى على السياسة ، وبتأكيد ذلك من خلال قدرة هذه الحركات على تحويل تعبيرات الصراع الاجتماعى والسياسى إلى تعبيرات ثقافية.

وعلى الرغم من أن **فترة السبعينيات هى التى شهدت تفجر المجال الثقافى الدينى كحيز للصراع ، إلا أن ما شهدته هذه الفترة ليس وليد لحظته بل يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ الحديث ويتخذ مرجعيته من البنية الثقافية السائدة**. ومن ثم فإن أى محاولة لمقاربة أثر العوامل الثقافية عليها أن تتبع مسارا طويلا نقطة البداية فيه هى لحظة الصدام الأولى مع الغرب، كما أن على مثل هذه المحاولة أن تبحث فى دائرة ثقافية أوسع من دائرة خطاب الجماعات الدينية ومن هنا نستطيع أن نرصد بروز المجال الثقافى كمجال للصراع على مستويين:

١- **المستوى الأول**: وهو مستوى الصراع بين دعاة التحديث ودعاة التقليد والذى شكل الإطار المرجعى للجدل الفكرى الدائر منذ بدايات التحديث وحتى الآن.

٢-**المستوى الثانى** : وهو المستوى الموصوف بأنه سياسى ،حيث تشكلت جماعات استقت مرجعياتها من خطاب دعاة التقليد ، واتبعت أساليب تنظيمية جديدة وانتهجت أدوات العمل السياسى سواء الشرعى أو «اللاشرعى» لتحقيق أهدافها . وهكذا أصبح هناك نشاط سياسى واسع اتخذ فى جزء منه شكل العنف السياسى.

وتهدف هذه المداخلة البسيطة إلى تتبع مسار تطور المجال الثقافى فى العصر الحديث كحيز يحمل بداخله بذور التناقض والانقسام وبالتالى إمكانية توليد العنف. وتسعى أيضا للاجابة عن سؤال: **لماذا كانت السبعينات هى بداية تفجر العنف السياسى؟**.

يمكن القول إن المجتمع المصرى- شأنه فى ذلك شأن معظم مجتمعات العالم الثالث كان قد دخل العصر الحديث لا بمنطق إرادة ما داخلية ولكن بمنطق التاريخ وشروطه وتحولاته والذى فرض على هذا المجتمع أن يحمل فى أحشائه بذور انقسام جديد، كان الانقسام الاجتماعى أحد ركائزه وكان الانقسام الثقافى أحد تعبيراته . فكما نعرف جميعا فإن دخول علاقات اجتماعية جديدة كان قد ارتبط بالضرورة بنوع من الانقسام الاجتماعى ، أو بكلمات أخرى اعادة هيكلة المجتمع طبقيا مع إلغاء نظام الالتزام ونمو الصناعات الحديثة وتطوير الجهاز البيروقراطى وفتح الباب أمام الملكيات الخاصة للأراضى . ولكن المجتمعات بشكل عام قادرة على توظيف وتطويع انقساماتها الطبقية لأنها تمتلك أيضا الادوات الكفيلة بدرجة أو بأخرى بضبط هذه الانقسامات وأضفاء المشروعية عليها . ولكن من ناحية أخرى **تظل الانقسامات الثقافية خارج حسابات الضبط الاجتماعى ، فضلا عن أنها تغزو المؤسسات الاجتماعية والسياسية الحديثة لتصيبها بحالة من الهشاشة** . وإذا كان يمكن تجاوزا توصيف الانقسام الاجتماعى كنوع من «فسيولوجيا» المجتمع أو علم وظائف أعضاء المجتمع ، فقد بدا الانقسام الثقافى وكأنه نوع من باثولوجيا المجتمع أو بلغة علم النفس **شيزوفرينا** . ومن هنا جاء توصيف الانقسام الثقافى كأنه تعبير عن اللاتجانس فى المجتمع كما وصفه البعض ، أو عن حالة ازدواجية كما وصفه آخرون.

يعتبر هذا الانقسام الثقافى إحدى السمات المميزة لمجتمعات العالم الثالث بشكل عام والمجتمعات العربية الإسلامية بشكل خاص .ولقد أصبح من المسلم به أن **الالتقاء بالغرب «الاستعمارى» منذ بدايات القرن التاسع عشر ولد داخل المجتمع حالة اجتماعية وثقافية مزدوجة الطابع شقيها: الاستجابة والتحدى**. وفى حين كانت تعبيرات الاستجابة تجرى على مستوى الواقع وأعنى بذلك إعادة تشكيل المجتمع وفق بنى تم

يسرى مصطفى عبد المجيد

استيرادها من الخارج طوعا أو كرها، وبالنسبة لحالة مصر فقد كانت الدولة هى الفاعل الأكبر فى هذه العملية . أما التحدى والرفض فقد اتخذ موقعه على المستوى الثقافى الذى مثل أيضا أحد مستويات الاستجابة وأصبح المستوى الأكثر حساسية للتناقضات والأكثر تعبيرا عنها.

تشكل الرفض على المستوى الثقافى كأحد أهم العوامل التى تحدد علاقة الذات بالآخر الممثل فى الغرب والذى اتخذ صورة الغرب الصليبى أو الاستعمارى ، وفى مراحل لاحقة اشتمل مفهوم الآخر على أولئك الذين تم التعامل معهم ، من منظور بعض الاتجاهات الدينية، **بوصفهم امتداد الغرب فى الداخل سواء كان الداعون إلى علمنة المجتمع والمواطنون الأقباط من بعدهم.** هذا وقد انصب الرفض الثقافى على قضايا محددة أهمها **قضايا العقيدة ، المرأة، اللغة.**

وعلى متن ثنائية الاستجابة / التحدى ،مر الثقافى المصرى بمراحل متعددة نعطى هنا لمحات سريعة عنها.

المرحلة الأولى

كما أوضحت بعض الدراسات فإن المرحلة الأولى لبروز الفعالية الثقافية كانت قد اتسمت بمحاولات التوفيق بين الوافد والموروث (محاولات **الأفغانى ومحمد عبده).**

وكان التوفيق ، وليس رد الفعل العنيف ، هو شكل الاستجابة الثقافية فى هذه المرحلة لأسباب أهمها على وجه الاطلاق الدور القوى الذى لعبته الدولة المصرية فى عملية التحديث.

فلقد قامت الدولة أولا بتحديث ذاتها كدولة وفى الوقت نفسه غزو المجتمع وتأطيره من خلال بيروقراطييها وقوانينها ولوائحها وبدت الدولة على الصعيد الداخلى كفعالية ثقافية جديدة وتشكل مثقفو هذه المرحلة كجزء من هذه الفعالية وسعوا إلى توفيق الأوضاع على المستوى الفكرى. فقد استشعر مثقفو هذه المرحلة مدى تأخر المجتمع ولم يكن أمامهم خيار سوى التوفيق فعمدوا «إلى تنظير استراتيجيات توفيقية ومقاومة فى نفس الوقت . وقامت هذه الاستراتيجيات على ايمان وهمى(..) بإمكان ايجاد تسوية بين الحضارتين الأوروبية والاسلامية باقامة تأليف مركب منهما معا. والمشروع الذى دعا إليه هؤلاء المصلحون كان يرمى إلى استعارة الوسائل العلمية والتقنية من البلدان الغربية، وكذلك المؤسسات الاجتماعية والسياسية التى يمكنها أن تفرض «هيمنة ذاتية مقابلة» للمحافظة الكاملة على عناصر هويتها السياسية»(١).

والواقع أن استراتيجية هذه المرحلة ستشكل أساسا للتاريخ الثقافى والفكرى اللاحق وسوف تؤثر سلبيا على مستويين.

أولا: على المستوى الفكرى : ستمثل حالة كبح لنمو المعارف العلمية كما ستجعل حركة الجدل الفكرى أفقية وليست رأسية ، بمعنى أنها ستخلق نوعا يمكن أن نسميه «ثقافة المناظرة» وليست ثقافة «التراكم المعرفى».

ثانيا: على المستوى السياسى والاجتماعى : ستعمل الثقافة التوفيقية كقنبلة موقوتة تنفجر وقت الازمات ، وتجعل المجتمع ينقسم على ذاته بين الحين والاخر.

المرحلة الثانية

مع حدوث الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ دخل المجتمع فى منعطف جديد بعدما أصبح المحتل ماثلا أمام الأعين وفى هذا الوقت كانت الدولة قد قطعت شوطا كبيرا فى عملية التحديث إلى الدرجة التى أصبح معها التحديث حقيقة اجتماعية وتاريخية . كان لهذه الحقيقة أثرها الواضح على المجالين الفكرى والسياسى وتبلورت نخب ثقافة وسياسة جديدة واصلت المسار التوفيقى بادوات جديدة صحافة واحزاب وجمعيات ، لجان الخ.

فعلى المستوى السياسى لعب الوجود الاستعمارى المباشر دوراً فى التوحيد النسبى للجبهة الداخلية على الرغم من الانقسام الذى بدأ يظهر ما بين المدافعين عن الوطن بمعناه القديم والمدافعين عن «الأمة» بمعناها التقليدى» . ووصل هذا التوحد ذروته عام ١٩١٩.

ولكن بدا على المستوى الثقافى والفكرى أن الصيغة التوفيقية والتى أصبحت أساسا للدولة والثقافة ، بصدد أو لمأزقها الاجتماعية ، وخاصة مع بدايات عقد العشرينات حيث بدأ أول استقطاب حاد على الصعيد الثقافى الداخلى، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن عقد العشرينيات هو الذى شهد:

١- عودة جيل جديد ممن تلقوا تعليمهم بالخارج.

٢- أزمات فترة ما بين الحربين.

٣- إلغاء الخلافة.

لعبت هذه العوامل دورها فى إبراز حدة وهشاشة الصيغة التوفيقية ،كما أبرزت أن المجتمع وفقا لهذه الصيغة ،مهيأ للانقسام على ذاته ، فمع بروز ثقافة علمانية صريحة هب الدينيون دفاعا عن عقيدتهم ودفاعا عن خلافتهم ولم يكن الرد الثقافى آنئذ موجها



كمال أتاتورك

ضد التحديث بل ضد ما صار يعرف باسم «التغريب» . وفى هذا السياق يقول أحد المفكرين العرب عن أهم المنازعات الفكرية التى شهدها هذا العقد: «**مثلت قضيتا طه حسين وعلى عبد الرازق** محطتين رئيسيتين فى سياق الهجمة الدينية على تعميم العقلانية وأسس النظر التاريخى على مجالات اعتبرها الدينيون حكراً عليهم ، وكان من نتائجها أن نجح الدينيون وبموازرة السلطات والقوى السياسية.. فى تثبيت المطالبة وبالتالى تكرارها ، **بحظر النظر العقلى فى أمور النصوص الدينية وتقاليد التاريخ الاسلامية المتعلقة بصدر الاسلام ، وتثبيت المقالة الذاهبة إلى أن الاسلام دين ودنيا** ، وبالتالى فى تكرار هذه المقالة حتى خيل لبعض الناس أنها من البديهيات»(٢).

ولم تكن الهجمة الدينية فى العشرينات تعبيرا عن قوة وانتصار القوى الدينية ، بل بالاحرى تعبيرا عن دخولها حيز التأزم مع تأزم المجال الثقافى برمته وعدم قدرة الصيغة التوفيقية على احتوائه ، فقد نشأت ،كما يقول د. جابر الانصارى: «أزمة ضميرية دينية وشرعية سياسية عندما ألغيت الخلافة (سنة ١٩٢٢) وتم تقسيم الشرق العربى إلى دويلات «وطنية» حسب المفهوم العصرى، إذ قام تعارض وتناقض بين الانتماء التاريخى والعقيدى- «الشرعى» القديم -لدار الاسلام وبين الولاء المفترض للوطن المحلى المحدود ، بين الارتباط بالجماعة أو «الأمة» المعنوية الكبيرة وبين التبعية لأرض محددة»(٣).

ولكن من ناحية أخرى ، يبدو أن إلغاء الخلافة كان سببا فى بروز برجماتية جديدة تجاه الدولة الوطنية ، فقد تم اكتشافها كأحد الفعاليات الأهم بما لا يقارن فى تحقيق الاهداف السياسية أو الثقافية وأصبحت فكرة الاستيلاء على الدولة فكرة ممكنة بعد أن

أزيلت عنها قدسية الخلافة وفى هذه اللحظة بدأت المشاريع الثقافية فى التحول إلى مشاريع سياسية الأمر الذى انعكس فى البناء التنظيمى للقوى والجماعات المختلفة . ولكن فى ظل هشاشة القوى السياسية وانسحاب أغلب القوى الاجتماعية تولى الجيش مهمة الاستيلاء على الدولة ليفتح بذلك مرحلة جديدة.

ونخلص من ذلك إلى أن هذه المرحلة أسست للاتى:

١- امكانية وخطورة تأزم الصيغة التوفيقية فى الثقافة.

٢- استهداف الدولة وبالتالى التحالف الواضح بين الثقافة والسياسة.

المرحلة الثالثة

وبالفعل تم استهداف الدولة وكانت صيغة الاستهداف تجرى تحت شعار التحرر من الاستعمار وحدث أن تولى الجيش هذه المهمة بتأييد شعبى واضح ولم تكن مصر هى النموذج الوحيد فقد كان ذلك هو سمة المرحلة سواء على مستوى الدول العربية وعلى مستوى افريقيا والعالم الثالث . ففى كل هذه الاحوال كان الطريق يتجه نحو **تكوين دولة قوية تحت سيطرة قيادات وطنية عسكرية** تسعى إلى ضبط مجتمعات هلامية. وبشأن العلاقة بين الدولة والمجتمع آنذاك يقول مفكر عربى أنه كان ينظر إلى المجتمع فى هذا الوقت «باعتباره كما راكدا لابد من تجنيده فى أحسن الحالات(فرضية الدولة القوية الشعبية مع **ناصر وبومدين**) أو لتأطيره ومراقبته(فرضية الدولة القوية الارستقراطية ،كما هو الحال فى الانظمة الملكية) ، والفلاحون والعسكر (ضباط أحرار أو ثوار) الذين قادوا إلى النهاية عملية القضاء على الاستعمار ، كانوا بالطبع راضين كل الرضى عن كل ايديولوجيا تبرز تواجد الدولة المكثف والقوى .فالفلاحون استفادوا خاصة فى المرحلة الأولى من الاصلاحات الزراعية التى مست بحركتها اغلبية المناطق الريفية فى الوطن العربى ،أما الجيش فقد استفاد من الشرعية فى احتكاره للسلطة ،أما المثقفون فقد اعجبوا بهذه الدولة التى فتحت أمامهم ابواب المناصب الادارية التى أغلقها امامهم الاستعمار ، فقاموا بتوفير المستشارين والمخططين واطارات التجنيد الجماعى التى كانت تحتاجها هذه الدولة لتسيير المجتمع(٤) ».

وتحققت فرضية الدولة القوية ، فتميزت هذه المرحلة **برغبة الدولة وقدرتها على احتكار العمل السياسى و احتكار الخطاب الثقافى واحتكار الانتاج الاقتصادى أيضا** .وكانت هذه الدولة، من المنظور الثقافى ، قد ورثت هى الأخرى الصيغة التوفيقية وبدت فى خطابها الواعد وكأنها تؤسس لهذه الصيغة أكثر من أى وقت مضى . وكانت هذه الصيغة مناسبة لهذه الدولة« القوية » التى لم تسمح بأي استقطاب ثقافى سلبيا كان أم إيجابيا ، فتم تعريف الذات فى علاقتها بالآخر(الغرب) من خلال تعبيرات وطنية قومية إسلامية، وما فعلته الدولة فى هذه المرحلة أنها أممت التناقضات الثقافية كجزء من مهمتها الخاصة بضبط المجال الاجتماعى ككل، ومن ثم فهى لم تعمل على حل هذه التناقضات ، بل تجميد الارصدة الثقافية بفوائد سلبية بالحسابات الاجتماعية والتاريخية.

المرحلة الرابعة

وللمرة الثانية لم تستطع الصيغة التوفيقية الصمود طويلا ، فقد تأزمت مجددا مع تأزم الدولة القوية وضياع مشروعها السياسى الوطنى وكانت الأزمة هذه المرة أكثر حدة حيث ادخلت المجتمع فى اضطراب عنيف وتحديدا فى النصف الأخير من عقد السبعينيات لأسباب منها:

أولا: تقلص وظائف الدولة «القوية» مع الابقاء على نواتها القمعية ممثلة فى المؤسسة العسكرية والأمنية والتشريعية.

ثانيا: دخول المجتمع فى حالة من الاستقطاب الاجتماعى الحاد.

ثالثا: اعادة صرف الأرصدة الثقافية المتناقضة التى جمدتها الدولة الناصرية وتوزيعها من جديد على النخب الثقافية وإعادة تدويرها اجتماعيا بادخال قطاعات واسعة من الشباب إلى دائرة الاستقطاب الثقافى . ونشير هنا إلى أزمة السبعينيات وما تلاها تختلف عن ازمة العشرينات فالصراع الثقافى فى العشرينات لم يشمل هذه القطاعات الواسعة التى شملتها الازمة الراهنة.

رابعا: صعود الثقافة النفطية لتزيد بذلك من «الرصيد الثقافى التقليدى» وتوزيعه على أكبر قدر ممكن من قطاعات الطبقة الوسطى.

خامسا: التوظيف السياسى للثقافة من قبل الدولة فى إطار محاولاتها استعادة قوتها دفع المجتمع إلى الانقسام على ذاته.

وبذلك دخل المجتمع فى حالة من الاضطراب العميق تم التعبير عنه ثقافيا.وكما حدث سابقا فقد تم استعادة فكرة استهداف الدولة لكن صيغة الاستهداف هذه المرة ليست التحرر من الاستعمار ولكن التحرر من الضلال ، وهكذا تم اضفاء الطابع الثقافى على مجال العمل السياسى ليصبح بذلك الاستقطاب ثقافياً سياسياً فى آن واحد ، ويشهد على ذلك انتقال «الآفاق التاريخية التى فتحتها التجربة الوطنية من الصعيد السياسى- الاقتصادى «مهام البناء الوطنى» إلى الصعيد الاجتماعى- الثقافى المتحور حول مسألة الاصالة واصلاح اخلاق المجتمع ولاسيما فيما يتعلق بوضع المرأة والتشريع والاجتهاد »(٥).

تشكل المجال الثقافى وفق هذه الصيغة كمجال كابح للعمل السياسى والفكرى وخاصة مع انسداد مجالات العمل السياسى الشرعية من ناحية ، وانخراط النخب الثقافية الدينية والعلمانية فى ثقافة مؤججة للصراع يمكن أن نسميها **«ثقافة المناظرة»** من ناحية أخرى ، الأمر الذى أدى إلى مشاركة كل الاطراف الفاعلة فى دفع المجتمع إلى الانقسام على ذاته ثقافيا ، وبالتالى تولد عنف موجه نحو الداخل.

ويبدو أن ما شهدته الثمانينات والتسعينيات من فوضى ثقافية يعد منعطفا خطيرا وخاصة فى ظل التحولات العالمية الحادة على الصعيد الثقافى . وعمليا لم يعد للصيغة التوفيقية مجال بعد الآن، فإما مشروع ثقافى جديد وإما استمرار الفوضى . ويكفى أن نشير إلى أن اعتماد الدولة أو بعض الأحزاب السياسية الآن الصيغة التوفيقية لمواجهة الحركات الدينية لم ينتج سوى ثقافة مبتذلة أو بمعنى آخر ثقافة استهلاكية تسهم فى إعادة تأزيم الموقف.

مصادر:

* قدمت هذه المداخلة فى ندوة «العنف السياسى وآفاق التطور الديمقراطى» التى عقدتها المنظمة المصرية لحقوق الانسان فى ١٩٩٨/٢/٢٥.

١-**برنار بوتيفو**: الشريعة والقانون فى المجتمعات العربية، ترجمة فؤاد الدهان دار سينا للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، ص١١٨.

٢-د. **عزيز العظمة**: العلمانية من منظور مختلف ، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٢ ص٢٣٤.

٣-د. **محمد جابر الأنصارى**: تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى ١٩٣٠-١٩٧٠ ،كتاب عالم المعرفة نوفمبر ١٩٨٠.

٤- د. **على الكنز** : من الاعجاب بالدولة إلى اكتشاف الممارسة الاجتماعية ، المستقبل العربى ، العدد ١٥٨ أبريل ١٩٩٢.

٥-د. **على الكنز** : حول الأزمة ، دار بوشان للنشر، ١٩٩٠س ،ص ١٢٢.

عبد الغنى أبو العينين..
عطاء إنسانى.. فى كل المجالات

ما إن عدت إلى المنزل بعد ظهر يوم الأربعاء ١٥ أبريل ، حتى فاجأنى د. **رفعت السعيد** بمكالمة تليفونية ليقول لى .. «البقية فى حياتك فى أبو العينين، توفى اليوم فى باريس ، وسيحدد موعد الجنازة بعد وصول الجثمان» ويطلب منى إبلاغ الصحف، وبدأت بالاتصال بالزملاء الموجودين فى«الدسك» فى الصحف المختلفة ،و أنا فى حالة إنعدام وزن لا أكاد استوعب الخبر. فمنذ أيام قليلة أبلغنى الزميل **مصطفى نبيل** أن نتائج التحاليل أثبتت وجود تحسن وأن«**عبد الغنى أبو العينين**» مسافر إلى باريس لاستكمال العلاج .. وكان مصطفى متفائلا.

انتهيت من هذا الواجب الثقيل ، واستسلمت لحالة من الغوص الداخلى والذكريات.

التقيت بعبد الغنى أبو العينين مع بداية عملى فى الصحافة فى أخبار اليوم، استدعانى **أحمد بهاء الدين** رئيس التحرير -كنت أعمل محررا للشئون الافريقية بأخبار اليوم- وقدمنى إلى **سعد كامل** لأعمل معه فى مجلة شهرية تصدرها وزارة الثقافة تحت إسم «**نهضة افريقيا**» كان سعد متحمسا لتطوير المجلة شكلا وموضوعا. وعملت معه سكرتيرا لتحرير المجلة **ورعاية النمر** مخرجا فنيا . بعد تجديد المجلة وصدور أكثر من عدد ، جاء **عبد الغنى أبو العينين** ،واحد من مدرسة جديدة فى الاخراج الصحفى ، تضم **عبد السلام الشريف وحسن فؤاد وأبو العينين**، ليضيف لمسات جديدة للمجلة.

وبدأت بيننا منذ ذلك الحين (١٩٦١) علاقة لم تنته أبدا. وتعلمت منه الكثير جدا.

فرغم أننى كنت فى ذلك الحين صحفيا فى أخبار اليوم وأعمل مع واحد من المع الصحفيين **هو أحمد بهاء الدين** وأكتب عمودا أسبوعيا فى أكثر الصحف توزيعا (أخبار اليوم وكانت توزع ٤٠٠٠٠٠ نسخة فى ذلك الحين ، وهو أعلى توزيع لصحيفة. مصرية حتى عام ١٩٦١) ، فلم أكن أعلم الكثير عن عالم الصحافة .. المطابع والجرد والبنط والكور والخط والماكيت . كنت أجلس الساعات إلى جوار أبو العينين أراقبه وهو يرسم صفحات المجلة ويختار الصور والابناط والكور.. ولأول مرة نزلت إلى المطابع وعرفت أنواعها القديم منها والحديث . وفتح أبو العينين عينى على أهمية الجمال فى عرض الموضوعات وعلى عالم الخط العربى بأنواعه وعن الخط الحر الذى كان ابتداعا كاملا له.

وبعد سنوات طويلة من العمل فى الصحافة اكتشفت أن أبو العينين ينتمى فى الاخراج الصحفى إلى مدرسة تكاد تندثر فى الصحافة المصرية. **لم يكن يقدم على إخراج أى موضوع أو خبر الا بعد قراءته كاملا ، ومطالبة المحرر أو الكاتب فى كثير من الاحيان بإدخال تعديلات فى الصياغة أو استكمال معلومات ناقصة أو تغيير العنوان.** كان الشكل عنده لا ينفصل عن الموضوع إطلاقا. ولم يكن قادرا على رسم أى صفحة ما لم يكن مقتنعا ومتجاوبا مع موضوعاتها.

ومع أبو العينين بدأت أدلف إلى عالم الفن التشكيلى وفنانيه وإلى رؤية الفن الشعبى والتاريخ مجسدا فى الفن.

واستطاع أن يحول إيمانى بالافكار الاشتراكية والفكر اليسارى وانتمائى لليسار المصرى ونضاله ،من مجرد افكار ونظريات وأحساسيس . إلى واقع حى من خلال حوارات وحكايات لا تنقطع عن الشيوعيين المصريين ونضالاتهم ومغامراتهم من أجل الوطن والناس والمعتقد.

كان أبو العينين منتميا -كفنان وصحفى وإنسان- إلى المدرسة الماركسية المصرية ، وإلى «حدتو» تحديدا. لم يكن يضع انتماءه يافطة علي صدره ، ولم يكن يجيد حديث المصطلحات والالفاظ ، ولم يكن منتميا إلى الجمود الذى اصاب الفكر الماركسى .. كانت شيوعيته حبا للناس وحقهم فى الحياة وفى الاستمتاع ببلدهم وفنونهم ، وفى الحصول على نصيب عادل من الثروة.

وقد ارتبط نضاله الوطنى والاجتماعى بفنه وبالصحافة والمسرح والفنون الشعبية.

فى بداية الخمسينيات انتمى إلى المنظمات الشيوعية اليسارية ، وشارك فى طبع مجلة«**الملايين**». وعندما هاجمت قوات البوليس المطبعة الصغيرة التى تطبع الملايين وكان أبو العينين موجودا بها ، حمل بيده صفحة المجلة وهى ما تزال سطورا من الرصاص تزن عدة كيلو جرامات وأسرع بمغادرة المطبعة ليحول بين الأمن وضبط المجلة.

وفى روزاليوسف وصباح الخير تألق الصحفى والفنان.

وواصل رسالته فى وزارة الثقافة فى فرقة الفنون الشعبية ومركز تسجيل الفنون الشعبية.

والذين أسعدهم الحظ-مثلى -برؤية فرقة الفنون الشعبية فى عهدها الذهبى ، انبهروا واستمتعوا بالتصميم الجميل والواعى لملابس الفرقة والتى تخدم الرقصات وتضيف لها لوحات تشكيلية رائعة. **كان أبو العينين يجوب مناطق مصر ويدرس الملابس والمواد التى تصنع منها ، ويتابع حركات الراقصين ويستمع للموسيقى ، ثم يضع تصميم الملابس ويجسدها في لوحات تسجل لقطات من الرقصة تنطق بالحركة واللحن.**

وعندما انتقل إلى دار التحرير وجريدة **الجمهورية** مستشارا فنيا أضفى بعدا غاب طويلا عن صحف دار التحرير . أصبح الشكل الجميل -والذى يتطلب بدوره موضوعا جيدا- سمة مميزة للجمهورية.

فى عام ١٩٦٨ كنت ممنوعا من العمل فى الصحافة المصرية ، عاطلا رغم أنفى .وحضر إلى مصر الصديق« **محمد الميلى**» رئيس تحرير«**المجاهد**» *العربية التي* تصدرها جبهة التحرير الوطنى الجزائرى .كانت الصحيفة متوقفة عن الصدور استعداد ا لتطويرها وتجديدها . وعرض على الذهاب للعمل معه . ولم أجد سببا للاعتذار . وطلب منى ترشيح فنان لعمل ماكيت جديد لها . وبسرعة اقترحت الصديق **عبد الغنى أبو العينين** . وذهب «الميلى» لمقابلة **أحمد بهاء الدين** ، وطلب منه ترشيح شخص لعمل الماكيت واقترح بهاء أبو العينين . والتقى الميلى به وبالفنانة **رعاية النمر زوجته** .وكما يحدث مع كل إنسان التقى بأبو العينين ورعاية ، نشأت علاقة صداقة حميمة بين« الميلى»- «وزينب» زوجته فيما بعد- وأبو العينين ورعاية . ووافق أبو العينين على عمل تصميم جديد للمجاهد ، ولكنه اشترط أن يرى المطابع وأن يتعرف بالصحفيين العاملين بها. وسافرنا معا إلى الجزائر .**وقضى أبو العينين أسابيع يتردد على المطبعة ويتحدث إلى عمالها ، ويتنقل فى مكاتب الجريدة ويجالس محرريها . وطلب من الميلى أن يقوم بجولة فى بعض مدن وقرى الجزائر . وفعلا زرنا عدد كبيراً من ولايات الجزائر المختلفة فى الشرق**

حسين عبد الرازق

والغرب. وبعد شهر تقريبا شعرت أن الصديق **«محمد الميلى»** قلق من عدم انتهاء أبو العينين من عمل «الماكيت الجديد» . واتصلت بأبو العينين تليفونيا فى الفندق- وكان قد اختفى عن الأنظار لمدة ثلاثة أيام أو أكثر- أسأله عن الاخبار . طلب منى الحضور . ذهبت إلى الفندق .ما أن دخلت إلى غرفته حتى قام وفتح غلافاً كبيراً وبدأ يلقى على«السرير» بتصميمات لأغلفة **«المجاهد»** انتهى منها. بلغت على ما أذكر ١٢غلافا .كل منها لوحة كاملة بما فى ذلك الصورة المفروض وضعها فى الغلاف .كان قد رسم على على كل غلاف صورة لمشهد من الجزائر شاهده في أحد الولايات.

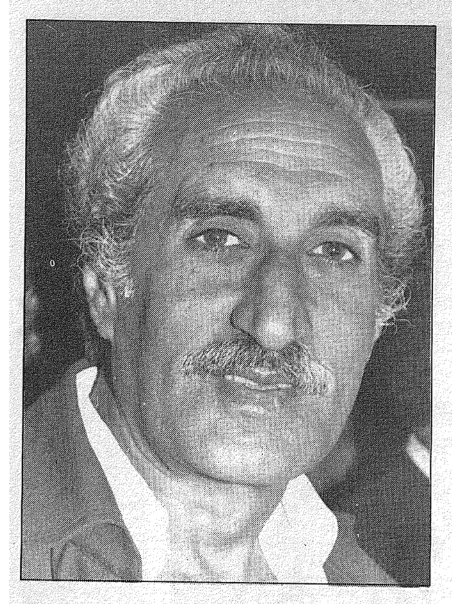
وأسرعت اتصل بالميلى وأطلب منه الحضور .وما أن دخل وشاهد الاغلفة على الفراش حتى احتضن أبو العينين كان المنظر مبهرا . وقد استخدمت اللوحات المرسومة عليها بعد ذلك فى بعض الاعداد مع بدى المجاهد في الصدور.

ولم ينقطع عطاء أبو العينين فى الصحافة والفن التشكيلى والمسرح والفن الشعبى .. والحياة.. أبدا.

وعندما تقرر السماح للاحزاب باصدار صحف لها ، وقرر حزب التجمع اصدار صحيفة**«الاهالى»** تولى أبو العينين عمل«الماكيت» . وعندما عرضه على مجلس التحرير ومستشارى الأهالى -وكان من بينهم عدد من كبار الصحفيين- أحس الجميع أنه **مبهر ومعبر أيضا عن المضمون الذى نريده .** ولكننا أدركنا أيضا أنه سيفقد أكثر من ٧٠٪ من تميزه نتيجة اجبارنا على الطبع على مطبعة(كهنة) فى مؤسسة دار التعاون ، وقد وضع «أبو العينين» فى هذا الماكيت **كاريكاتير فى رأس الصفحة ، بحيث يصبح أحد مانشيتات الصحيفة .وهى تجربة نقلتها كل الصحف الحزبية بعد ذلك.**

وفى فترة غياب الأهالى وضع ابو العينين ماكيتاً للنشرة الداخلية للتجمع- وكان بالطبع عضوا مؤسسا فى الحزب- والتى اسميناها **«التقدم»** ،ووضع **تصميما لشعار الحزب** ،ورسم كثيرا من الملصقات التى أصدرناها.

وعندما عادت الاهالى للصدور فى مايو ١٩٨١ كان أبو العينين هو المستشار الفنى للأهالى . ووضع تطويرا للماكيت يتفق مع التطور فى تحرير الجريدة والتى أصبحت رئيسا لتحريرها. وقبل صدور العدد الأول وقعت حادثة دالة على شخصية أبو العينين الرائعة والذى لم يجد غضاضة فى العمل فى جريدة يرأس تحريها أحد تلاميذه. وقد حرصت على تسجيلها فى كتابى **«الاهالى صحيفة تحت الحصار».**



«.. بدأنا فى تجهيز المادة وإرسالها لمطابع الاخبار للجمع باللينوتيب وتوالى وصول بروفات الجمع . وكلما اقترب موعد الصدور ، كنت اشعر بأن ضغطى يرتفع وأعصابى تزداد توترا ، وفقدت أعصابى تماما يوم الأحد(١٦ مايو) السابق للصدور عندما مرت الساعات والفنانان **«أبو العينين» و «عز العرب»** لا يحضران لتصميم صفحات العدد.

كان الموعد المتفق عليه هو الحادية عشرة صباحا . ووصل «أبو العينين» أولا فى السادسة مساء بعد أن كدت انهار . وانفجرت فيه غاضبا . ولم يرد على. اكتفى بأخذ البروفات وبدأ فى العمل فى هدوء وصمت . وحضر «عز العرب» بعده بقليل . وعاتبته بحدة وغضب.

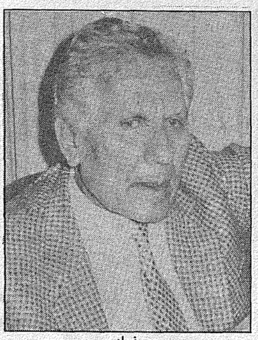
فى اليوم التالى(الاثنين) كنت أشعر بالخجل للطريقة الحادة التى تحدثت بها مع «أبو العينين» .حاولت الاعتذار له ، ولكنه لم يمكننى واحتضننى ضاحكا قائلا: «يا عم حسين الشغل عايز كده وان ما اتصرفتش بالطريقة دى ماتنفعش رئيس تحرير».

أنه فخر لى أننى عملت مع **أبو العينين وأحمد بهاء الدين وصلاح حافظ وسامى داود** (والصديق الكبير **محمد عودة** أطال الله فى عمره) وتعلمت منهم. إنه جيل العمالقة.

وكم كان **محمد عودة** صادقا عندما قال لى ونحن نسير فى جنازة الراحل العظيم **«عبد الغنى أبو العينين»**.. كم سنفتقد دفء الحياة بعد غياب أبو العينين . لمن سنلجأ عندما نشعر بالضيق وعدم القدرة على التواصل مع هذا العالم الغريب.. كنا نفر إلى أبو العينين فنشعر أن للحياة معنى وبهجة وننسى كل الهموم والمشاكل ونستعيد القدرة علي التواصل والحلم والأمل.



د. حمزه البسيونى
كل الوقت للنضال
لا وقت للحب


يوسف ادريس

من منا لا يذكر رائعة **يوسف ادريس** التى تجسدت فى فيلم « **لا وقت للحب** » ؟ ذلك الفيلم الذى تكاتفت فيه إبداعات **صلاح أبو سيف،رشدى أباظة، صلاح جاهين ، فاتن حمامة.. مع د. يوسف ادريس** لتقدم لنا نموذج المناضل المصرى الذى لا يعرف التراجع .. ولا يعرف الا النضال سبيلا للحياة. «**حمزة**».

المخرج لم يعجبه الاسم، البطل لم يعجبه الاسم.. لكن المؤلف صمم على إسم «**حمزة**» فهو الصاحب الحقيقى للقصة.. وهو البطل الحقيقى فى الرواية وهو الذى استمتع **يوسف ادريس** بصموده وصلابته وحكاياته خلال محنة سجن مشتركة.

حكى له قصته ، فسجلها كتابة ، فكيف ينكر عليه حقه عندما تتحول أيامه وحياته إلى فيلم . ويبقى الفيلم شاهداً على بطولة مناضل .. شاهداً على« **حمزة البسيونى**».

الاسم: د. حمزة محمد البسيونى.
تاريخ الميلاد : ٢٥ /١٢/ ١٩٢٤.
محل الميلاد: نوسا الغيط- مركز أجا.
الاسم الحركى: فتحى.
المهنة: طبيب، مستشار التأمين الصحى بالاسكندرية.

.. **ونوسا الغيط** قرية صغيرة من مدينة **المنصورة** . يربطها بالمدينة خط سكة حديد بدائى ، لكنه يكفى تماما لكى يمنحها متعه الاقتراب من خياة المدينة، وبهجتها ،وتقدمها .(كنا ونحن صغار نتراهن ونستمتع بأن نسابق هذا القطار المسمى «الفرنساوى» ، نسابقه فنسبقه) والقرية ، تستمتع بنسبة متعلمين عالية ، وتموج بالحركة التجارية، وتمتلك فوق هذا وذاك «بوفيه المحطة» الملتقى الدائم لمتعلمى القرية، يطالعون الصحف ، يستقبلون العائدين من المنصورة ، يتناقشون فى السياسة ، يمتدحون الوفد ويلعنون خصومه ، **ويتحدثون مع حمزة ويتحدث معهم.. عن ذلك الضوء الجديد الذى ألهم البيه الدكتور أن يكون شخصا آخر .. يخوض معركة أخرى غير معركة العيادة والسيادة والفيلا وجمع المال.**

والأب لم يكن يمتلك أرضا ، ولكن كان يمتلك «وابور طحين» ما إن تدور ماكينته وتدوى صفارته معلنة بدء العمل حتى تتهادى نساء وصبية ورجال نحو «الوابور» الذى يحيل حبوبهم إلى دقيق.

والقرية المستنيرة تمتلك دوما فريق كرة قدم وناديا رياضياً ، فريقهم كان دوما مثار فخر للقرية . وعلى زمن **حمزه** كان ضمن الفريق رجل تعرف عنه مصر الكثير إلا أنه كان لاعب كرة«د. مصطفى الجبلى».

والبلد تمتلك أساطيرها الخاصة بها ، موائد البوفيه تستعيد وتعيد دوما قصصا مبهرة،« **محمد الشربينى** » البطل الذى تصدى للانجليز ، وواجههم وحده ، وركب «حصانا من حديد» «هكذا تقول الاسطورة» صمد لرصاصهم حتى تعب الخواجات وتراجعوا.

البلده وفدية تحتشد لتصوت لمرشح الوفد، فإذا جاءت حكومات الاقلية يكون هدفها منع «نوسا الغيط» من التصويت.

والولد حمزة .. يركب القطار يوميا ، ليتهادى فى هدوء نحو المدرسة فى المنصورة ،فى المنصورة الثانوية إلتهب مع المظاهرات الوطنية الصاخبة، لكن **الولد الفلاح رغم حماسه الدافق لم يتجاوز درجة «متظاهر»** رغم أنه نال ذات يوم علقه ساخنة لم ينسها حتى اليوم.

وفى عام ١٩٤٥ ينطلق الفتى الفلاح الذى لم تتجاوز طموحاته حدود المشى المنبهر فى شارع العباسى أو شارع السكة الجديدة فى المنصورة ، ينطلق إلى الاسكندرية . هناك أخته وزوجها .. وهناك أيضا طموحه كى يصبح طبيبا .وهو لم يزل طالبا فى إعدادى طب، لكنه يستمتع باحترام الجالسين على بوفيه المحطة ونداءهم له« يا دكتور» كلما عاد إلى القرية حاملا معه قصصا مبهرة عن مظاهرات الاسكندرية الصاخبة.

* البحث عن مظاهرة

يشتعل الفتى حماساً مع مظاهرات إسكندرية عام ١٩٤٦ الملتهبة، يبتسم الآن وهو يتذكر نفسه مصطحباً بلدياته **عبد الغفار** يتجولان فى شوارع الاسكندرية يسألان كل من يقابلانه « مشفتش مظاهرة» وما أن يسمعا عن مظاهرة أيا كان سببها حتى ينطلقا ليشاركا فيها.

وكان مولده الحقيقى يوم ٤ مارس. تقرر الاحتفال بعيد شهداء أحداث **٢١ فبراير** . الاخوان ومصر الفتاة بالتواطؤ مع الحكومة قررا أن يكون **٤ مارس** يوم حداد. المحلات تغلق، الشوارع تخلو من المارة .. ولا شئ . **الشيوعيون قرروا أن يكون يوم نضال.** وانطلقت مظاهراتهم فى كل مكان. كعادته اصطحب «عبد الغفار» يبحثان عن مظاهرة .جاءهم خبر أن عمال شركة النيل سيتظاهرون، انطلقا . انتظرا مظاهراتهم حتى تفجرت وتفجرا معها حتى ميدان محطة الرمل. هناك بحر من البشر يموج بالسخط ضد الاحتلال. أطفال يقذفون بأنفسهم إلى رصاص العدو وهم يقذفونه بالحجارة. الجنود الانجليز أطلقوا رصاصهم ، وأمطرهم المصريون بغضبهم ، أحرقوا عمارة كان بها من يطلقون الرصاص، ثم حاصروا كشك البوليس الحربى البريطانى فى محطة الرمل. الاطفال يمزقون جلاليبهم التى لا يملكون غيرها يبللونها بالبنزين وينطلقون وسط الرصاص ليعلقوا بكرات القماش المشتعل على الكشك.

«**حمزه تجسد أمامه حلم أن يمتلك سلاحا. ماذا لو اقتحم الكشك واختطف سلاحا من العدو؟** أية حالة من الاقدام تتلبس شاباً ملتهباً بحماس آلاف البشر المنطلقين حوله. وجد نفسه مع بضعة أشخاص يقتحمون الكشك. كسروا الباب . دخلوا .ثم .. صوت مكتوم (الآن عرف الفارق بين صوت البنادق ، وصوت رصاص الرشاش) الناس حوله

د. رفعت السعيد



رشا ووائل حمزه ومنى وخالد حمزه

أبناء حمزه البسيونى وزوجتها وجميعهم صيادلة

يتساقطون ، هو يندفع لم يزل ، يريد سلاحا فى يده يقتل به العدو ، أطفال يسبقونه ، يموتون قبله ، هو يصمم على اقتحام الكشك، بقى فى الكشك أربعة جنود ، تذكر المقتحمون انهم يحاصرون الكشك، أسرعوا إلى الخارج ، النار أحاطت بالكشك لتلتهمه .حضر الجيش المصرى.. خرج إنجليزيان وجثتان. وفى الميدان مائتى قتيل من المصريين .كيف نجا ؟.

هل لا يعرف حتى الآن.

« حمزة طالب دخل المستشفى الاميرى ليلة حادث .. الجثث ممده فى فخار تأملها باحثا عن نفسه ،تأمل مصر وهى تقدم نفسها قربانا للاستقلال .. كل الاعمار ، كل الطبقات ،كل الأزياء .. مسجاة إلى جوار بعضها البعض تروى حكاية الوطن الذى يبحث عن حريته.

* زعيم بالمصادفة

فى اليوم التالى عقد الطلاب مؤتمرا صاخبا فى كلية الطب .**د. على حسن** عميد الكلية وقف يتحدث مع الطلاب، **حمزة** كان يغلى ، لمحه العميد، قال مشيرا إليه :**أنت** ألح فى إشارته حتى إختاره هو تحديدا . إنت تعال . واضح أن كلامى مش عاجبك. إتكلم أنت.(أى مأزق هذا ؟ الفتى ، الريفى ، الملتهب حماسا مطلوب منه أن يكون خطيبا ،هو لم يفعلها من قبل، وهو إلى جوار العميد، وكبار الاساتذة ، فمن يجرؤ أن يفعلها ؟ هو فعلها) تفجر حماسه المختزن والذى أقلقه دوماً بسؤال « **مشفتش مظاهرة** » تفجر جملا ملتهبة ،ككرات النار التى صنعها الاطفال من جلاليبهم . لخص كل شوقه وحبه للوطن فى عبارات تطالب بالقوة بالسلاح لطرد المستعمر . وكى يمتص هذا الغضب صعد أحد كبار أساتذة الكلية إلى المنصة وكتب على السبورة « **العلم = القوة** » صفق الطلاب ، لكن الفتى الريفى العنيد اتجه نحو السبورة وكتب « **العلم = القوة فى بلد مستقل** » والتهب الجميع بالتصفيق والهتاف.

كان مدير الجامعة يريد أن يلتقى وفداً من ممثلى الكليات .. وطبعا إختار الطلاب « **حمزة** » واحداً من اثنين يمثلان كلية الطب.

التهبت الجامعة. حكومة صدقى أغلقت الجامعة.. واعتقلت العديد من الطلاب ، حمزة الذى أصبح زعيماً رغم أنفه إلتقى بطالب آخر يتفجر حماسا هو الآخر« **أحمد لطفى الصاوى** » ، وعرفت الاسكندرية الثنائي. .« **حمزة والصاوى** ».

قاد حمزة نضالا من أجل الافراج عن المعتقلين وإعادة الطلاب المفصولين ، فتكرست زعامته وهو لم يزل بعد طالبا فى السنة الأولى . وسعى إليه الشيوعيون . لم يكن ثمة إلحاح أو كثير كلام.. «اتفضل معاناً » فوافق على الفور.

بدأ يسمع كلاماً جديداً . أمسك بضوء مبهر قاده نحو آفاق ملهمة من المعرفة.. والحب للناس، والتضحية فى سبيل الوطن. أصبح عضوا فى **حدتو** (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى). وشارك مع رفاق حدتو فى لجان مكافحة الكوليرا ، التى شكلتها حدتو ليلتحم رفاقها من خلالها مع جماهير الشعب إذ يضعوا أنفسهم فى خدمتهم.

من سجن لآخر

تلقى تكليفا من المسئول بالتوجه إلى شركة الغزل الأهلية لدعوة العمال للتظاهر . توجه هو ومجموعة من الرفاق، الصدور مشتعلة جاهزة ، تحتاج فقط من يصب بنزينا. وتفجر عمال الشركة(٧٠٠٠ عامل) فى مظاهرة صاخبة . وقبض عليه لأول مرة . وقبض معه على رفيق طالب إسمه «**سعد فريد**» . هو أفرج عنه وقدم سعد فريد للمحاكمة.كان مريضا يرقد في المستشفى جاءه خبر مذهل حكم على الرفيق **سعد فريد** بالسجن ستة أشهر . تفجر غضبا .كانت هناك مظاهرة في الشارع .. لم يمكن بحاجة أن يسأل :مشفتش مظاهرة؟ فالمظاهرة جاهزة . ترك سريره فى المستشفى ، انطلق ليقود مظاهرة صاخبة كانت تهتف هتافا غريبا ؟ « **الشعب يريد، سعد فريد** ». آلاف البشر يصرخون ، يقلبون الترامويات ، وهم يهتفون «الشعب يريد ، سعد فريد» . بهدوء ترك المظاهرة وعاد إلى سريره بالمستشفى ،وكأن شيئا لم يكن ، لكن أحد كبار ضباط البوليس قدم شهادته أنه شاهد **حمزه والصاوى** علي رأس المظاهرة، وقبض عليهما مرة أخرى».

ثم تأتى **حرب فلسطين** لتعلن الاحكام العرفية ويقبض عليه فى **١٥ مايو ١٩٤٨** ليودع فى معتقل أبو قير. ذاكر وهو فى

المعتقل، ونجح (يقولون دوما ان كلية الطب كلية عملية، ويحتاج طالبها إلى المعامل والعيادات حتى ينجح. هو كسر القاعدة، وظل ينجح وهو ينتقل من سجن إلى سجن).

يفرج عنه عام ١٩٥٠. ليخوض غمار النضال المتجدد من جديد. يشترك بحماس فى مظاهرات ١٩٥٠-١٩٥١. ومعسكرات تدريب الفدائيين. وتشتعل القاهرة بحريقها المشهور فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، وتفتح المعتقلات من جديد. **ومن جديد يكون حمزة ضيفا على معتقل النزهة.**

هناك قاموا بتمرد لم يحدث أبدا. كانوا ثلاثمائة من الشيوعيين. اعتقلوا طاقم حراسة المعتقل.. وضباطه واحتلوا مكاتب الادارة، ومن هناك بدأوا يتصلون بمراسلى الصحف ووكالات الأنباء تلفونيا، يحكون لهم قصة المعتقل والمعتقلين ويطالبون بالافراج. قوات كبيرة أتت، حاصرتهم، وتقرر ترحيلهم إلى القاهرة.

هو بقى فى سجن الاجانب بالاسكندرية ليؤدى الامتحان، ألم نقل إنه مسجون دائم؟ **ذات صباح، فتحت الزنازين لتستقبل ضيوفا من نوع خاص جدا. ضباط الأمن السياسى الذين كانوا يسجنون الجميع أتوا الآن سجناء.. إنها ثورة يوليو.**

لكن الثورة تفرج عن جميع المعتقلين الشيوعيين الا.. أربعة عشر معتقلا «**حمزة**» واحد منهم.

ويبقى معتقلا. ليمارس المعادلة الغريبة. يسجن- يذاكر - ينجح.

*أنصار السلام

فى عام **١٩٥٠** كانت حدتو تخوض معركة تأسيس حركة **أنصار السلام**، وتولى هو مسئولية الحركة فى الاسكندرية.

انطلق الشباب يجمعون توقيعات «**لا تريد حربا نووية**» اتخذوا مقرا رسميا فى شارع **سعد زغلول**. آلاف التوقيعات جمعت. عشرات اللافتات علقت. ماجت الاسكندرية بعطر جديد، وهم يستمتعون آلان بعبق العمل العلنى. فى العيد قرروا أن يحتفل أنصار السلام به فى أحد الحدائق، ذهبوا جميعا هم وزوجاتهم وأطفالهم يحملون الزهور والبالونات ولافتات حركة السلام، ارتكب البوليس حماقة. أتى ليقبض عليهم **حمزة** أصبح الآن كادراً متمرساً. لم يقاوم **جمع الرجال والنساء والأطفال واستسلموا للبوليس. ساروا فى مظاهرة صاخبة يحملون لافتاتهم وزهورهم وبالوناتهم وأطفالهم يغنون للسلام وضد الاستعمار والبوليس يحيط بهم حتى ذهبوا إلى قسم البوليس. عيد مبروك** حضر متأخرا إلى الحديقة ومعه زوجته وأولادهم لحق بهم إلى القسم.. صرخ فى المأمور: أنا من أنصار السلام خدونى معاهم. وأفرج عنهم جميعا (كان معهم أيضا الفنان **محمد بيومى** رائد السينما المصرية).

* مرة أخرى إلى السجن:

هو الآن واحد من الـ ١٤. الذين تقرر عدم الافراج عنهم. أنهى امتحانه نجح. رحل إلى القاهرة تمهيداً لترحيله إلى الطور مع زملائه. فى القاهرة استقبله ضابط من حركة الجيش. هو معتقل والضابط يحكم. دخل معه فى نقاش حاد. دهش الضابط لأن الطالب المعتقل.. أعتقل لأنه ضد الملك، هم أطاحوا بالملك ولم يزالوا يحتفظون به. تفهم حرج الموقف، ولم يرسله إلى الطور، وإنما أرسله مع مجموعات الطلاب المعتقلين الجدد فى معتقل «الصناعات العسكرية».. **هناك ذاكر أيضا، امتحن أيضا، نجح أيضا. وحصل على بكالوريوس الطب.**

وفيما يفرج عن الطلاب (الذين قبض عليهم لمجرد التظاهر) أفرج عنه.

عين طبيب امتياز فى سوهاج. ثم عين طبيبا فى المنيا. بعدها بأربعة أيام أعتقل من جديد، وهذه المرة إلى أبو زعبل. وهناك يلتقى بالدكتور **يوسف ادريس** (الذى كان هو أيضا عضوا فى حدتو)، ومن أبو زعبل ينتقلان معا إلى سجن مصر ضمن مجموعة أخرى من كتاب وصحفيى حدتو قررت **حكومة عبد الناصر** الاستعانة ببعضهم لصالحة أصبحت ملحة مع **الحزب الشيوعى السودانى** (الذى كان وثيق الصلة سياسيا وتنظيميا بحدتو) وذلك بعد تردى السياسة المصرية فى السودان. يبقى **لفترة طويلة فى سجن مصر فى زنزانه واحدة مع يوسف ادريس، هناك حكى له حكايات عديدة.. تلك التى نسج منها يوسف ادريس رائعته «لا وقت للحب».**

وفى أوائل ١٩٥٦ يفرج عن «**حمزه**» ليعود مرة أخرى إلى الاسكندرية عشقه الدائم.. إلى شوارعها ونضالاتها هو الآن طبيب، ويلعب دوراً قياديا وسط الأطباء.. ليصبح واحداً من أبرز الكوادر الجماهيرية فى الاسكندرية.

العودة إلى القرية

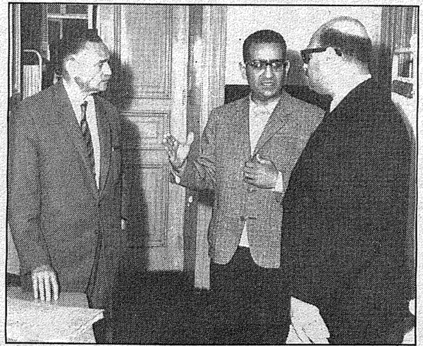
.. وفى ١٩٥٧ يعود **حمزه** إلى **نوسا الغيط** الحزب قرر أن يرشحه فى انتخابات مجلس الأمة. نوسا جميعها تلتف حوله.. كل نساء القرية قيدن أنفسهن فى جداول الناخبين.. القرية استعدت لتخوض معه معركة حاسمة.. وبدأ حمزة جولته فى قرى الدائرة. فى إحدى القرى استقبله رجل غاضب.. «كلكم تتكلمون كثيرا، وتقدمون وعوداً كثيرة ولا تنفذون شيئا». كيف يتخلص السياسى المدرب من هذا الدش البارد؟ وجه حمزة حديثه للناس قائلا: «أنا لا أعدكم بشئ، لاننى لا أستطيع أن أفعل شيئا. الحكومة هى التى تفعل، ما أعد به هو أننى سأناضل معكم، وأعمل معكم، سأضغط معكم على الحكومة كى نطلب منها أن تعمل». **وكسب حمزه القرية معه. لكن الانتخابات كانت تجرى وفق الاسلوب الناصرى، وما لبثت الحكومة أن شطبت اسم حمزة هو وكل مرشحى الحزب.**

وعاد حمزة مرة أخرى إلى الاسكندرية. ومرة أخرى إلى السجن.

* المصرى والافعى

«دخل سارى عسكر الفرنسيس **بونابرته** إلى غرفه نومه ليجد ثعباناً ضخما، فزع سارى عسكر.. وأمر رجاله بالبحث عن الثعبان، دون جدوى، وأخيرا وجدوا حلا مصريا أحضروا «رفاعى» وقف **نابليون**

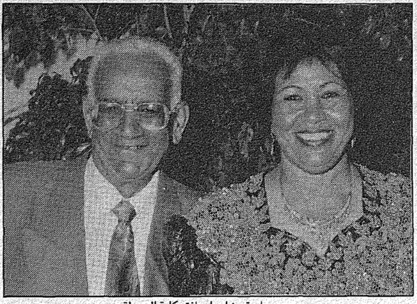
د. حمزه.. بين وزير الصحة العراقى ود. محمد نصار مؤسس التامين الصحى فى الستينات



مذهولا ليري رجلا يصفر بفمه فتخرج إليه الثعابين طائعة واحدا إثر الآخر ، يده تمتد بثبات إلى الثعبان ، يمسكه يلقيه فى كيس كبير طلب نابليون تفسيرا ، أنهك علماء الحملة الفرنسية أنفسهم فى تفسير الأمر.. أخيرا وجدوا حلا لهذا اللغز. الثعبان يلدغك إذا شعر انك خائف منه. «لكن الرفاعى» لا يخاف من الثعبان . يمد يده بثقة آمرة فيرضخ الثعبان.

لعل«حمزة» كان كذلك عندما فعلها مع **الثعبان الناصرى اللواء اسماعيل همت** وكيل مصلحة السجون.كان همت رمز التعذيب الناصرى ، وأداته الوحشية ،مارس فى السجون الناصرية كل أنواع التعذيب الذى تفوق بها حتى على النازى، فعلها فى أبو زعبل والفيوم ، ثم توجه إلى سجن المحاريق ..حيث كان **حمزة.**

كان لهمت وحوشه التى دربها على يديه ، ذهب بهم إلي هناك . أمر بالمعتقلين أن يصطفوا. احضروا لهم فؤوساً ومقاطف ، وأمروهم أن يعملوا (لا بأس بالعمل ، فهو أفضل من الزنزانة، وقد عمل الشيوعيون هناك بارادتهم بعد ذلك واستزرعوا مساحات كبيرة من صحراء قاسية،**وأقاموا هناك مسرحا .. وحمام سباحه .. ومساحات خضراء)** لكن العمل كان يجرى تحت سياط متوحشة ، عصى ، شوم ، كرابيج تسوق الجميع وتطاردهم وتلهب ظهورهم، سأل **حمزة** نفسه، يريدون قتلنا ، فلماذا نسكت حتى نموت؟(لعله تذكر اقتحامه لكشك الانجليز فى ميدان محطة الرمل، عشرات قتلوا حوله .. الرصاص مرق على بعد سنتيمتر من رأسه .. القدر منحه سنوات عديدة.. فلماذا يخشى مزيداً من التضحية؟) ألقى بالفأس. بثقة حسده الجميع عليها اتجه نحو الثعبان ،تماما كما يفعل «الرفاعى» . بهدوء قدم نفسه لهمت وسأله بأى حق تفعل ذلك؟ الشعبان ارتبك . قال :«**أنا أحب النظام، أعامل أولادى فى البيت بشدة» رد** حمزه : نحن مع النظام ولكن لماذا التعذيب. الحوار دار . الثعبان هدأ . الضابط تلفت مندهشا . توقف عن الضرب ، السجانه دهشوا هم أيضا توقفوا عن الضرب.. **وهزم الثعبان .. انسحب ،وأفلت كل معتقلى المحاريق من قرار التعذيب.**



د. سامية رضا.. استاذة بكلية الصيدلة

واستطاع **حمزه** أن يروض وحوشا كثيرة ،كان فى المحاريق مأمور اسمه **فريد شنيشن،** يمارس أكثر أشكال القسوة إلى درجه أن **محمود السعدنى**(ذات الكاتب الكبير ،وكان معتقلا هناك) كان يقول:**الراجل ده لو قابلنى فى الشارع وأنا مش مسجون وهو مش سجان برضه حيضربنى**». وذات يوم ابتلع ابنا المأمور كميات من دواء الضغط ويكاد المأمور أن يفقد طفليه، كان يبكى فى شجن الأب الخائف على ولديه. حمزة وصلاح حافظ برغم بدائية ما لديهم من أدوية وأدوات انقذا الطفلين . وأصبح فريد شنيشن مستأنسا.

* العودة

وفى عام ١٩٦٤ يفرج عنه.

يعود للاسكندرية طبيبا . يمارس دورا قياديا بارزا (الحزب جرى حله، لكن عشق الناس والعمل من أجلهم لا يمكن أن يذبل فى قلب مثل قلب هذا الرجل) أسس اتحادا للأطباء الممارسين .**عمل فى التأمين الصحى ، تفانى فى عمله ، أليس التأمين الصحى ، هو حلمه القديم؟.**

ويبرز فى أدائه المميز فى التأمين الصحى ، ليلعب دوراً قياديا بارزا ..حتى يحال على المعاش عام ١٩٨٤.

..وإذ يتناسى الكثيرون واجبهم إزاء مواجهة سيطرة المتأسلمين على نقابة أطباء الاسكندرية ، يشعر هو أنها طعنة موجهة له هو شخصيا . فهل يمكن بعد كل تاريخه منذ كان طالبا فى إعدادى طب أن يتراجع أمام هؤلاء المتأسلمين؟.

وأسس «**جمعية أطباء مصر** واصدر نشره «**ابن سينا**» وضم إلى اللجنة ألف طبيب.

(أدرك حقيقة المشكلة .. الأغلبية صامتة وسلبية ، ولهذا يسيطر المتأسلمون بأقلية قليلة جدا على النقابات ،ومن ثم قرر أن ينظم الأغلبية الصامتة ، وقد نجح فى ذلك تماما).

والآن يواصل حمزة البسيونى معركته على كل الجبهات.

*** لم يزل مستشارا للتأمين الصحى.**

*** يخوض معركة نقابية بارزة لاستخلاص النقابة من أيدى المتأسلمين.وأيضا هو الآن أمين حزب التجمع بالاسكندرية.**

ذات يوم استضافة تلفزيون الاسكندرية دهش الناس من هذا الرجل المبتسم دوماً الذى يتحدث ببساطة بسيطة عن سنوات طويلة من السجون والمعتقلات والعذاب والتعذيب.

سأله أحدهم: هل أنت نادم؟.

قال مبتسماً : كيف أندم على حبى للوطن والشعب . لقد أديت واجبى .. وهذا يكفينى تماما، ويرضينى تماما.

ولم يزل حمزة .. هو حمزة المتوقد حماسا .. الذى يجوب شوارع الاسكندرية سائلا المارة«ماشفتش مظاهرة»؟.



د. حمزه البسيونى فى مهمة لمنظمة الصحة العالمية فى قبرص

مداخلات

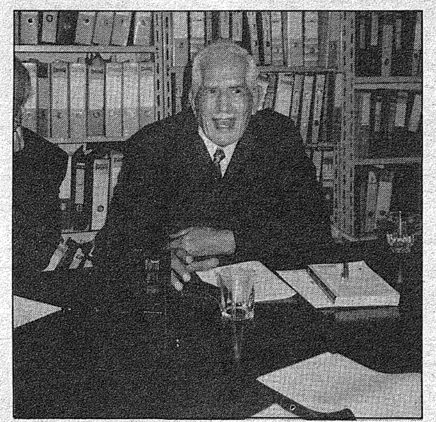
اشتراكية المستقبل أم اشتراكية الطبقة الوسطى؟!

فى العدد الماضى من **اليسار**، طرح للنقاش **مشروع برنامج حزب التجمع** وخاصة الجزء الخاص **باشتراكية المستقبل** وأدير نقاش ممتع حول هذا الموضوع، يشرفنا أن نقوم بهذه المداخلة مع المشروع والنقاش. ونحن وان كنا سنقدم فى هذه المداخلة رؤية ناقدة وقد تبدو حادة لما أسمى باشتراكية المستقبل انما ينبع ذلك من أن **التجمع** بيت اليسار الذى على الجميع حمايته حتى من أقرب الناس إليه هذا هو الواجب على **كل اليسار** المصرى. من هذا الفهم نقدم هذه المداخلة.

فى النقاش وصف الاستاذ **العالم** المشروع **بأنه يفتقد الحس الطبقى فيما يتعلق** بقوة العمل الطليعية من أجل الاشتراكية، كما أن الاستاذ **نبيل الهلالى** أوضح أنه «وصل إلى اقتناع أن **المشروع يتوجه بالخطاب أساسا إلى البرجوازية التى يحاول طمأنتها وكسب تأييدها ورضائها على المشروع** ولا يتوجه إلى الطبقات الكادحة التى تمثل القاعدة الاجتماعية لحزب التجمع. ويؤكد ذلك بقوله «فتحت عنوان **اشتراكية المستقبل** نجد أن المشروع يحدد أطراف التحالف الطبقى الموكول إليه تحقيق التنمية المستقلة على تحالف طبقى واسع يشمل.. **ثم يبدأ بالرأسمالية المصرية المنتجة** بالاضافة إلى الفلاحين والعمال والمثقفين والفئات الوسطى ثم يؤكد غياب جوهر الاشتراكية عن المشروع- ثم تؤكد الاستاذة **فريدة النقاش** أنه بعد قراءتي له- أي المشروع- بشكل جيد اكتشفت أنه لا يقدم أي تأكيد أن هذا المطروح علينا باعتباره اشتراكية المستقبل ليس إلا مشروعا لتجديد الرأسمالية وترشيدها وعقلنتها.

ونحن **نتفق تماما مع ما وصل إليه الأساتذة بل إننا نؤكد أن اشتراكية المستقبل هى فى جوهرها اشتراكية الطبقة الوسطى وليست الاشتراكية العلمية التى تعبر عن مصالح الطبقات الكادحة ، اشتراكية من نوع الاشتراكيات الديمقراطية فى العالم المتقدم أو الاشتراكية الناصرية وما شابهها فى العالم الثالث بل إننا نؤكد أن الاشتراكية المستقبلية هذه تتخلف كثيرا عن الاشتراكية الناصرية وهذا يتضح جليا فى غيبة موقف واضح من التبعية.**

أحمد عبد القوى زيدان



د. ابراهيم سعد الدين

والتوجه بالخطاب إلى الطبقة الوسطى

ولعل غياب الحس الطبقى الذى أوضحه الاستاذ **العالم** ليس عيباً فى الصياغة إنما هو جوهر فكر هذا النوع من الاشتراكية بل إنه المسئول أيضا عن هذه الانتقائية الواضحة فى الحديث عن الاشتراكية وضرورتها. فلم يقدم المشروع رؤية تاريخية فلسفية للواقع الاجتماعى الاقتصادى **فبدا اختيار الاشتراكية فقط للحاجة الاقتصادية وليس لتجاوز الرأسمالية**. لذلك لم يقدم المشروع دراسة اجتماعية اقتصادية عن الواقع المصرى

لتخلص من ذلك إلى ضرورة هذه الاشتراكية المستقبلية وسماتها الناتجة من صلب الواقع والهادفة لتجاوزه . والان فلنرى قسمات اشتراكية المستقبل كما يطرحها المشروع.

فاشتراكية المستقبل تقوم على أساس أن الوحدات المملوكة ملكية مجتمعية مثلها **مثل غيرها** من وحدات الانتاج مطالبة مثل هذا المجتمع- مجتمع اشتراكية المستقبل- **بالاستناد إلى قواعد السوق**«ص٣٠ من المشروع».

ثم أن هذا النظام الاشتراكي إذ يزاوج فى المستقبل بين استخدام آليات السوق وآليات التخطيط فانه يسعى إلى استخدام كلتا الاليتين بهدف تحقيق أكبر قدر من كفاءة الانتاج ومن عدالة التوزيع وحماية البيئة واطراد التنمية **دون إرهاق للجيل المعاصر ودون افتئات على حقوق الاجيال القادمة.** وذلك مع الاحتفاظ للتخطيط بالدور الضابط والحاسم فى نهاية المطاف لوقاية المجتمع من **احتمالات شطط السوق أو قصورها ، (ص٣٢).**

ألا يذكرنا هذا الحديث عن عدم ارهاق الجيل المعاصر والخ. بالميثاق .. وكذلك الحديث عن بناء الاشتراكية التى تلعب فيها الرأسمالية دوراً واضحاً كما يوضح المشروع ص٢٩ عندما يؤكد «وتعتمد التنمية المستقلة على تحالف طبقى واسع يشمل الرأسمالية المصرية المنتجة بالاضافة إلى الفلاحين والعمال والمثقفين والفئات الوسطى وخاصة فى قطاعات الانتاج ويفتح الطريق لنمو كل من القطاعين العام والخاص ويعبئ كل المقدرات والإمكانات المصرية لتحقيق التنمية.

مرة أخرى لنقرأ هذا فى إطار ما أوضحناه سابقا عن الاستناد إلى قواعد السوق.

الا يذكرنا هذا الحديث القديم عن **الفرق بين الاشتراكية العربية والاشتراكية العلمية** وان الفرق كما كانوا يتحدثون فى **منظمة الشباب** هو أن الاشتراكية العربية تؤمن بالقطاع الخاص.

ويبقى السؤال عن السوق الاشتراكي واختلافها عن السوق الرأسمالى. **يقدم المشروع إجابته على النحو التالى :**مع كل تقدم فى بناء المجتمع الاشتراكى وتحول السوق بالتالى إلى سوق اشتراكى متحرر من المفارقات المميزة للسوق الرأسمالى والمرتبطة أساسا بالفوارق الكبيرة فى توزيع الدخل والثروة فى المجتمع تتزايد امكانية الاعتماد على السوق فى توجيه قوى الانتاج المشروع (ص٣٢).

الا تلاحظ عزيزى القارئ أن الفارق بين السوق الاشتراكى والسوق الرأسمالى هو أن الثانى يتحول إلى الأول عندما يتم التقريب بين الفوارق الكبيرة فى توزيع الدخل والثروة فى المجتمع . أين أيام تذويب الفوارق بين الطبقات؟!!.

إننا نعتقد أن هذا المشروع المسمى اشتراكية المستقبل يقدم مشروعا إصلاحيا برجوازيا ككل اشتراكيات الطبقة الوسطى وأنه ليس مشروعا اشتراكيا حقيقيا يهدف إلى تجاوز الرأسمالية وأنه لا ينتمى إلى الاشتراكية العلمية التى يؤكد د. **ابراهيم** أن التجمع أعلنها منذ برنامج ١٩٨٠.

وليس أدل على ذلك من الحوار الذى دار بين مهندس ومحرر هذا المشروع **د. ابراهيم سعد الدين** والاستاذة **فريدة النقاش** فى ندوة **اليسار.**

د. إبراهيم: الزميلة **فريدة النقاش** تكلمت عن إلغاء الاستغلال. الاستغلال عند **ماركس** هو حصول الرأسمالية على فائض القيمة . **النفى الكامل للاستغلال يعنى النفى الكامل لأى شكل من أشكال الملكية الرأسمالية أو فائض القيمة. وأنا أعتقد أن هذا غير وارد فى إطار الرؤية الماركسية وذلك لان النفى الكامل للاستغلال بالمعنى الماركسى معناه بصفة أساسية أن فائض القيمة لا تحصل عليه الرأسمالية** ولذلك فعندما نقول أن المجتمع الاشتراكى يعنى النفى الكامل لكل أشكال الملكية الرأسمالية فهذه مسائل تحتاج نقاش.

أ. فريدة : لكننا لا نستطيع أن نسمى المجتمع الموجود به استغلال وجماعة تصادر على فائض القيمة الخاص بجماعة أخرى مجتمعاً اشتراكياً.

د. ابراهيم إذن لن يكون أمامك إلا النموذج السوفيتى.

وهنا نصل إلى جذر من جذور الطرح المسمى باشتراكية المستقبل وهو الهروب من النموذج السوفيتى بالقدر الذى كان الالتصاق به فى الماضى . **وهنا نؤكد مع الاستاذ حلمى شعراوى فى كلمته بالندوة إنه (إذا حدث تطور فى موقفنا ونظرتنا إلى ميراث الاشتراكية العلمية سنجد أن هناك تنوعا شديدا فى المنظرين كان موجودا فى أوروبا وآسيا إلخ.**

ويعمق الدكتور **ابراهيم** موقفه هذا فى رده على **(د. ابراهيم العيسوى ود. زهدى الشامى)** فى كتاب **مصر وقضايا المستقبل** كتاب الأهالى ٦٠ وذلك صفحة ٤١ عندما يقول:« وقد استند النموذج السوفيتى على فرضيتين نظريتين تبين بالتطبيق أهمية مراجعتهما وتشير هنا إلى موقف **لينين** من الملكية الرأسمالية الصغيرة ومن استمرار العلاقات الرأسمالية فى إطار المجتمع الاشتراكى **إن النظرة اللينينية للملكية الرأسمالية الصغيرة فى الاقتصاد الروسى كانت نظرة معادية** . وقد انطلق ذلك من أن الرأسمالية الصغيرة هى المصدر الأول للتحول إلى الرأسمالية وأن استمرارها سيؤدى فى الأجل الطويل إلى عودة سيادة العلاقات الرأسمالية».

ونحن نسأل: هل هذا موقف لينين أم الماركسية؟ وهل ثبت أن الرأسمالية الصغيرة ليست و لوداً للرأسمالية ؟كيف ؟ ثم الا يلاحظ الخلط بين موقف الفكر اللينينى والموقف السياسى المرتبط بقوى الانتاج فى المجتمع والا ماذا كانت تعنى سياسة النيب. على كل ليس هذا موضوع نقاشنا.

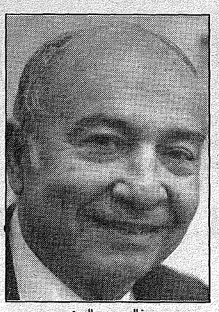
لكن هل هذا الموقف الواضح فى اشتراكية المستقبل يعبر عن بفكر الدكتور **ابراهيم سعد الدين** أم أنه تعبير عن تيار هام فى حزب التجمع يسعى لتسييده -وهذا حقه- يرى الرهان على الطبقة الوسطى ويتوجه بخطابه السياسى إليها ؟.

إننا نعتقد أن هذا الخطاب تعبير عن تراكم سياسى داخل التجمع بدا واضحا مع ١٩٨٤ وتزايدت وتيرته مع انهيار الاتحاد السوفيتى. ولقد وضح هذا الخطاب فى تساؤلات حذره فى كتابات كل من رئيس الحزب وأمينه العام .ففى سبتمبر ١٩٩٢ **بمجلة الطريق** : يكتب الاستاذ **خالد محيى الدين** بعد استعراضه لخريطة الاحزاب فى مصر:

«ولعلك لاحظت أنه لا أحزاب وسط. وهنا نجد أن حزب التجمع مطالب أن يغطى كل تلك المساحة التى تمتد من اليمين وحتى اليسار»

ثم يفصل الأمين العام الدكتور **رفعت السعيد** هذه الرؤية فى صيف **١٩٩٧ بمجلة النهج** على النحو التالى:

* فى مجتمعنا الراهن حيث الرأسمالية

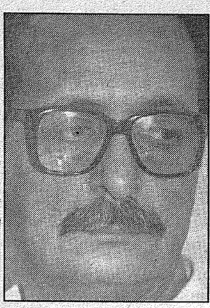


خالد محيى الدين
التجمع يغطى مساحة تمتد من اليمين وحتى اليسار





فريدة النقاش
مشروع لتجديد الرأسمالية



حلمى شعراوى
تطوير موقفنا ونظرتنا للاشتراكية العلمية

الطفيلية تعزز وحشيتها وفسادها وتطحن كل من عداها.. تبدو الطبقة الوسطى مقهورة تزداد إفقارا ويسودها السخط والرفض والاحباط لكنها بلا مخرج بل وبلا حزب سياسى يهتم بها وبمشاكلها ويدافع عنها.

فهل من المفيد أن نمد يدا إليها . يداً واحدة بينما اليد الأخرى تكون ممسكه فى تلاحم مع قضايا العمال والفلاحين. وهل يتطلب ذلك منا بعضا من صياغات جديدة ومواقف جديدة لا تفقدنا موقفنا الثابت ولا حلفائنا الاساسيين وإنما تكسبنا نفوذا جماهيريا وسط قوى جديدة؟.

** فى مجتمعنا الراهن تبدو حرية التفكير وليبرالية المناخ وحرية إعمال العقل قضايا بالغة الأهمية خاصة فى ظل سيادة المناخ المتأسلم وارهابه للمفكرين والمثقفين والكتاب والفنانين.**فمن لهؤلاء سوانا نحن؟** لكنهم ينظرون الينا بارتياب المتشكك فى هؤلاء المتطرفين العائدين من « وراء التاريخ» **فهل يمكن أن نقدم لهم لغة مختلفة ولو قليلا** تمكننا من أن نكسب أرضا وسطهم وهى بالضرورة أرض بالغة الأهمية لانها وسط أوساط ذات تأثير جدى وكبير .(**ملحوظة لنا كان لليسار دوماً تأثير كبير وهام وسط المثقفين والادباء والمفكرين ولم يحتج أبدا للتنازل عن لغته أو موقفه بل كلما كان حريصا على لغته الخاصة وموقفه كان تأثيره أكبر).**

*** وفي مجتمعنا الراهن كذلك تتجلى قضية الوحدة الوطنية ومشكلات المسيحيين وحقوقهم فى المساواة كجزء من هموم المجتمع . وقد أثبتت التجربة والممارسة العملية أن أحدا لا يهتم بهذه القضية اهتماما جديا سوى اليسار .لكن اليسار يخوض هذه المعركة دون أن يكسب مساندة من يدافع عنهم ربما لانهم هم أيضا متشككون فى هذا اليسار وفى مقولاته التى اعتادت أن تكون قاصمة والتى تتطلب أبطالا للدفاع عنها والمجتمع يتكون من أناس عاديين ونسبة الابطال قليلة فيهم جدا واعتقد أنها تزداد قله.

فهل مطلوب منا قول أو فعل شئ ما يمكننا من الاقتراب عضويا (وليس وجدانيا فقط) من هذه الجموع التى تحبنا فعلا وتمنحنا صلواتها ولكنها لا تمنحنا تأييدها الفعلى ؟(ملحوظة لنا: لقد انخرط كثير من الأقباط فى صفوف اليسار وكان الثمن أكبر وأكثر فداحة وهذا يعنى أن التغير فى بنية مجتمعنا وليس فينا وان تقديم التنازلات فى الخطاب أو الموقف لن يفيد كثيراً).

*** أخيرا .. نحن نعلن وعن يقين إننا نؤمن وبجدية بالتطور الديمقراطى أى انتخابات - أغلبية برلمانية- حكم . ومن ثم نؤمن بالتعددية وبتداول السلطة - تداولها دوماً بمعنى أن نحكم (إن اتيحت لنا الأغلبية البرلمانية) ثم تأتى أغلبية أخرى .. لنعود للمعارضة هذا هو التصور النظرى الذى نعلنه ونطرحه جدياً وليس على سبيل الخداع .**فهل يمكن فى ظل الدوره والدوره المعاكسة أن نطرح برنامجا اشتراكيا متكاملا** .. تأميمات .. توزيع الأرض.. شكل جديد لملكية المساكن.. أسلوب اشتراكى لإدارة الانتاج ثم بعد عدة سنوات يأتى حزب رأسمالى ليفعل العكس؟ ليعيد الأرض والمصانع والمساكن لمالكيها السابقين ؟ وهل يمكن لأى اقتصاد أن يحتمل أن يركب ارجوحة تداول السلطة مع متغيرات بحدودها القصوى؟. أم أن الأمر سيتطلب أن نطرح ولفترة تاريخية ما برنامجا مخففا يحتوى على تعديلات محدودة فى البنية الاقتصادية والاجتماعية (٢٠٢١٩ العدد ٤٧ سنة١٩٩٧) .

ملحوظة لنا(**نعتقد أن هذا الطرح يؤكد فهم الديمقراطية بمعنى الليبرالية التى تكرس حكم الرأسمالية لتصبح الديمقراطية تعددية سياسية تحمى وتحقق واحدية اقتصادية متجاهلا أن حجم التغيير لا يعود إلى آلية الوصول إلى السلطة إنما يعود إلى حجم التأييد الجماهيرى وليس البرلمانى فقط وأن الحزب الاشتراكى سواء كان فى السلطة أو خارجها مطالب بالدفاع عن اختياراته بكافة أشكال النضال الجماهيرى والديمقراطى أما قصر النضال الديمقراطى على العمل البرلمانى فقط فهو عمل احزاب اشتراكية الطبقة الوسطى التى لا تؤمن بالصراع الطبقى ولا باشكال النضال الجماهيرى الديمقراطى غير البرلمانى).**

نعتقد أن اشتراكية المستقبل كانت رداً عمليا على تساؤل رئيس الحزب وأمينه العام فقد مدت يدها **للطبقة الوسطى فهل لا زالت ممسكة باليد الأخرى بالطبقات الشعبية ؟.**

ان هذا المطروح **كاشتراكية المستقبل** يعد اختيارا وخطابا جديدا للتجمع قد يجلب له بعض الجماهير ولكن بكل تأكيد سيبعد عنه جماهير أخرى، هى جماهير اليسار الحقيقية إن الرهان على اشتراكية السوق ليس اختيارا مستقبليا وكما أكد د. **زهدى الشامى :إن هذا النموذج تم تجربته فعلا لسنوات طويلة فى كل**

من المجر ويوغوسلافيا كما أن هذا النموذج كان وراء البيروسترويكا والحركات التى صاحبتها فى أوروبا الوسطى وقد إنتهت هذه الحركات جميعا إلى تخطى اشتراكية السوق إلى الليبرالية الجديدة التى إنتهت سياساتها سريعا إلى الاخفاق الكامل. (ص٣٧ من كتاب الأهالى رقم ٦٠).

أخيرا

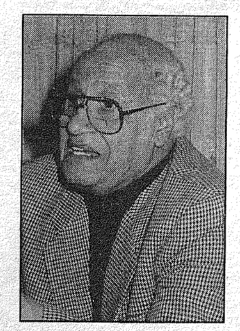
نحن لا نصادر- ولا نملك هذا بالطبع ولا نقبله -حق أحد أن يطرح الاشتراكية التى يراها **كاشتراكية المستقبل** التى هى مزيج من الاشتراكية المتنافية «واشتراكية السوق» ولكن نعتقد أنه يجب أن تقدم الاشياء باسمائها وان تحدد الطبيعة الطبقية لهذه الاشتراكية.

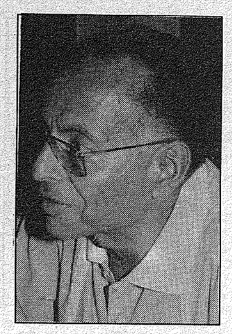
لقد كان جمال عبد الناصر واضحا عندما حدد الطبيعة الطبقية لثورته ومن البداية منذ عام ١٩٥٥ عندما أوضح(قامت الثورة لتمثل ثورة الطبقة الوسطى .. كانت هذه الطبقة تعانى إلى جانب طبقات الشعب الأخرى استغلال وإضطهاد وكبت الثالوث الاستعمارى الاقطاعى والرأسمالية الكبيرة المرتبطة به. وكانت تتطلع إلى الاستقلال السياسى التام وتصفية المصالح الاقتصادية لهذا الثالوث البغيض الذى يعيق حركة نموها وتطورها واستئثارها بالسوق المحلية ولاقامة مجتمعها ودولتها).

من خطاب له أمام عمال النقل فى ٢٧ يوليو ١٩٥٥ نقلا عن طه شاكر(قضايا التحرر الوطنى والثورة الاشتراكية فى مصر ص(٣٤).

ولقد ظلت الثورة فى خطها الاساسى فى

محمود أمين العالم





صعودها وهبوطها تعبيرا عن هذه الطبقة أساسا. **ونحن نعتقد أن الطبقة الوسطى الآن غير قادرة كحامل اجتماعى على تحقيق مشروع كاشتراكية المستقبل- بالرغم من نواقصه -فى الواقع المصرى أو تستطيع قيادة الطبقات الشعبية لتحقيق ذلك فى ظل الهيمنة الايديولوجية لليبرالية الجديدة وتشكيك اليسار فى ايديولوجيته وعجزه عن قيادة الصراع الطبقى .. تظل الطبقة الوسطى رغم معاناتها مربوطة بحبل سرى ما لطبقه الرأسمالية الكبيرة التابعة.**

كما أن الطبقات الكادحة لن تتحمل التضحيات من أجل برنامج يحقيق مصالح الطبقة الوسطى. إن الطريق الصحيح هو الطريق الأكثر وعورة ومشقة وكلفة وهو النضال الجسور من أجل تجاوز الرأسمالية وبناء مجتمع اشتراكى يلغى استغلال الانسان لأخيه الانسان وهو مجتمع ليس له نموذج مسبق ولكنه أيضا لا يصنع له ماكيت فى غرف مكيفة الهواء، وفى لحظات تراجع الاشتراكية لتقيد النضال القادم بعقود الواقع المحيط ، لا تنتقى من بين تجارب أجهضت انما تستفيد من تراث الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى ودراسة الواقع الاجتماعى -الاقتصادى متواصلة مع الزاد الروحى والثقافى للمجتمع وهى عملية نضاليه طويلة وهى الأحق للطرح للنقاش.

ولانه ومع استمرار التطور الرأسمالى التابع فى مصر واستكمال اندماج الاقتصاد المصرى فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى- والذى يتم بصوره جنونية من خلال الخصخصة نتعمق أكثر فأكثر التناقض الرئيسى بين مصالح جبهتين متعارضتين.

الأولى تضم تحالفا واسعا للطبقات العاملة والكادحة تقوم أساسا على التحالف

د. رفعت السعيد:

هل نمد يداً للطبقة الوسطى.. بينما اليد الاخرى تكون ممسكة فى تلاحم مع قضايا العمال

بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وتضم الحرفيين وصغار المنتجين والفئات الوسطى والقوى الاجتماعية المهمشة والبرجوازية المتوسطة المنتجة. فى مواجهة تحالف الطبقات والقوى المستغلة بقيادة الرأسمالية المصرية الكبيرة التابعة والتى تضم عناصر مضاربة والوكالات التجارية وفئات المهنيين والتكنوقراط المرتبطين بالرأسمال الأجنبى .

فى هذه المرحلة يكون على التجمع أن يمتن علاقاته مع القوى الشعبية والعمال والفلاحين والفئات المهمشة وأن يطرح نفسه بديلا سياسيا قادراً على تجاوز الواقع. عند ذلك فقط سيكون التجمع قادراً على أن يغطى تعبيرا سياسيا المساحة التى تمتد من اليمين حتى اليسار وأن يكون قادراً على تقديم إجابات يسارية حقيقية على تساؤلات الأمين العام . وعندئذ سيكون حزب التجمع- كما كان له هذا الشرف يوماً- حزباً سياسيا وليس ايديوجيا وبيتا لليسار المصرى بدعم كافة قوى اليسار وتدعيمه.

ولعلنا نتذكر كلمات الدكتور **غالى شكرى** -فى كتابه **الثورة المضادة** والتى تقول إن«اليسار المصرى ظل دائما أكبر من التنظيمات السرية والوجوه العلنية ، أشمل من القيادات التاريخية وأعرض من منابر الاعلام أعمق من الشعارات المرفوعة وأوسع من القطاعات المثقفة وأسبق فى رؤية المستقبل وأن اليسار كان ولا يزال حركة شعبية عميقة الجذور فى أرض الواقع المصرى «ص٢٤٧ط الأولى ١٩٧١ دار الطليعة».

فقط علينا أن نعى هذه الحقيقة حتى لا نراهن على الوهم البرجوازى.

مداخـــلات

ملاحـــظات حــول اشـــتراكيــة المســتقبل

صلاح عدلى

أود فى البداية أن أحيى **حزب التجمع** فى تصديه لصياغة برنامج جديد يأخذ فى اعتباره الظروف المتغيرة ، وكذلك على تقديمه **رؤية جديدة " لاشتراكية المستقبل"** وأهم الخطوط المميزة لها من وجهة نظره وحرصه أيضا على فتح حوار مع قوى اليسار حول هذه الرؤية بل وحول مشروع البرنامج كله.

إن ذلك يمثل مبادرة جيدة وروح ايجابية ، فالقضية تخص جميع فصائل اليسار المصرى ، ولا أحد يزعم أنه يحتكر الحقيقة وحده . لذلك فالندوة التى انعقدت فى مجلة **اليسار** والمنشورة فى عدد" أبريل ١٩٩٨" ، والتى شارك فيها عدد من أبرز مفكرى اليسار المصرى وممثلى مدارسه المختلفة، تعتبر حلقة هامة فى هذا الحوار ، حيث طرح المشاركون قضايا فى غاية الأهمية وملاحظات نقدية جوهرية تهدف إلى تطوير المشروع المطروح حول اشتراكية المستقبل .

والندوة فى الحقيقة **طرحت من الأسئلة أكثر مما قدمت من إجابات** ، لذلك أعتقد أنه من المفيد استكمال الحوار فى مجلة اليسار حول هذا الموضوع من أجل إنضاج وبلورة الأفكار التى تساعد الحركة اليسارية كلها فى وضع رؤية علمية لاشتراكية المستقبل فى مصر .

وسوف أحاول فى هذه المداخلة عرض بعض الملاحظات السريعة حول مشروع البرنامج وحول بعض الأفكار الواردة فى مداخلات الأساتذة المشاركين فى الندوة.

وأبدأ بتأكيد اتفاقى الكامل مع ماجاء فى مشروع البرنامج من" **أن الاشتراكية المبتغاة لن تكون تطبيقاً لنموذج نظرى مسبق ، بل من الضرورى أن يتشكل نموذج الاشتراكية على أساس المعطيات الخاصة بالمجتمع المصرى ، وضرورة الاستثمار الجيد للقيم الحضارية التى تشكل الهوية المتميزة المصرية"**.

ولكن من الجانب الآخر فاننى أخشى من أن الاستغراق فى الخصوصية ، والتركيز الشديد على الجانب الاقتصادى فى المشروع - رغم أهميته القصوى - قد أدى إلى التقليل من دور النظرية .. ولذلك أتفق مع الأستاذ " **العالم**" فى ملاحظته حول غياب النسق الفلسفى النظرى عند صياغة المشروع . ولايكفى هنا مجرد ذكر" **الاشتراكية العلمية**" بل من المفترض أن يتخلل أساسها النظرى ومنهجها العلمى الرؤية المقدمة لاشتراكية المستقبل .. أن هذا الأساس النظرى هو الذى يكشف أهم التناقضات فى الواقع الرأسمالى الراهن عالميا ومحلياً ، وطبيعة الصراع الطبقى واتجاهات تطوره وماهى الطبقة أو التحالف الطبقى الحامل للمجتمع الجديد ، وماهو جوهر النظام الجديد . هل هو تحرير الانسان الشامل اقتصاديا وروحياً؟ وحل مشكلة الاغتراب عن طريق **الغاء استغلال الانسان لأخيه الانسان** عن طريق التخلص من مصدر هذا الاستغلال (الملكية الخاصة لوسائل الانتاج) خاصة فى المراحل الأخيرة من تطور الاشتراكية **أم الاكتفاء فقط بالتركيز على أهمية الكفاءة الاقتصادية والعدالة الاجتماعيةفى الاشتراكيةالمبتغاة.**

أعتقد أن الاسترشاد بالنظرية هام جداً للحزب التقدمى الذى ينشد بناء الاشتراكية ويعمل على تغيير الواقع تغييراً جذرياً مع اتفاقى فى عدم الاقتداء بأى نموذج مسبق.

ثانيا: تحدث عدد من المشاركين فى الندوة حول التناقض وعدم الوضوح الوارد فى مشروع البرنامج عند الحديث عن مرحلة التنمية المستقلة ومرحلة بناء الاشتراكية .. وأعتقد أن هذه المسألة من أهم المسائل التى ينبغى مناقشتها وإيضاحها لأن الكثير من أوجه النقد المقدم يدور حولها.

ومما لاشك أن هناك تناقضا ملحوظا فى مشروع البرنامج حول هذه المسألة وهذه بعض الأمثلة :

فتحت عنوان " لماذا الاشتراكية" ذكر المشروع « **أن التنمية المستقلة تتطلب تغييراً شاملاً فى تنظيم عملية الانتاج وفى طابع الملكية ، وفى القاعدة الاجتماعية للسلطة ، وفى القيم السائدة فى المجتمع وأن الطريق لتحقيق ذلك هو إقامة المجتمع الاشتراكى »** .. فكيف يكون الطريق لتحقيق التنمية المستقلة هو إقامة المجتمع الاشتراكى !!

وتحت عنوان " اشتراكية المستقبل " نقرأ « **تعتمد التنمية المستقلة على تحالف طبقى واسع يشمل الرأسمالية المصرية المنتجة بالاضافة إلى الفلاحين والعمال والمثقفين والفئاتالوسطى".**

ولاشك أن ترتيب قوى التحالف له دلالة يجب مراعاتها عند الصياغة ، كما أننى أرى أن من الأفضل أن يبقى الفصل الخاص بمرحلة التنمية المستقلة أو مجتمع المشاركة الشعبية كما يسميها المشروع الفصل الخاص باشتراكية المستقبل وذلك حتى لايكون خلط بين المرحلتين.

وبالاضافة إلى ذلك هناك عدة ملاحظات جوهرية حول هذه المسألة:

١- أن المهام والاشكاليات التى تواجه مرحلة التنمية المستقلة لايمكن إنجازها فى إطار النظام الراهن كما أكد الأستاذ **عادل غنيم** إلا إننى أختلف معه فى أن التنمية المستقلة بسبب ذلك تعتبر تنمية اشتراكية .. إذ أن المهام الأساسية المطروحة على مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية كما يسميها الشيوعيون أو التنمية المستقلة ومجتمع المشاركة الشعبية كما يسميها التجمع تختلف مع المهام المطروحة فى مرحلة بناء الاشتراكية.

إن المهام الديمقراطية والوطنية والاقتصادية والثقافية فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية **يستحيل تحقيقها إلا إذا تغيرت السياسات تغييراً جذرياً وهذا يقتضى تغيير الطبيعة الطبقية للسلطة**.. أى يستدعى الثورة مهما كان شكلها سواء عن طريق تداول السلطة والبرلمان أم بالأساليب الأخرى للطريق الديمقراطى إذا كان طريق البرلمان مسدوداً.

ويجب عدم الخلط بين المهام الاصلاحية التى علينا العمل من أجل تحقيقها فى ظل

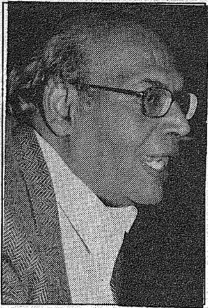
الأوضاع الراهنة ، وبين إنجاز المهام الأساسية في المرحلة .. وهذا الاستنتاج لايأتي من فراغ بل من تحليل تاريخي وموضوعي للطبيعة الطبقية للنظام القائم والمصالح الأساسية التي يمثلها.

٢- أن مرحلة التنمية المستقلة ليست مرحلة انتقالية عابرة ، بل هي مرحلة طويلة للغاية سوف تتخللها مراحل وسيطة إذ أن المهام المطروحة صعبة وشديدة التعقيد كما أن الظروف الدولية غير مواتية لفترة ليست قصيرة ، والقضية الوطنية كذلك تواجه مأزقاً خطيراً .. ولذلك فانني أرى أن الحديث عن وظائف الدولة الذي جاء تحت عنوان لماذا الاشتراكية يمكن أن يكون صحيحاً تماماً في مرحلة التنمية المستقلة ، وكذلك أشكال الملكية ، والتزاوج بين التخطيط والسوق بل لابد **أن يضاف إلى ذلك أيضا اجراءات اقتصادية ضد بعض ممارسات الرأسمالية الطفيلية ومصادرة لثرواتها وكذلك تأميم بعض المشروعات الضرورية لانجاز هذه المرحلة.**

٣- أن انجاز مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية عملية شاقة وطويلة وسوف تفتح الباب أمام آليات الانتقال لمجتمع جديد في ظروف جديدة مختلفة دولية واقليمية ومحلية وفي إطار توازن قوى تختلف كثيراً عما نراه الآن .. لذلك فان رؤية اشتراكية المستقبل عليها أن تكون أكثر تحرراً من الوضع السلبي القائم وألا تخضع لمعطياته الحالية.

ثالثا: اتفق مع وجهات النظر(خاصة الأستاذ **نبيل الهلالي** والأستاذة **فريدة النقاش**) التي ترى عدم وضوح البعد الطبقي في مشروع برنامج التجمع بشكل عام وفي اشتراكية المستقبل بشكل خاص .. فكيف أتقدم ببرنامج دون **رصد واقعي علمي للأوضاع الطبقية الراهنة وتحديد معالم وتوجهات الطبقات والفئات الحاكمة ، وكذلك الطبقات والفئات صاحبة المصلحة في التغيير** وماهي التغيرات التي طرأت عليها منذ الثمانينات حتى الآن خاصة الطبقة العاملة والفلاحين والمهمشين والفئات الوسطى وماهي اتجاهات تطورها وتوقعات سلوكها في المستقبل في ضوء التطورات الحادثة عالميا واقليمياً ومحلياً.

إن الصراعات الطبقية تزداد حدة يوماً بعد يوم ، وماقاله ماركس حول تردي أوضاع الطبقة العاملة بشكل مطلق ونسبي ، وكذلك حول التراكم الرأسمالي واتساع الفارق بين الأغنياء والفقراء يمكن ملاحظته بشكل أوضح مايكون الآن، ولذلك فان الانحياز الواضح


د. محمود عبد الفضيل

لمصالح هذه الطبقات الكادحة والوقوف بحزم أمام الممارسات القمعية للرأسمالية الكبيرة والطفيلية هو الذي سوف يميز حزب التجمع عن غيره من الأحزاب وليس فقط مجرد القول بأنه حزب اشتراكي رغم أهمية ذلك.

رابعا: لاشك أن ماجاء في مشروع البرنامج من أن أي" نظام اشتراكي ليس محطة وصول نهائية" وأن استمراره لن يتم إلا من خلال إقناع الجماهير هو موقف صحيح تماماً ولن نضيف شيئاً جديداً إذا قلنا إن مرحلة بناء الاشتراكية سوف تكون شاقة أيضا وطويلة فالصين مثلاً وبعد خمسين عاماً على قيام ثورتها تقول انها ماتزال في المرحلة الأولى لبناء الاشتراكية والهدف منها هو القضاء على التأخر الاقتصادي وتحديث النظام الاشتراكي بصورة جوهرية.

ونحن نتفق مع عدم الدخول في تفاصيل هذه المرحلة أو وضع نموذج مسبق لها ولكن من الضروري وضع رؤية عامة .. وركائز أساسية كما ذهب الدكتور **محمود عبد الفضيل** .. وهذه المرتكزات يجب أن تؤكد على عملية التطور خلال المرحلة نفسها وعدم ثبات حتى أشكال الملكية أو عناصر الرؤية المقدمة.

ولكن من الهام التأكيد على أن الملكية الاجتماعية ستكون الأساس للمجتمع الاشتراكي وأن دورها سيزداد كلما تقدم المجتمع للأمام . ومن الهام أيضا دراسة موضوع السوق الاشتراكي وعلاقته بالتخطيط بشكل أكثر عمقاً.

خامسا: تبقى في النهاية نقطتان أساسيتان أثارهما **الأستاذ المراغي والدكتور عبد الفضيل** وهما هل يمكن بناء الاشتراكية في بلد واحد من بلاد العالم الثالث في ظل العولمة الحالية ، والنقطة الثانية حول تداول السلطة في المجتمع الاشتراكي وإمكانية تعرضه لهزات عنيفة قد تؤدي إلى مخاطر جسيمة.

* بالنسبة للنقطة الأولى أعتقد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تستطيع دولة من دول العالم الثالث بمفردها بناء الاشتراكية وضمان نجاحها واستمرارها في ظل الهيمنة الحالية للرأسمالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية .. يضاف إلى ذلك صعوبة انجاز هذه المهمة في منطقتنا حيث نواجه أيضا مخاطر المشروع الصهيوني وشراسة الهجمة الأمريكية بشكل مضاعف .. وهذا يقتضي **ابراز دور النضال السياسي والوطني ضد هذه الهيمنة واقامة التحالفات الاقليمية والعالمية في النضال ضد هذه الهيمنة الذي يكتسب كل يوم أنصاراً جدداً..** أن النضال من أجل كسر هذه الهيمنة تدريجيا شرط هام لضمان نجاح التنمية المستقلة والانتقال للمرحلة الاشتراكية لأن دور العامل الخارجي يزداد أهمية مع التطورات الهائلة التي تحدث في العالم في كافة المجالات اقتصادياً واعلامياً وعسكرياً وثقافياً.

ويضاف إلى ذلك أهمية تشكيل تكتلات اقتصادية اقليمية ، لذلك فان **البعد العربي هنا هام جداً وشرط ضروري لضمان انجاز مهام التنمية المستقلة وبناء الاشتراكية واتفق في ذلك مع ماجاء في مشروع البرنامج ومداخلات الندوة دون تكرار.**

والنقطة الثانية الخاصة بعملية تداول السلطة في النظام الاشتراكي وامكانية تهديد ذلك للمرتكزات الاشتراكية والاجتماعية فأنا أرى أننا نسبق الأحداث كثيراً عند افتراض ذلك.

وقد يكون ذلك صريحاً في مرحلة التنمية المستقلة .. لذلك اتفق مع ماجاء حول ضرورة وجود حد أدنى متفق عليه بين كافة القوى السياسية وتضمن ذلك في الدستور حتى لاتكون لعبة انتخابية تؤدي إلى هز الاستقرار السياسي في البلاد.

ولكن الأهم من تثبيت الحقوق في الدستور هو الحفاظ على توازن قوى اجتماعي وسياسي في صالح قوى التقدم ووجود حريات ديمقراطية تتيح لها الدفاع عن حقوقها ومكتسباتها .

أما في مرحلة الاشتراكية فانه إلى جانب التأكيد على الديمقراطية والتعددية وحق الجماهير في التغيير سوف تكون هناك ظروف مختلفة وآليات جديدة لايمكن التنبؤ مسبقاً بكل جوانبها .

وفي ختام هذه المداخلة أكرر تقديري لهذه المبادرة البناءة لحزب التجمع ومجلة اليسار وآمل أن يكون هذا منهجاً دائماً في التعامل بين جميع قوى اليسار.

مداخلات

المعارضة العراقية.. وصدام.. وأمريكا

اطلعت على مقال الاستاذ **صلاح عيسى** في عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٩٨ المعنون«**التعاطف الحقيقي مع شعب العراق**». منشوراً في«**الملف العراقي**»(وهو مطبوع يعيد نشر مقالات وأخبار ومواد تخص العراق، يصدر في لندن).

وقد سرني أن الاستاذ **صلاح عيسي** وضع يده على أمور جوهرية تخص الوضع في العراق، وموقف النظام الحاكم فيه ،من خلال تخطئته للذين «**يتوهمون ان الادارة العراقية تسعى لرفع الحصار أو تأسى لما يتعرض له شعبها من كوارث. وهو ما تؤكده سياساتها في التعامل مع قرارات مجلس الأمن**» وأنها تسعى إلى «تضييع الوقت ،وإبقاء الحصار لأطول فترة ممكنة» ،وكذلك من خلال تخطئته «القوى الشعبية العربية المتعاطفة مع ما يعانيه شعب العراق من مصاعب إذا صمتت عن مسئولية النظام العراقي عن هذه المعاناة أو تجاهلت أنه يتخذ من شعبه دروعاً بشرية لكي يقاوم كل محاولة لمحاسبته على سياسات جلبت عليه وعلى الأمة كوارث لا أول لها ولا آخر» ، ودعوته لهذه القوى إلى« ان تضغط على هذا النظام لكي يتغير من الداخل . ولكي يعلن برنامجا سياسياً .. يلتزم فيه بالديمقراطية ، وحقوق الانسان والتعددية الحزبية ويفرج عن المعتقلين ويصدر عفواً عاماً عن المسجونين والملاحقين والمطاردين في الخارج، ويتعهد باحترام سيادة وأراضي جيرانه ، وباتباع سياسة حسن الجوار معهم، ويشرع في إجراء انتخابات حرة تحت اشراف دولي محايد» ، ولو أن هذا النظام لا يستطيع أن يغير جلده ولأن اقدامه على مثل هذه الخطوات يعني نهاية حكم الفئة التي انزلت بالوطن والشعب والأمة «كوارث لا أول لها ولا آخر» -على حد تعبير الاستاذ صلاح عيسي- وتواصل سياساتها هذه حفاظا على اغتصابها للسلطة ونهبها لثروات البلاد.

غير أن ما أثار استغرابي في مقال الاستاذ صلاح عيسى هو قوله« ولم تكتف المعارضة العراقية- بمختلف فصائلها- بتأييد الحصار، بل وأنفردت خلال الأزمة الأخيرة بين الادارة العراقية ومجلس الأمن بتشجيع الأمريكيين على التدخل العسكري لاسقاط النظام».

ومبعث استغرابي هو هذه «بمختلف فصائلها» التي تشمل في ما تشمل **حزبنا الشيوعي العراقي**، إلا إذا كان الاستاذ **صلاح عيسى** لا يعتبرنا جزءا من المعارضة العراقية!.

ولا أدرى إلى ماذا استند في اطلاقه هذا الحكم الظالم على المعارضة العراقية بمختلف فصائلها ذلك أن غالبية قوى المعارضة الحقيقية- التي تناضل على أرض الوطن وفي الخارج ، ومن بينها حزبنا- هي ضد الحصار وطالبت برفعه عن شعبنا . وميزت موقفها هذا عن موقف النظام المطالب برفع الحصار عنه بهدف اطلاق يده في التصرف بعائدات النفط لتعزيز مواقعه المتزعزعة ولبناء ترسانته العسكرية من جديد، لاغراض عدوانية ضد الشعب ، وضد الجيران وذلك بمطالبتها- أي المعارضة- بتضييق الخناق على الديكتاتورية والمطالبة بمحاكمة **صدام حسين** كمجرم حرب ومرتكب جرائم ضد الانسانية.

وبشأن الأزمة الأخيرة وقفت معظم قوى المعارضة العراقية ضد الضربة العسكرية ، وطالبت أمريكا وبريطانيا ومن يشايعهما من الدول- وهي قلة- بالكف عن التهديد بالتدخل العسكرى ، واعتماد الطرق الدبلوماسية دون غيرها لحمل النظام على الانصياع لتنفيذ القرارات التي التزم بها وفقاً لقرار مجلس الأمن **٦٨٧**.

وبقدر تعلق الأمر **بحزبنا الشيوعي العراقي** ، فقد أصدر منذ بداية الأزمة الأخيرة تصريحين باسم اللجنة المركزية للحزب، وعالجت صحافته وإذاعاته المركزية والمحلية ومحطاته التلفزيونية موضوع الأزمة بنفس هذه الروحية ، **وقامت منظمة حزبنا في لندن بتنظيم اعتصام أمام مقر رئيس الوزراء البريطاني في ١٠ داوننغ ستريت يوم ١٩٩٨/٢/١١ رفعت فيه شعارات من بينها «لا للضربة العسكرية الأمريكية للعراق» ، «لا تعاقبوا شعب العراق بسبب جرائم حكامه الدكتاتوريين» ،« ولا للحصار على شعبنا لا للديكتاتورية».**

أرفق لكم طيا بعض أدبيات حزبنا للاطلاع وآخرها بلاغ عن **اجتماع اللجنة المركزية** في ١٩٩٨/٢/٢٠ ، وأرجو نشر هذه الرسالة عملاً بحرية النشر واتخاذ ما يلزم لتصحيح ما يمكن أن تكون قد تركته مقاله الاستاذ **صلاح عيسى** في اذهان قرائها، ولاطلاعه على حقيقة الأمور، خصوصاً أن الاستاذ **صلاح عيسي** يكتب في الصحافة الخليجية وقد سمعت أنه كرر نفس الاتهام للمعارضة العراقية ولمختلف فصائلها أيضا في أحد مقالاته الأخيرة.

وأود في الختام أن أصحح حكماً انساق إليه الاستاذ **صلاح عيسى** وهو أن «الخطر الأجنبي أدى إلى نوع من الوحدة القومية حشدت الشعب العراقي حول حكومته لمواجهة العدو الخارجي» ، إذ قد يكون الاستاذ انجر لاطلاق هذا الحكم اعتمادا على ما يشاهده في التلفزيون من«مظاهرات» في بغداد ترفع شعارات تؤيد الحكومة ،**ومن يعرف كيف «تفبرك» هذه المظاهرات والتجمعات، وتحت أية ضغوط يجبر المواطنون على المشاركة فيها ، ومن بينها سحب البطاقة التموينية وحرمان عائلة من يتخلف عن المشاركة في «المظاهرات» من لقمة العيش لا يمكن أن تخدعه هذه المظاهر**، فقد كان النظام «يفبرك» ما هو أوسع منها بكثير أيام غزو الكويت ، غير أن موقف الشعب الحقيقي من النظام ظهر جليا في انتفاضة آذار (مارس)١٩٩١ ، التي حررت ١٤ محافظة من ١٨ محافظة من سلطته خلال بضعة أيام.

هذه الانتفاضة التي أغرقت بالدماء بفضل مساعدة القوات الأمريكية بالذات لقوات الحرس الجمهوري على الانسحاب من مناطق الحدود مع الكويت من دون ضربها ، وهي القوات التي احتفظ بها صدام لمواجهة الغضب الشعبي ، وظلت بعيدة عن جبهات القتال ، وسماح الجنرال **شوارزكوف** لقوات النظام باستخدام الهليوكوبترات العسكرية في قمع الانتفاضة.

هذا وما كان بودي أن يسجل الزميل **صلاح عيسى** صداقته للنظام عندما ختم مقالته بالقول «وصديقك من صدقك لا من صدقك».

وتقبلوا في الختام خالص تحياتي واحتراماتي وتمنياتي القلبية بالتوفيق والنجاح.

عبد الرزاق الصافي

مداخلات

تصحيح لرؤية جيل السبعينات

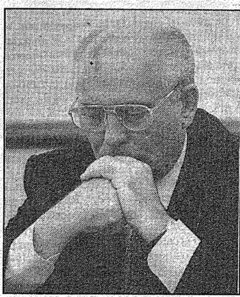
من الماركسيين من هم ألد أعداء ماركس والطبقة العاملة

★ ما يدعو اليه السبعينيون من تحالف العمال والطبقة الوسطى لن يحقق الا الرجوع للوراء
★ علماء الاقتصاد والاقتصاد السياسى لم يلتفتوا إلى أسباب ونتائج الاقتصاد الاستهلاكى

ليست الإثارة مقصودة بعنوان هذا التصحيح لرؤية **(جيل السبعينيات)** الذى دعا إليه السيد **جمال عبد الفتاح** فى رده على مشاغبات**«صلاح عيسى»** فى اليسار / ديسمبر ٩٧، بل هو كبد الحقيقة. **فعندما لا يستوعب (الماركسيون) الماركسية فانهم ودون وعى منهم يقفون فى الجبهة المعادية لماركس ويركبون التيار المعاكس له.** وليس أدل على ذلك من القادة السوفيات متسلسلين من **خروتشوف** حتى **غورباتشوف** المفترض بهم أن يكونوا الحراس الأمناء على الفكر والمنهج الماركسيين . فبسبب قصور فى الفهم ومحدودية استيعاب للماركسية- بغض النظر عن أسبابها- لعب هؤلاء دوراً مركزياً فى تفتيت وتعطيل القوة التى أطلقت ثورة أكتوبر الاشتراكية- لتصبح فيما بعد الانتصار على النازية وسحقها فى عقر دارها -أعظم قوة فى الأرض تجر وراءها التاريخ من تلابيبه لتصل فجر البشرية المشرق المنير. الويل ثم الويل لمن لا يستوعب الماركسية استيعابا لينينياً فإنه منهزم لا محالة!.

عيب السياسين فى العالم الثالث هو أن تعاطيهم العمل السياسى لا ينجم عن انحياز طبقى بقدر ما هو انحياز للذات بمعنى مباشرة السياسة بقصد المكافأة بأشكالها العديدة المختلفة. هذا العيب المؤذى للقضية العامة باستمرار هو ما دفع السيد **صلاح عيسى** للمشاغبة على ماركسى السبعينات إلى حد التشكيك فى مقاصدهم والظن فى دوافعهم . وقطعا لهذه الشكوك والظنون بادر السبعينيون إلى عرض تحليلهم المختلف عن تحليل الستينيين للوضع الدولى الراهن والقوى الفاعلة فيه وطبيعة التناقضات القائمة بينها.

أما العيب الآخر الأبلغ أذى والأعم شيوعا بين سياسى عصر انهيار الثورة الاشتراكية وهو العيب المتصل اتصالا وثيقاً وعضوياً



جورباتشوف



بريجنيف

بالعيب الأول، فهو التنازل الطوعى السهل عن (الحقيقة المطلقة) . عيب على الماركسيين قبل غيرهم أن يلجأوا إلى مثل هذا الخداع المكشوف والرخيص .فحياة البشر على الأرض لم ولن تستهدف الوصول إلى الحقيقة المطلقة وامتلاكها حيث إن ظهور الانسان على الأرض جاء عرضاً ولسوف ينتهى عرضاً . إلا أن الوعى الانسانى مؤهل تماما للكشف عن أسرار تطور الحياة الانسانية على الأرض وسيروراتها المتتالية، هذه الأسرار أو القوانين الموضوعية فقط تتعلق بحياة الناس الفعلية على الأرض وبذلك تكون نسبية وليست من طينة الحقيقة المطلقة.

لقد أمسى التنازل الطوعى عما يسمى تزويراً بـ«الحقيقة المطلقة» خديعة مستهلكة رخيصة ومفضوحة يستخدمها المثقفون البرجوازيون دفاعاً عن مواقفهم المؤيدة للمحافظة على تقسيم العمل وبالتالى استغلال الانسان لأخيه الانسان. وإلا فما حاجة هولاء بتبنى رؤى لا تكشف حقيقة القوى الفاعلة فى حركة التاريخ والحياة الدولية فى هذه المرحلة العصيبة من حياة بنى البشر؟.

الحلف الفضفاض الذى يطمح **«السبعينيون»** إلى إنشائه يقوم على ثلاث قوى رئيسية هى **الشعوب فى العالم الثالث والطبقة العاملة فى مراكز الرأسمالية والطبقة الوسطى فى هذه المراكز.** ولعل الستينين لا يختلفون كثيرا مع السبعينين حتى ولو لم يكن لديهم رؤية شمولية عن التناقضات الشمولية العامة فى المجتمع الدولى وخاصة التناقضات **العرضية الشمولية العامة فى**

فؤاد النمرى

المجتمع الدولى التى من شأنها أن تزيح نضال القوى التقدمية من مجاله القومى إلى المجال الأممى وهو السبق الذى يشرف السبعينين **.قوى هذا الحلف ،كما أرأها كمجايل للخمسينين ، لا تمتلك أية أسباب للتحالف. إنها قوى متباينة وليست من جنس واحد وهى كذلك تمتلك مصالح متباينة بل ومتعارضة فى الغالب.**

ينطلق السبعينيون بداية من فرضية تفتقر لنظرة ماركسية ثاقبة ولتحليل علمى دقيق، فقد افترضوا أن قوى الإنتاج قد تطورت بدرجة هائلة خلال العقود الأخيرة. هذا افتراض سطحى ومعمم، فأى إنتاج وأية قوى تلك التى اعتمدها الافتراض والمفترضون؟ من المعروف تماما أن رهان ماركس على التقدم اعتمد على قوى الإنتاج الرأسمالى تحديدا وعلى حيويتها الذاتية فى التقدم الكمى والكيفى وهو التقدم الذى سيقود العالم الرأسمالى وليس غيره إلى أزمة الكساد ثم الثورة.

وظل قانون التطور الرأسمالى يفعل فعله خلال النصف الأول من القرن الحالى حيث خلال هذه الفترة كانت مراكز الرأسمالية العالمية تعبر أزماتها الخاصة من خلال الحروب فى المستعمرات وأزماتها العامة من خلال الحروب الكونية التى تعيد تقسيم المستعمرات وتلغى بذات الوقت مركزاً أو أكثر من مراكز الرأسمالية المزاحمة.

من خلال فعل هذا القانون وما يولده من تناقضات قاتلة بين مراكز الرأسمالية نفسها استطاعت الطبقة العاملة العالمية والروسية فى طليعتها أن تستولى على أحد هذه المراكز وأضعفها ، روسيا القيصرية ، خلال الحرب الكونية الأولى فى أكتوبر ١٩١٧ . وبفعل ذات القانون وذات التناقضات نجحت الطبقة العاملة العالمية بقيادة الاتحاد السوفياتى فى أن تزعزع أركان المعسكر الرأسمالى فى الحرب الكونية الثانية، وأن تدمر طلائعه النازية والفاشية فى **ألمانيا واليابان وإيطاليا** وتقيم بالتالى معسكراً اشتراكيا جباراً يقوده الاتحاد السوفياتى وقد خرج من الحرب أقوى قوة فى الأرض.

بعد الحرب قام نظام دولى جديد، الغلبة فيه لقوى السلم والحرية والاشتراكية خاصة بعد نجاح الشعوب السوفياتية فى إعادة اعمار الاتحاد السوفياتى بصورة أفضل بكثير مما كان عليه قبل الحرب فى فترة قياسية دون أن يتقاضى أية تعويضات من الدول المعتدية أو أية مساعدات من الدول الحليفة بالرغم من أنه تحمل عنها كل أعباء الحرب تقريباً. فى ظل موازين القوى الجديدة، اندفعت شعوب المستعمرات والبلدان التابعة فى ثورة وطنية



جمال عبد الناصر

تبنى استقلالها ، وتفك روابطها مع مراكز الرأسمالية الامبريالية ، عشرات وعشرات الدول التى استقلت فيما بين ١٩٤٦-١٩٧١ وأخذت كل منها تبنى مشروعها الاقتصادى الوطنى المخطط له أن يؤهلها للانفكاك عن المركز الامبريالى.

.وهكذا حوصر النظام الرأسمالى الامبريالى بين فكى كماشة قويين: المعسكر الاشتراكى ويضم أكثر من ثلث سكان الأرض **ومعسكر الدول الوطنية المستقلة** ويضم مثل هذه النسبة من البشرية وقد أخذ يتقدم الصفوف فى مقارعة الامبريالية وتوجيه ضربات قاتلة لها.

وفى هذا المقام فإننى أعارض تماما تقويم السيد **عبد الفتاح** للثورة الناصرية التى تقدمت كل الصفوف لتدخل فى مواجهات عسكرية عامة مع الامبريالية وطليعتها إسرائيل ثلاث مرات فى عشرين عاماً فقط،كما أن فك الروابط مع معسكر الرأسمالية الامبريالية بلغ حدوداً لم تبلغها أى دولة أخرى من دول الثورة الوطنية. وكان **عبد الناصر صادقا حين عبّر عن شعوره بالاحباط لاكثر من مرة بسبب تواضع النهوض الثورى لجماهير الشعب المصرى العريضة.** ويجب ألا ننسى أن الأم التى تلد القيادة الوطنية دائما أم بروجوازية.

تعاظم حصار الامبريالية فى الستينات لدرجة أن الحكومة السورية تجرأت على قطع خطوط النفط البريطانية (Ipc) **والأمريكية**(TAPLINE) المارة فى أراضيها وأن أنف زعيمة الأمبريالية، الولايات المتحدة، كان يمرغ صباح مساء فى تراب فيتنام، ووصل الأمر إلى أن تطلب فرنسا الديغولية ،وهى عضو رئيسى فى المجموعة الامبريالية ،من الولايات المتحدة استبدال دولاراتها الفرنسية بالذهب . فى محاولة جريئة وخطرة غامرت الولايات المتحدة بشن هجوم عسكرى من قاعدتها اسرائيل على مصر وسوريا فى ٥ يونيو ٦٧ لكسر طوق الاختناق فى أقوى مفاصلة . **فشل الهجوم فى تحقيق غرضه الرئيسى بالرغم من كل النجاحات العسكرية التى حققها فى المعارك ،** لا بل جاءت النتيجة معاكسة للهدف حيث استأنفت القيادتان المصرية والسورية القيام بدورهما فى مقاومة الامبريالية بعزيمة أشد مضاء تمثلت بحروب استنزاف اسرائيل فى القناة وجبل الشيخ.

فى عام ١٩٧١ ألغت الولايات المتحدة التزامها باتفاقية **بريتنوود** ليس لأن فرنسا نزعت ثقتها من الدولار الأمريكى فقط بل لأنها هى نفسها فعلت كذلك . ثم حين تدخلت الولايات المتحدة بصورة سافرة إلى جانب

النظام السائد فى العالم الآن لم يعد نظاما رأسماليا

النظام العالمى الجديد.. هو نظام الطبقة الوسطى

اسرائيل ضد مصر وسوريا فى حرب ٧٣ حظر العرب نفطهم على الغرب الرأسمالى مما فاقم فى أزمته العامة التى كانت قد بدأت تضيق الخناق منذ عام ١٩٧١ .**حينذاك فقط أدرك قادة الامبريالية أن نظامهم الرأسمالى يواجه نهاية محتومة إذا لم يبادروا إلى اخضاعه إلى جراحات استثنائية للغاية ولو بنسبة نجاح محدودة جداً.**

فى عام ١٩٧٤اجتمع قادة الدول الصناعية الخمس الكبرى ،هيئة أركان الرأسمالية العالمية، **الولايات المتحدة واليابان ،وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية** ، فى**جنيف** وقرروا طبيعة تلك الجراحات الاستثنائية المصيرية لنظامهم الرأسمالى. تلك الجراحات التى لا يجوز لأى مفكر أو سياسى حتى ولو لم يكن معاديا للرأسمالية الامبريالية أن يقفز عنها ولا يلتفت إلى آثارها الكونية التى شكلت أو أعادت تشكيل النظام العالمى القائم برمته.

من الغريب حقا ألا يلتفت علماء الاقتصاد والاقتصاد السياسى إلي أسباب ومجريات ونتائج الاقتصاد الاستهلاكى(Consumerism) الذى هزم وبسهولة فائقة كل الاقتصادات الأخرى فى طول العالم وعرضه سواء كانت اشتراكية أم رأسمالية بما فى ذلك الاقتصادات المحيطية.

هل هو عجز فيهم أم تآمر على مستقبل الطبقة العاملة أم كلاهما ليظلوا ينسجون أطروحاتهم على أساس المعطيات والقوانين الكلاسيكية القديمة التى لم تعد موجودة فى الاقتصاد الاستهلاكى!! ما فعله أكثر هؤلاء تقدما لم يتجاوز كيل السباب والشتائم للاقتصاد الاستهلاكى!!

لابد من الاعتراف بأن للاقتصاد الاستهلاكى قوانين ذات فعالية هائلة لم تصلح كل الخطط التى رسمها صندوق النقد الدولى وكل طواغيت الرأسمالية من ورائه أن تحد من فعاليتها حتى فى البلدان الخاضعة لتعليمات الصندوق وأوامره.كما يلزم الانتباه إلى **أن فعالية هذه القوانين تتوجه قبل كل شئ ضد قوانين النظام الرأسمالى نفسه حيث أن هذا النظام قام أصلا ويظل يقوم على تركيم رأس المال فى حين أن الاقتصاد الاستهلاكى(Consumerism) يتجسد ليس باستهلاك كل الفائض الاجتماعى فقط بل ويقضم رأس المال نفسه. إذا علينا أن نجد ماذا يتبقى من الرأسمالية بعد قضم نفس رأس المال قبل أى حديث عن التناقضات الاجتماعية والدولية.** هذا هو المنهج العلمى الذى لابد أن يوافق عليه الماركسيون من مختلف الأجيال.

فى مؤتمر الدول الصناعية الخمس الكبرى فى **جنيف ١٩٧٤** امتدت أيادى قادتها الخمس الكبار إلى قمقم غول الاستهلاكية(consumerism) ونزعوا الغطاء عنه دون أن يكون لديهم أى خطة صائبة لإعادة الغول إلى قمقمه بعد أن يأكل أعداءهم. وفجأة فتحت قنوات التمويل ، تمويل الواردات، للدول النامية على عرضها . القيادات الوطنية فى هذه الدول انتهزت فرصة الاستدانة السهلة غير المشروطة بأية ضمانات ليس لأنها ضاقت ذرعاً بضغط الجماهير الكادحة لمشاركتها بالسلطة فقط بل لأنها قبل ذلك قرأت بوضوح علائم الانهيار على الثورة الاشتراكية. **.لقد غدا الاقتراض المستمر لتمويل المستوردات من البضائع الاستهلاكية هو الشرعية الوحيدة لانفراد هذه القيادات التى لم تعد وطنية بالسلطة والتى انتهت لأن تكون دوائر مغلقة** (closed cir-cle) .

المهم فى هذا السياق هو التحولات الجوهرية التى مرت بها مجتمعات الدول المدنية وليس وقوع هذه الدول فى أسر الدين للدول الغنية . فسرعان ما انهارت البنى الصناعية والزراعية فى هذه الدول ليحل محلها الانتاج الخدمى بكل أشكاله التى معظمها لم يكن يطرأ على بال، وبادت تبعاً لذلك طبقة الفلاحين التى كانت عريضة فى هذه الدول ونزح سكان الأرياف إلى المدن ليكتسبوا ما يقتاتون به جراء قيامهم بأعمال خدمية هامشية،كما همشت الطبقة العاملة لدرجة كبيرة . أما الرأسمالية الوطنية قلب البرجوازية الوطنية فقد تحولت إلى كومبرادور وضيع.

مثل هذه التغيرات النوعية فى بنية مجتمعات الدول التى كانت فى معرض بناء مشروعها الاقتصادى الاجتماعى المستقل تماما عن المركز الرأسمالى الامبريالى فيما بين ١٩٤٥ و١٩٧٥ قضت على آخر فرصة لبناء مثل هذا المشروع الذى أول شروطه توافر قوى إنتاج متخصصة كافية لم تعد موجودة فى البنية الجديدة ذات الطبيعة الاستهلاكية والتى تختص بنموذج انتاج أجوف ، إنتاج خدمى غير مادى **.وليس ثمة حاجة للتأكيد على أن أى مشروع وطنى لا يمكن بناؤه بغير قاعدة مادية.** أما الشرط الآخر لبناء المشروع الوطنى المستقل والذى بدونه يعجز الشرط الأول فى حال توافره عن الإتيان بأى فعل هو تواجد معسكر اشتراكى عالمى أمين للثورة الاشتراكية.

هذان الشرطان الجوهريان لبناء أى مشروع وطنى حقيقى مستقل غائبان تماما عن معطيات العصر . لذلك فإن **الحالمين فقط هم الذين ما زالوا يجترون حلم المشروع الوطنى المعادى أو المعارض للقوى العالمية السائدة** .ليس أمام هؤلاء الحالمين الا السقوط على أرض الواقع ليؤذوا أنفسهم ويؤذوا شعوبهم معهم. القادة الحاليون للدول التى كانت وطنية أكثر واقعية فلا يحلمون بأكثر من حصة متواضعة من تقسيم العمل الدولى ليدخلوا بها دائرة منظمة التجارة العالمية . لقد غدا الاصطفاف فى سوق العمل الدولية ضرورة(وطنية) تتجاوز أهميتها أهمية كل دلائل السيادة الوطنية من علم ونشيد وحتى الحدود القومية.

جميل من السبعينيين أن يكونوا أمميين أولا فيفكروا فى التضامن مع قوى اجتماعية أمريكية وأوروبية للنضال من أجل خلاص العالم والوطن كجزء منه . لكن هذا الجمال لا يتجسد ولو بأى منه إلا من خلال تحقيق أمرين: أولهما التأهيل الذاتى، وثانيهما الاستجابة الأممية.

خطاب **السبعينيين** ينطلق بلسان الشعب المصرى كنموذج لشعوب الدول النامية دول ما كان يسمى بالعالم الثالث، وبافتراض أن مصالح هذه الشعوب تلتقى وتتوحد مع مصالح الطبقة الوسطى وطبقة الشغيلة فى البلدان الرأسمالية المتقدمة. فهل مثل هذا الافتراض الذي شكل محطة انطلاق للسبعينيين افتراض صحيح أو جائز؟ صحة «الافتراض» قامت أصلا لدى الاخوة السبعينيين على رؤية مقلوبة تماما ومغايرة للواقع. فهم يرون..« أن التطور الهائل فى قوى الانتاج بالغرب الرأسمالى دفع إلى مزيد

من الاستقطاب الاجتماعي الداخلي في شكل بطالة متزايدة وتهميش قطاعات واسعة من السكان ومزيد من تدهور أوضاع العمال والفئات المتوسطة».

إنني كأحد ماركسي الخمسينيات أرى الحقيقة في عكس هذه الصورة فالانتاج الرأسمالي تراجع في الغرب لدرجة تثير الرعب وماع الهيكل الطبقي للمجتمعات لدرجة التسطح ولم يعد للاستقطاب الاجتماعي دور في تشكيل التناقضات الاجتماعية. فبغض النظر عن الارقام المعلنة في عامة الدول الغربية لمجمل الانتاج القومي فيها فان أربعة أخماس مجمل الإنتاج الأمريكي هو من الخدمات ومثله ثلاثة أرباع الإنتاج البريطاني وأكثر من الثلثين في كل من فرنسا وألمانيا.

ما يجب أن يوليه الماركسيون تحديداً اهتمامهم الأكبر هو النموذج الرأسمالي في الانتاج والتعرف على خصائصه المحددة بدقة طالما أنه النموذج الوحيد الذي يحمل في أحشائه النموذج الشيوعي للانتاج كما أنه النموذج الوحيد الذي يولد العصب القوي الذي يشد الامة إلى بعضها البعض كما لم تشد من قبل في الوقت الذي يقسمها عرضيا كما لم تقسم من قبل.

النموذج الرأسمالي الذي أعطى البشرية أوفر الخيرات المادية قضى على تقسيم العمل بين المنتجين الحقيقيين وهم العمال من خلال تجميعهم في موقع الانتاج بصورة رئيسية. خصائص نموذج الانتاج الرأسمالي تنعدم كليا في نموذج انتاج الخدمات حيث تقسيم العمل يكتمل تماما فينتج المهني بمفرده خدمة ما قابلة للتبادل دونما حاجة لرأسمال ولأدوات إنتاج. وعليه لا يمكن الادعاء بأن إنتاج الخدمات هو إنتاج رأسمالي. المهنيون ليسوا عمالاً لأنهم لا يبيعون قوة عملهم مباشرة أنهم يبيعون خدماتهم. انهم الطبقة الوسطى.

الماركسيون، وهم الذين يبنون أهم أفكارهم على أساس نموذج الانتاج ذي العلاقة، لا يجوز لهم أن يتجاهلوا التحولات البنيوية في مجتمعات الرأسمالية الغربية وإلا لكانوا غير ماركسيين. انهم يضلون في الاستمرار في اعتبار الولايات المتحدة الأمريكية قلعة الرأسمالية بينما ٨٠٪ من مجمل إنتاجها القومي ليس رأسماليا وأن ٨٠٪ أو أكثر من قوى العمل هي من الطبقة الوسطى. وليس من قبيل الخداع أو التزييف أن الرئيس الأمريكي الحالي كان قد أعلن ترشيحه كممثل للطبقة الوسطى، وحتى حزب المحافظين اليميني البريطاني كان قد اعتمد برنامجاً فاز بموجبه تحت شعار «نحو مجتمع بلا طبقات» وهو شعار الطبقة الوسطى المعروف.

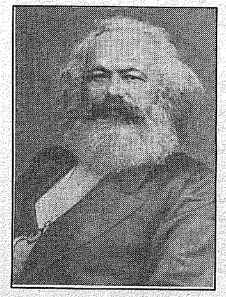
وثمة حقيقة ثانية تؤشر إشارة أبلغ من إشارة إنتاج الخدمات وهي أن كبرى الدول الرأسمالية لم يعد لديها فائض عام في الإنتاج لتصدره بل العكس هو الصحيح فالولايات المتحدة تستورد أكثر مما تصدر بمقدار (٧٢٠) مليار دولارا وبريطانيا (١٠٠ مليار دولار) ومثلهما فرنسا والمانيا. **هذا يعني بالضرورة أن نظام الانتاج العام في هذه الدول لم يعد نظاماً رأسماليا حيث أن كفة النظام الرأسمالي وسر حياته هو فائض القيمة المتجسد في النهاية بفائض الانتاج.**

والحقيقة الثالثة التي تقوم في هذه الدول بشكل بارز هي أن الأموال الطائلة فيها لا تتجمع في القطاع الصناعي بل في دور المال والبنوك العاملة في تجارة الأوراق المالية والضاربة في البورصات وهو ما يمنع نموذج الانتاج الرأسمالي الكلاسيكي من التوسع (Expansion)، الذي هو شرط حيوي من شروط الانتاج الرأسمالي، ويحول دون نمو الطبقة العاملة.

هذه الحقائق الصارخة الثلاث كانت أكثر من كافية لتهديم النظام الرأسمالي الامبريالي القديم ليبرز مكانه مخلوق غريب بشع غير قادر على الحركة والسير إلى الأمام وطفيلي نهم، انه النظام العالمي الجديد نظام الطبقة الوسطى، نظام انتاج الخدمات والمعارف والاعلام والاتصالات وخدمات الكومبيوتر والانترنت حقول الانتاج هذه تراكم رؤوس أموال ضخمة لم تراكمها الصناعات المختلفة لكنهما مع ذلك لا تنتمي إطلاقا إلى نموذج الانتاج الرأسمالي.

ما ينبغي التأكيد عليه في هذا السياق هو أن هذا الانكسار في مسار التاريخ والذي قلب كل الحسابات والتوقعات- بما في ذلك توقعات **ماركس**- لم يأت وليد تفاعلات طبيعية أو نمو طبيعي للنظام الرأسمالي نفسه بل جاء من صناعة الانسان. لقد اقتحم الانسان- مع الاعتذار الشديد من الانسان طالما أن قادة الدول الصناعية الخمس الكبرى عام ١٩٧٤ كانوا من بني الانسان- **اقتحم الانسان مجرى النهر الرأسمالي العريض وكسره لينحرف إلى جهة مجهولة كي لا يصل إلى الجهة التي رآها ماركس في الأفق القريب وهي الشيوعية.**


كارل ماركس



لقد بذلت قوى التآمر على التاريخ جهداً خارقاً لم يسبق أن عرفت البشرية مثيلا له لكسر مجراه الطبيعي، جهدا بلغت قيمته الاف المليارات من الدولارات. هذا المجرى الجديد للتاريخ لا يمكن أن يوصف بدقة أكثر من وصفه بمجرى الطبقة الوسطى مجرى يحمل الطبقة العاملة كما يحمل النهر الجارف الطين مذاباً في مياهه كما يطرد الرأسماليين من دائرة الاستغلال الرأسمالي وتحويل جماهير الشعب إلى بروليتاريا إلى دائرة المضاربات المالية حيث لا يشغلون إلا أرهاطا من الكتبة.

الهزيمة التي لحقت بعمال العالم الرأسمالي لحق مثلها بعمال العالم الاشتراكي ولو لأسباب مختلفة. العدوان الهتلري على الشعوب السوفياتية عام ١٩٤١ أوقف فعليا مسيرة المشروع اللينيني الناجحة في تطوير الطبقة العاملة كما وكيفا من خلال سلطتها المطلقة نحو الوصول لانجاز كامل التحويل الاشتراكي. هذا الايقاف انتهى إلى إسقاط ديكتاتورية الطبقة العاملة وطردها من السلطة بحجة إلغاء مفهوم الصراع الطبقي وإعلان اللاطبقية ودولة الشعب كله. النتائج التي ترتبت على هزيمة الطبقة العاملة في العالم الاشتراكي جاءت أسوأ بكثير من تلك التي ترتبت على هزيمة الطبقة العاملة في العالم الرأسمالي وذلك لأن قطاعاً إنتاجياً غير قليل ظل مرسملا في الأخير يغطي العجز البنيوي لطراز الانتاج الفردي الخاص بالطبقة الوسطى بينما لا يتوفر هذا في العالم الاشتراكي. إذ سرعان ما ينفضح عجز الطبقة الوسطى متجسدا بكوارث اجتماعية.

لكن إلى أين سيأخذ البشرية المجرى المنكسر الجديد للتاريخ ؟؟

الخدمات التي تنتجها الطبقة الوسطى ذات سوق محدودة خاصة وان هذه السوق تزداد ضيقا كلما ضاقت دائرة الانتاج الرأسمالي. لهذا تظل الدائرة العامة للانتاج ضيقة محدودة تتسع للجزء الأكبر من قوى العمل في المجتمع التي تظل معطلة.

استمرار الطبقة الوسطى في التسلط من شأنه أن يعمم العطل والبطالة في المجتمع الأمر الذي سيؤدي إلى تحلله خاصة وأن

وسائل انتاج الطبقة الوسطى هي دائما وسائل فردية لا تبنى علاقات انتاج تشد فئات المجتمع إلى بعضها البعض وليس صعبا على المراقب المتفحص منذ الآن أن يستقرئ الكثير من علائم التحلل في مختلف أخبار الدول ومنها على سبيل المثال غياب الرأى العالمي الموحد حول أى قضية من القضايا المستجدة . هذا الانحراف لمجرى التاريخ سيؤدى بالعالم ويدفع البشرية إلى التهلكة.

بعد أن يتجاهل عامة الماركسيين هذا الانحراف التاريخي الحاكم على كل الصعد يسمحون لأنفسهم بالدعوى إلى التنمية العامة والديمقراطية . لا أدرى بأى وجه يتكلمون عن تنمية عامة ! ليس ثمة تنمية في علم الاقتصاد اسمها التنمية العامة . فالتنمية هي دائما خاصة بمعنى أنها تخص طبقة بذاتها هناك تنمية رأسمالية وهناك تنمية اشتراكية لكن ليس هناك تنميةلا رأسمالية ولا اشتراكية فالمرء يسير باتجاه واحد ولا يسير بكافة الاتجاهات بذات الوقت، **فإما أن تكون التنمية اشتراكية وإما أن تكون رأسمالية ولا يمكن أن تكون لغير طبقة بذاتها . أما أن تكون التنمية للطبقة الوسطى وهو ما يعنى بالضرورة توسيع نموذج انتاج هذه الطبقة بوسائل انتاج فردية فلن يكون هذا الا انحطاطا والعودة إلى وسائل انتاج ما قبل الثورة الصناعية. فعن أى تنمية يتحدث السبعينيون أو حتى الستينيون؟.**

إنهم كذلك يغفلون جنس **الديمقراطية** التى أخذوا يلحون على الدعوة إليها .ما قيل عن التنمية يمكن أن يقال عن الديمقراطية . فالجهة صاحبة التنمية هي نفسها صاحبة الديمقراطية ، انها وبحكم سطوتها الاجتماعية تصمم أدوات ديمقراطيتها لتعود عليها وحدها بالسلطة . لم يحدث في تاريخ الديمقراطية منذ الديمقراطية الأثنية وحتى الديمقراطية اللينينية أن أدواتها عملت بغير ما صمم لها أن تعمل فأنتجت ثورة سياسية اجتماعية تطيح بالطبقة الحاكمة أو الطبقة المالكة للثروة. راية الديمقراطية العامة أو الليبرالية هي راية الثوريين بعد الافلاس والقبول القطعي والنهائي بتقسيم العمل الاجتماعي والهيكلة الطبقية القائمين.

يستغبى الماركسيون الشعبويون وينافقون بالقول أن عليهم أن يأخذوا العبر من انهيار الثورة الاشتراكية والمعسكر الاشتراكي لكنهم باستغباء غريب لا يعتبرون إلا بالديمقراطية . غرابة الاستغباء هنا هو أنهم عادوا إلى نفس الصيحة التى أطلقها **خروتشوف** في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٥٦. **اعتبروا بصيحة الديمقراطية ولم يعتبروا بأول فشل ذريع تنتهى إليه الخطة الاقتصادية** التى عقبت تلك الصيحة. تذكروا الصيحة ولم يتذكروا الفشل مع أنهما مرتبطان

راية الليبرالية هى راية الثوريين بعد الافلاس

زمنيا على الأقل. **هكذا هي الماركسية الشعبوية التى تتفشى هذه الأيام بين عامة الماركسيين تنتقى من الشعارات الجاهزة أكثرها شعبية وجذبا للجماهير وبذلك ينتقل الماركسيون من موقع الطليعة للجماهير إلى موقع الذيل. وسائل الإعلام الجماهيرية التى تمتلكها الطبقات الحاكمة تصنع الرأى العام والرأى العام يرشد هؤلاء الماركسيين المزعومين ويحدد أفكارهم الجديدة ونشاطهم السياسى.**

لم يكن ماركس محرضا سياسياً عندما وجد بالتحليل المادى الدقيق أن الديمقراطية في المجتمعات الطبقية إنما هي وصف أدبى مزوق للديكتاتورية ، ديكتاتورية الطبقة العليا المالكة لوسائل الانتاج. الرأسماليون أنفسهم لا يجهدون لدحض هذه الحقيقة وذلك لأنهم لا يقرون بأي تنازل يتوجب عليهم تقديمه للطبقات الأدنى المحكومة أكثر من صناديق الاقتراع العام، هذا الاقتراع الذى يمثل في حقيقته معركة غير متكافئة بين جيش أعزل من كل سلاح يقابل جيشا مدججاً بكل صنوف الأسلحة . الطبقة الوسطى هي التى لا تعترف أبدا بهذه الحقيقة وتملأ الفضاء زعيقا في تقديس هذه الديمقراطية وما ذلك إلا أنها واسعة الحيلة كثيرة الدهاء وراضية بنصيبها من قسمة العمل الاجتماعي.

الماركسيون الشعبويون هم دائما تقريبا من المثقفين . والمثقفون بحكم امتهانهم لانتاج الثقافة يشكلون الشريحة الأهم من الطبقة الوسطى. لذلك تراهم اليوم يتبنون شعار الديمقراطية بل ويضيفون إليه مبدأ تداول السلطة فهم يمنون النفس سراً لا علانية بوقوع السلطة في أديهم .كان **خروتشوف** رائداً لماركسيي الطبقة الوسطى أو الماركسيين الشعبويين فهو أول من نادى بالديمقراطية وأول من اخترع مبدأ «**الانتقال السلمى إلى الاشتراكية**» متجاهلا **ماركس**-بل هو في الحقيقة يجهل **ماركس** لأنه لم يقرأه إطلاقا كما أكد ذلك الابن الاكبر **لخروتشوف** -الذى أكد في نقده **لفورباخ** على أن «هذه الثورة هي ضرورية إذا ليس لأنه لا يمكن الاطاحة بالطبقة الحاكمة بوسائل أخرى غيرها فقط بل أيضا لأن الطبقة التى أطاحت بها تنجح بتحرير

نفسها من كل القذارة التى علقت بها عبر الأجيال وبتأهيل نفسها لبناء مجتمع جديد من خلال الثورة فقط.

بدأت **نهاية ثورة التحرر الوطنى العالمية عام ١٩٧٥ وتكاملت نهايتها عام ١٩٨٢ وكانت نهاية الثورة الاشتراكية قد بدأت عام ١٩٥٦ عام تبوء الثنائي المعادى للثورة خروتشوف- بريجنيف قيادتها ولم تتكامل نهايتها إلا عام ١٩٩١.** انتهت الثورة الوطنية دون أن تحقق هدفها الرئيسيى وهو فك الروابط مع المراكز والسوق الرأسمالية، وانتهت الثورة الاشتراكية دون أن تتقدم إنشا واحداً في التحويل الاشتراكي بعد عام ١٩٥٦. ومع ذلك ما زال ماركسيو الطبقة الوسطى في دول العالم الثالث المحيطية يتحدثون باسم شعوبهم كما كانوا يفعلون عندما كان الشيوعيون فصيلا هاماً من فصائل ثورة التحرر الوطنى . انتهت الثورة ولم يأبهوا بذلك وتشوهت الهياكل الاجتماعية وبناها الطبقية ولم يلتفتوا إلى ذلك ، **فأي ماركسيين هم هؤلاء !!؟ إنهم لا يستحقون إلا أن يكونوا موضع سخرية لاذعة من ماركس ، بل انهم ألد اعداء ماركس.**

خطة ال(G-5) باغراق الدول النامية بالقروض الاستهلاكية الهائلة التى نجحت بتحقيق اغراضها بتدمير الزراعات الكلاسيكية وبالتالى طبقة الفلاحين ثم بتدمير المشروع الصناعي الوطني والحيلولة دون نمو طبقة عاملة ذات شأن ، هذه الخطة عملت على تسطيح المجتمع وحشد جماهير الشعب في الوسط. هذه الكتلة الوسطية الضخمة لا تفلح في شئ إلا بإعاقة الانتاج لأنها بحكم طبيعتها الاستهلاكية تلتهم كل الادخارات الوطنية كما أن طبيعة إنتاجها لا تعمل على تكوين مثل هذه الادخارات. ثم أنها من جهة أخرى تدافع بشراسة عن تقسيم العمل الاجتماعي وترفض تزويد الطبقة العاملة بقوى عمل اضافية .

.صيحة الديمقراطية المتعالية الآن والتى تجأر بها الطبقة الوسطى يشاركها المثقفون المرتدون عن الماركسية إن هي إلا الصدى القوى الراجع لصيحة خروتشوف في مؤتمر الحزب العشرين عام ١٩٥٦. انها التكريس لتقسيم العمل القائم كما رآها السيد على أحمد نجيب في موضوعته «فكر الماركسية والديمقراطية»-اليسار، نفس العدد- **آلية لاستقرار المجتمع والتوافق على النظام الاجتماعى السائد..**

نعم **خروتشوف** لم يكن راغبا في التقدم أكثر على طريق عبور مرحلة الاشتراكية ودعته«ديمقراطيته» ، ديمقراطية الطبقة الوسطي بعد ثلاث سنوات فقط إلى إلغاء الصراع الطبقى وديكتاتورية البروليتاريا ، وإعلان الشعب كله طبقة واحدة ودولة الشعب

التنمية إما أن تكون اشتراكية أو رأسمالية

كله معارضا بذلك **ستالين** وبزاوية ١٨٠ درجة الذي طرح في المؤتمر التاسع عشر للحزب عام ١٩٥٢ برنامج تشديد الصراع الطبقي كونه الآلية الوحيدة لعبور مرحلة الاشتراكية نحو الشيوعية حيث لا سلطة تحكم الشعب.

المسألة الهامة التي لا يقدرها المثقفون من الماركسيين والتي تلعب دوراً حاسماً في التعرف على الديمقراطية الحقيقية غير الشكلية هي أن **الاشتراكية ليست نظاما اجتماعيا مستقرا بحال من الأحوال بل هي مرحلة عبور تأخذ خلالها الطبقة العاملة وحدها على عاتقها القضاء النهائي على تقسيم العمل وتصفية الطبقات الأخرى** بغض النظر عن أهميتها وخاصة الطبقة الوسطى الواسعة التي تستشري في الدفاع عن شرعية القسم الخاص بها من العمل الاجتماعي بكل ما اشتهرت به من مكر وخديعة.

الديمقراطية ،وكما عرفها **السيد مجيب** ، والغاء نهج الصراع الطبقي وديكتاتورية البروليتاريا واستبدالها بما يسمى « **دولة الشعب كله** » ،كل هذه المستجدات على مسيرة الحزب والدولة منذ عام ١٩١٧ والتي كرستها القيادة الجديدة **خروتشوف -بريجينيف**-ما بين ١٩٥٦ -١٩٦١ ، هدفت بصورة رئيسية إلى تكريس شرعية تقسيم العمل في المجتمع السوفياتي بين العمال من جهة والطبقة الوسطى من جهة أخرى بالاضافة بالطبع إلى الفلاحين التعاونيين .**انها حماية لنموذج انتاج الطبقة الوسطى.**

مثل هذا التوضيح لتناقضات الطبقية في المجتمع السوفياتي في الخمسينيات يخالف تماما الاستنتاج الساذج الذي توصل إليه **السيد مجيب** والذي لا يستقيم مع تعريفه لآلية الديمقراطية والقائل بأن جماهير الشعب السوفياتي كانت قد فقدت الثقة بالقيادة قبل وصول **خروتشوف** إلى السلطة !! إذ وصل **خروتشوف** إلى قيادة الحزب عام ١٩٥٤ وكان الحزب ما قبل ذلك قد نفذ برنامجين إستثنائيين أولهما برنامج الحرب ١٩٤١- ١٩٤٥ وثانيهما برنامج إعادة الاعمار ١٩٤٥-١٩٥٢ .

الشعب السوفياتي الذي أنجز هذين البرنامجين بنجاح كان وسيبقى لغزاً يحير المحللين السياسيين والمؤرخين ،هذا الشعب العظيم الرائع لا يمكن أن يكون قد فقد الثقة بقيادته وأنجز ما أنجز . بل العكس هو الصحيح حيث تجاوزت الثقة كل الحدود حتى العبادة لدرجة أن « **عبادة الفرد** » -وهي التعبير السيئ للثقة المطلقة التي محضها الشعب السوفياتي لقيادة ستالين- كانت الموضوعة الرئيسية في المؤتمر العشرين للحزب عام ١٩٥٦ . وهذا بحد ذاته كاف ليدحض ما ذهب اليه **السيد مجيب** بشأن فقدان الثقة.

الماركسي في رؤية السبعينين ويغيب تماما عن رؤية الستينيين هو أن السبعينين لا يرون حلاً للمسألة الوطنية إلا من خلال حل التناقض الرئيسي العالمي . لكن هذا السبق يغدو قصوراً ضاراً إذا أخطأوا في التعرف على هذا التناقض بكل حدوده وتفاصيله .

العرض الذي أوجزه السيد **جمال عبد الفتاح** لرؤية السبعينين يبين أن أممية السبعينين لا تختلف في نهاية المطاف عن قومية أو وطنية الستينين ويرون التاريخ كما يراه الستينيون يسير إلى الوراء ليصل إلى محطتين تقعان في منطقة نفوذ الطبقة الوسطى وهما «الديمقراطية» و«التنمية الشاملة».**إن المعيار الوحيد الذي يفرز الماركسي من اللاماركسي هو الموقف من الطبقة العاملة والانتصار لها.** فكل ما ينمي الطبقة العاملة ويدفع بها إلى الأمام سواء من حيث الكم أو الكيف هو بالضرورة تقدمي وحري بالماركسين الانتصار له دون تردد أو تهيب حتى ولو بدا لأول وهله بغير جوهره.

بناء عليه تكون استراتيجية السبعينين بقيام تحالف بين شعوب البلدان النامية من جهة والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتقدمة من جهة ثانية والطبقة الوسطى في هذه البلدان من جهة ثالثة ، استراتيجية غير قابلة للتحقق . إذ ليس ثمة أهداف مشتركة بين هذه الجبهات الثلاث . فأي مصلحة للطبقة الوسطى في البلدان المتقدمة في التحالف مع الطبقة العاملة أو حتى مع شعوب البلدان النامية؟. انها تستهلك أضعافا مضاعفة من فائض الانتاج المقتطع أصلا من أجور العمال وترغم الدولة على الاستدانة من أجل المحافظة على نظمها الاستهلاكي فتحرم بذلك الصناعات الرأسمالية من التوسع(Expansion) وتقلص بالنتيجة المساحة الاجتماعية للطبقة العاملة.

أليست هي الطبقة الوسطى من ينشر في الادبيات السياسية الحديثة الزعم بأن الطبقة العاملة لم تعد الطبقة الطليعية التي تحمل في نموذج إنتاجها حلم التغيير والثورة وأن التكنولوجيا أخذت تشكل العامل الأول في الانتاج الكثيف!! مثل هذا الزعم لا يعبر إلا عن التناقض البنيوي بين الطبقة الوسطى والطبقة العاملة وعن نفي إحداهما للأخرى .. الاستهلاك الوحشي الذي تمارسه الطبقة الوسطى خاصة في البلدان المتقدمة من شأنه أن يضيع مستقبل الطبقة العاملة في هذه البلدان مثلما ضيع نموذج إنتاج الطبقة الوسطى مستقبل الطبقة العاملة في البلدان الاشتراكية.

الرأسماليون هم الذين استحضروا أصلا نموذج الانتاج الاشتراكي وذلك من خلال بنائهم للصناعات الكبيرة والانتاج بالجملة حيث لا أثر لتقسيم العمل . صحيح أن التناقض الرئيسي داخل هذه المؤسسة وداخل المجتمع المتهيكل وفق هذه الصناعات هو بين العمال من جهة ومالك المؤسسة من جهة أخرى، لكن هذا التناقض يغدو ثانويا حين تواجه المؤسسة خطر الموت والزوال كما تواجه الآن في الدول الرأسمالية المتقدمة بفعل تفشي الطبقة الوسطى ونماذج انتاجها الفردية .**إزاء مثل هذه الأخطار لابد من قيام تحالف بين العمال والرأسماليين ليس لدرء الخطر فقط بل وللقضاء على الطبقة الوسطى ونماذج إنتاجها . أما تحالف العمال مع الطبقة الوسطى ضد الرأسماليين وهو ما يدعو إليه السبعينيون فإنه لن يحقق إلا الرجوع إلى الوراء.**

الهيكل الهرمي الثوري الذي كانت تشكله طبقات الفلاحين والبرجوازية الوطنية في مجتمعات الدول النامية ماع وتسطح في طبقة وسطى اسفنجية تمتص السلع الاستهلاكية بلا حدود . فما عساه يكون وجه التحالف بين هكذا اسفنجية والاسفنجة الأمريكية أو البريطانية أو الفرنسية سوى الامتصاص وتكبيد طرفي الانتاج ، العمال والرأسماليين ، في الدول المتقدمة خسائر فادحة لا تتوقف والحؤول دون إعادة بناء الهيكل الهرمي الثوري في الدول النامية؟.

ليس أمام الماركسيين الحقيقيين الآن في الدول النامية سوى تلمس الطرق نحو إعادة بناء مجتمعاتهم وفق ذات التصميم الكلاسيكي للهيكل الهرمي الثوري.

يمين × شمال

لماذا وقف اليسار ضد تحالف كوبنهاجن؟

* لا أعرف لماذا وقف اليسار المصرى متشنجا ضد تحالف كوبنهاجن ،مع أنكم تقولون دائما أنكم مع السلام ، ولم يفعل الذين أنشأوا هذا التحالف وجروا إليه شخصيات اسرائيلية كبيرة إلا أنهم أحبوا السلام وأرادوا أن يخدموه .. أنا فى الحقيقة لا أفهمكم؟.

وأنا مع السلام لأننى أعرف ما هى الحرب بعد أن بقيت فى الجيش منذ حرب الاستنزاف وحتى انتصار أكتوبر ورأيت زملائى يسقطون شهداء ، ومن عاش فقد ساقا أو عينا أو يدا، وأشعر أننى نجوت بالصدفة من مصير مشابه.. **ماذا تريدون .. هل هى الحرب مرة أخرى؟.**

لقد سبق لكم أن شتمتم **السادات** حين قال بعد حرب أكتوبر إن هذه هى آخر الحروب فماذا تريدون بالضبط؟.

صابر محمدين عبد التواب
قطور

أقدر وأفهم جيدا مشاعر الغضب التى طبعت رسالتك ، والتى أفضت فيها فى وصف النتائج المأساوية للحرب مع اسرائيل ولأى حرب أخرى.

وأؤكد أننا نحن اليساريين مثلك تماما نريد السلام، بل **لقد كان اليسار فى مصر وفى العالم أجمع هو الذى أسس حركة السلام ودعا إلى نبذ الحروب** ،وكان **فلاديميرايليتش لينين** القائد العظيم لثورة أكتوبر الاشتراكية هو الذى أطلق الدعوة لوقف الحرب مع ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وأصدر مرسوما للأرض والسلام، وكان هو الذى أطلق صيغة التعايش السلمى على الصعيد العالمى.

أى أن السلام هو جزء لا يتجزأ من ايديولوجية اليسار لأن التاريخ علمه أن **تجار الحروب هم كبار الملاك عادة والرأسماليون** المستفيدون من عصرنا من تجارة الأسلحة، وأن الشعوب هى دائما ضحية أطماع المغامرين وأحلام التوسع.

ولكننا نفرق بين السلام والاستسلام لأن الأخير سوف يكون كفيلا باشعال حروب أخرى . وفى الصراع مع اسرائيل نحن ندعو إلى السلام العادل والدائم والمشرف الذى يقوم على الجلاء عن كل الأراضى العربية المحتلة بعدوان ١٩٦٧ والاقرار بحق الشعب الفلسطينى فى اقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية وحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة أو التعويض عن أراضيهم.

وحين عقد **السادات** اتفاقية الصلح المنفرد مع اسرائيل لم نشتمه بل شرحنا للرأى العام المصرى والعربى مخاطر مثل هذه الاتفاقية بعد أن كنا قد انتقدنا بشدة قوله إن حرب أكتوبر هى آخر الحروب لأن اسرائيل كانت ما تزال تحتل الجزء الأكبر من سيناء مع كل أراضى فلسطين وأراضى ثلاث دول عربية أخرى ،**ولم يكن من السياسة أو الدبلوماسية أو الحنكة الاستراتيجية التى كان السادات يدعيها لنفسه أن نعطى للعدو الذى يحتل أراضينا وعدا بأننا لن نستخدم الكفاح المسلح لتحرير أراضينا** وأننا ألقينا سلاحنا مرة أخيرة وإلى الأبد.

وقد أثبتت الوقائع بعد ذلك أن تقديرنا كان صحيحا فقد أدت الاتفاقية المصرية -الاسرائيلية إلى إطلاق الحلول المنفردة وانفراط الصف العربى وتكريس الهزيمة العربية وفتح الباب أمام اسرائيل لكسر حاجز المقاطعة العربية لها الذى كان قد كلفها طيلة تاريخها أربعين مليار دولار من الخسائر.

وقاد اليسار المصرى مع كافة القوى الوطنية حملة واسعة منذ ذلك الحين للحيلولة دون تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل على الصعيد الشعبى بعد أن عجزت المعارضة عن إسقاط اتفاقيات **كامب ديفيد** والصلح المنفرد ، وبقيت العلاقات بين مصر واسرائيل علاقات رسمية فقط ولكنها فشلت عن إقامة علاقات شعبية بسبب تضامن النقابات العمالية والمهنية والاحزاب المعارضة والمنظمات الشعبية بصفة عامة. وبقيت إسرائيل فى وجدان المصريين- رغم العلاقات الرسمية مع الحكومة- هى الدولة المعتدية التى اغتصبت أرض فلسطين وتحتل أراضى ثلاث دول عربية لابد أن نكافح بكل السبل لاخراجها منها.



لطفى الخولى

ولم يكن ما سمى« بتحالف كوبنهاجن» إلا محاولة لكسر هذا الاجماع الشعبى على رفض العدوان. وليس صحيحا أن أصحاب الدعوة للتحالف سوف يؤثرون كما يقولون على الرأى العام الاسرائيلى أو يدعمون قوى السلام التى تعترف بالحقوق العربية داخل اسرائيل ذلك أن عمل تحالف كوبنهاجن هو عمل داخل مصر يستهدف فى الأساس إقامة علاقات- على أرض مصر- بين شخصيات إسرائيلية وبين مثقفين مصريين كما أن قوى السلام فى إسرائيل تعمل فى أوساط الشعب الاسرائيلى وليس فى أوساط الشعوب العربية.

ومقاومة التطبيع سعيا إلى تطبيق قرارات مؤتمر القمة العربى الأخير فى يونيه ١٩٩٦ باعمال بنود **المقاطعة هى الأداة التى تملكها المعارضة المصرية**

«البيان» .. وديكتاتورية البروليتاريا

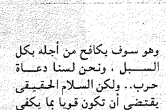




د. عبد المنعم سعيد

البيان

نشرة غير دورية تصدرها اللجنة المصرية للاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على صدور البيان الشيوعي



والمثقفون المصريون الآن فى مواجهة الصهيونية والتفريط فيها يعنى أننا نلقى بالسلاح الوحيد الذى نملكه طالما أننا لم نصل إلى السلطة وعجزنا من ثم عن وقف العلاقات الرسمية الاقتصادية التجارية والسياسية.

وإننى أتمنى أن تقرأ فى عدد **١٨ أبريل** من جريدة **الأهالى** تقييم الوفد الفلسطينى برئاسة الدكتور **حيدر عبد الشافى** الذى زار حزب التجمع مؤخرا لتحالف كوبنهاجن والذى قالوا عنه إنه لا يحظى بأى مصداقية حتى داخل اسرائيل نفسها.

إن اليسار مع السلام العادل والمشرف الذى يضمن الحقوق ، وهو سوف يكافح من أجله بكل السبل ، ونحن لسنا دعاة حرب.. ولكن السلام الحقيقى يقتضى أن تكون قويا بما يكفى لتحارب.

البيان وديكتاتورية البروليتاريا

منذ سنوات وأنا حائر ، وزادت حيرتى هذه الأيام حين قرأت خبرا يقول إن لجنة تشكلت من اليساريين لتحتفل بمرور قرن ونصف على صدور **البيان الشيوعى فكيف تتعاملون مع شئ يسمى ديكتاتورية البروليتاريا وما هى هذه الديكتاتورية** في زمن حقوق الإنسان والديمقراطية وحرية الرأى.. فهمونى أيه الحكاية؟.

سليم الوحش عبد ربه أبو كبير شرقية

أنت محق في حيرتك ، فالديكتاتورية هى الديكتاتورية أى القمع والعدوان على الحرية ولكن المسألة ليست كذلك على الاطلاق فقد تعاملت الطبقات المالكة مع هذا المفهوم تماما كمن ينطق الآية الكريمة منقوصة فيقول: «لا تقربوا الصلاة».

ويتجاهل بقيتها.. و«أنتم سكارى».

وحين توصل «**ماركس وانجلز**» فى البيان الشيوعى قبل قرن ونصف إلى مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا أى الطبقة العاملة الصناعية كانا قد شخصا حكم الطبقة الرأسمالية المسيطرة باعتباره ديكتاتورية الأقلية أى البورجوازية الحاكمة سواء كانت تتشكل من الملاك الصناعيين فقط أو تتحالف مع الملاك الزراعيين ، وقاعدتها الملكية الخاصة لوسائل الانتاج التى تستغل عن طريقها -وبكل أساليب القمع- العمال والفلاحين والكادحين عامة وتتستر فى قمعها هذا بأقنعة ديمقراطية.

وهكذا نشأ مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا باعتباره حكم الاغلبية الذى تقوده الطبقة العاملة وتصفى من خلاله أشكال الاستغلال المختلفة للكادحين وهى تبنى الاشتراكية ، وهى تضطر أمام مقاومة الأقلية البورجوازية إلى استخدام القمع ضدها اذا ما قامت بتهديد الثورة الاشتراكية.

وقد طور المفكرون الماركسيون فى عصرنا هذا المفهوم، كما قامت أحزاب شيوعية أوروبية باسقاطه من دساتيرها . وقد أدخل المفكر والمناضل الشيوعى الايطالى «**انطونيو جرامشى**» مفهوم الكتلة التاريخية التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين والكادحين عامة فى ارتباط وثيق مع توقعات لينينية قديمة أنه يمكن أن يحدث الانتقال للاشتراكية سلميا شرط أن يتزايد باستمرار النفوذ الثقافى والسياسى لهذه الكتلة التاريخية ولأفكارها الجديدة.

حزب الرفاة والعلمانية الملحدة

س: ماذا تقولون أنتم العلمانيون الدنيويون وأنتم تدعون التمسك بالديمقراطية فيما حدث **لحزب الرفاه** فى تركيا فى ظل سيطرة علمانيتكم الملحدة؟

س.د

البحرين

أود أولا أن أفض الاشتباك بين العلمانية والإلحاد ، فالعلمانية بالتعريف هى فصل الدين عن الدولة والسياسة وعدم النص على دين للدولة فى دستور البلاد، **وهى تتأسس على حق المواطنة وليس على الديانة** ،وعلى الصعيد الفكرى هى التأويل العلمى الموضوعى للدين ولا تدعو للإلحاد ولا تشترط على المواطنين إعلان إلحادهم كما يروج المغرضون ،**وقد كان شعار ثورة ١٩١٩ فى مصر شعارا علمانيا أصيلا هو الدين لله والوطن للجميع.**

وفيما يخص ما حدث فى تركيا ،وحتى ما حدث من قبل فى الجزائر حين تقدم الجيش لمنع جبهة الانقاذ من تولى الحكم بعد نجاحها فى الانتخابات فإن **القضية لم تكن وليست الآن صراعا بين العلمانية والدين، ولكنه الصراع على السلطة فى بلدين يحكمهما العسكر** والديمقراطية فيهما هشة ومرهونة بارادة الجيوش التى تهدد بالانقلابات وتنفذها وليس بارادة الشعب.



اربكان .. زعيم حزب الرفاه



فن

أكاذيب حقيقية في السينما الأمريكية.. و

خرافة فيلم «تايتانك»



جيمس كاميرون

منذ عامين أو ثلاثة لا تزيد ، تصاعدت على صفحات المجلات الفنية المصرية حملة ضارية، ضد فيلم أمريكي من نمط أفلام العنف والحركة يدعى « **أكاذيب حقيقية** »،من بطولة رجل العضلات **أرنولد شوارزينجر**.وكان الدافع القوى- والمنطقى -وراء تلك الحملة النقدية التى كادت أن تصل إلى درجة الاجماع هو أن الفيلم يصور العرب كإرهابيين دمويين، يسعون إلي سرقة أسلحة نووية يدمرون بها العالم، لولا أن البطل الأمريكي« **أرنى** » -اسم التدليل لأرنولد- القوى الذكى ينجح فى إبادتهم وتخليص العالم منهم، وانقاذه من شرورهم ، وهكذا يحل على الأرض السلام ، وبالناس-الأمريكيين وأتباعهم المخلصين- كل المسرة!.

على النقيض تماما ، فإن الصحافة الفنية المصرية قد احتشدت فى الآونة الأخيرة بحملة من الاشادة والتمجيد لفيلم أمريكى من نمط أفلام الكوارث يدعى « **تايتانك** »،**انزلقت فيه معظم الأقلام إلى أن تنقل معلوماتها عن الفيلم من كتيب الدعاية الذى تقوم الشركة المنتجة بتوزيعه**، أو من صفحات المجلات الفنية الأمريكية التى تروج للأفلام الهوليودوية ، فتحول النقد والتحليل إلى الحديث عن الأرقام الهائلة والمبالغ الطائلة من الأموال التى انفقت على الفيلم أو تلك التى ينتظر أن يحصدها ،حتى ذهب البعض إلى ترديد مقولة الدعاية الهوليودوية بأن هذا الفيلم هو « **أعظم فيلم فى تاريخ السينما** »، خاصة أن هوليوود قد منحته إحدى عشرة جائزة أوسكار ،مما حدا بمخرج الفيلم ومنتجه وكاتب السيناريو له ،**جيمس كاميرون**، أن يهتف فى هيسترية، محتضناً بعضاً من هذه الجوائز فى حفل توزيعها ، مردداً عبارة كان قد وضعها على لسان بطل الفيلم: « أنا ملك العالم! » ،**ولكن المثير للدهشة والمرارة فى ذلك كله هو أن كثيرا من الكتابات النقدية عندنا قد ذهبت إلى آخر المدى وراء تلك «الزفة الاعلامية» الأمريكية وخلعت على هذا الـ«جيمس كاميرون» لقب« مؤلف وفنان السينما العبقرى»**(مع الاعتذار الشديد لكل فنانى ومؤلفى السينما الحقيقين الذين صنعوا تاريخ هذا الفن) ،ومصدر تلك المرارة العميقة التى تغص بها حلوقنا هو أن جيمس كاميرون نفسه كان صانع الفيلم سالف الذكر: « **أكاذيب حقيقية** »!!.

تحول إذن الذوق النقدى عندنا أوكاد، تجاه السينما الأمريكية ، خلال فترة قصيرة من النقيض إلى النقيض، دون أن تكون هناك وراء هذا التحول أسباب موضوعية تتعلق بالابداع الفنى الأصيل، **فليس هناك بين « أكاذيب حقيقية » و « تايتانك » قفزة فنية من أى نوع، ولا جيمس كاميرون تحول عن رؤيته العنصرية للعالم** . وهو ما يطرح علينا تساؤلات ملحة حول ما يمكن أن يطرأ فى السنوات القليلة القادمة من تغيرات عميقة فى موقف الحركة الثقافية فى مصر تجاه العديد من القضايا الحيوية أو المصيرية ، وهى الحركة التى أصبحت ترتضى فى الأغلب الأعم منها بالانضواء يوماً وراء يوم تحت لواء المؤسسات الثقافية الحكومية وقبول سياساتها الاعلامية الضحلة وضيقة الأفق ،**فكأن معظم المثقفين قد اكتفوا فى مجتمع الطوفان بتحقيق مكاسب ذاتية عابرة بدلا من الحلم- والعمل على تحقيق هذا الحلم- بواقع أكثر جمالا وعدلاً**.

وليس تشاؤما أن نشير إلى أن حالة من الاستسلام للواقع الراهن، الذى تتحلل فيه مقومات الوطن وتتداعى أركان مؤسسات «الدولة» (ولا نقول «الحكومة»)، تحت شعار التحول للاقتصاد «الحر» -هكذا يقولون !- في نفس الوقت الذى يجثم فيه قانون الطوارئ -وعشرات القوانين الأخرى- على حرية التعبير والممارسة السياسية، تلك الحالة من الاستسلام قد امتدت وتغلغلت إلى الوعى أو اللاوعى، سواء على المستوى الفردى أو الجماعى، وهو ما يمكن لك أن تراه فى موقف السينمائيين الذين سبق لهم أن أعلنوا رفض قرارات حكومية تخص مستقبل صناعة السينما المصرية ، بدا أنه تم تفصيلها على مقاس بعض من كبار رجال المال، ثم انتهى معظم هؤلاء السينمائيين إلى الدخول تحت معطف هذه الشركة أو تلك ،كما يمكنك أن ترصد جانباً من هذا الاستسلام فى تقاعس كتلة ليست صغيرة من الصحفيين عن الدفاع عن حريتهم، بينما يطارد قانون الحكومة- الذى عاد بالصحافة وحريتها أكثر من نصف قرن إلى الوراء- بعضاً من أشرف أصحاب الأقلام ليضعهم وراء أسوار السجون!.

أحمد يوسف

رجال الأموال ودجاجة السينما المصرية

قد تبدو تلك الظواهر للوهلة الأولى وكأنه لا يجمعها وحدة واحدة، لكنها فى الحقيقة ليست إلا تجسيداً لأزمة حقيقية وعميقة تعانى منها الثقافة المصرية، بل الوطن كله ،فى سياق **تعتمد فيه السلطة على فرض الأمر الواقع وتمريره ، دون صدام حاد مع القوى المعارضة**، بل ربما أيضا من خلال تفتيت وتشتيت هذه القوى المعارضة، والأهم من ذلك هو أنه السياق الذى يتعمد لعبة خلط الأوراق، وتسمية الأشياء بغير أسمائها ، فقانون حرية الصحافة هو فى حقيقته تكبيل لها، والاقتصاد الحر هو حرية أصحاب الأموال فى فرض قانونهم الذى يعنى تراكم المال فى خزائنهم وأرصدتهم فى البنوك الأجنبية، حتى لو كان ذلك من خلال العمل على خلخلة الكيان الاجتماعى والانحياز لشريحة ضيقة وهامشية من«القادرين» ، وتجاهل الكتلة الأكبر من أبناء هذا الوطن، **أما ما يسمى بتطوير صناعة السينما المصرية فهو أن تسلم قيادها لمن لا يملكون- ولا يريدون أن يملكوا-رؤية واضحة لمستقبلها إلا أن يذبحوا الدجاجة بحثاً عن البيضات الذهبية فى أحشائها.**

فلنتأمل قليلاً ما يقوم به الآن بعض من رجال الأموال- ولا نقول الأعمال- الذين قرروا الدخول إلى«سوق» السينما المصرية، والذين يبررون دخولهم إليها بأنهم يعشقون أفلام **ليلى مراد وإسماعيل يسن** (وياله من سبب قوى يدعونا إلى تصديقهم) ،لكنهم يؤكدون لك أيضا أن كل ما يفكرون فيه ،خلال السنوات الخمس القادمة على الأقل، هو انشاء بعض من دور العرض الفاخرة(التى قد لا يقدر على ارتيادها إلا أبناء تلك الشريحة الهامشية «القادرة)، وأنهم لا ينوون حالياً بناء استوديوهات أو معامل، وهو الأمر، الذى سبق أن أشرنا إليه مراراً على صفحات «**اليسار**» ،**من أن الرأسمالية المصرية بوضعها الراهن ضيقة الأفق قصيرة النظر، وأنه لا يمكن الاعتماد عليها فى صناعة «ثقيلة» مثل صناعة السينما** ،تحتاج إلى من ينفق عليها رؤوس الأموال الضخمة ولا ينتظر الربح إلا بعد سنوات طوال، بينما أثبتت التجربة العملية- منذ فترة ما يسمى بالانفتاح وحتى اليوم- أن من يملكون المال عندنا لا يهدفون إلا الدورة السريعة للربح، فى الوقت الذى نرى فيه أن بداية **الطريق الصحيح لحل أزمة صناعة السينما المصرية يبدأ من البحث عن« زبونها » الحقيقى ،فى الستين مليوناً من المواطنين**



الذين يجدون فيها تسليتهم ومصدر وعيهم بالعالم والواقع والحياة، وهو ما يحتاج إلى بناء الآلاف- بالمعنى الحرفى للكلمة- من دور العرض فى أنحاء مصر كلها، فى المدن الصغيرة، وحتى القرى، وليس مهماً أن تكون دور عرض فخمة أو مكيفة الهواء ، وإنما المهم هو أن تكون في متناول أيدى الكتلة الأكبر من الجماهير وقدراتهم المادية، لذلك فإن **الحل لن يأتى من خلال دور العرض الفاخرة فى القاهرة أو البحث عن سوق خارجية كما يفكر أصحاب الأموال الذين يحاولون اليوم احتواء صناعة وتجارة السينما المصرية** ، بينما هم يفكرون فى الحقيقة فى«الأفلام» على أنها سلعة لا تختلف كثيرا عن البضائع التى يتاجرون فيها ، والتاجر العابر على طريقة الرأسمالية المصرية يبحث دائما عن السلعة الأكثر ربحا له، بصرف النظر عن جنسيتها أو احتياج أهل وطنه لها.

إن أردت دليلا على ذلك ، عليك أن تلقى نظرة سريعة على ما تقدمه دور العرض المصرية فى الفترة الأخيرة ، فسوف تكتشف **أن السينما الأمريكية استطاعت احتلال الجانب الأكبر منها، بينما تقبع فى العلب أفلام مصرية تنتظر منذ عامين أو ثلاثة فرصتها فى العرض** ، ولا ندرى كيف يكون ذلك فى مصلحة السينما المصرية، لكننا نعلم على وجه اليقين مصلحة أصحاب الأموال فى تلك «السياسة»، فدور عرضهم الفاخرة يمكن شغلها على مدار العام كله بالأفلام الأمريكية أيا كان مستواها أو قيمتها الفنية، ولتذهب بعدها السينما المصرية إلى الجحيم ! وإن المرء لا يملك إلا أن يشفق على حال صناعتنا السينمائية عندما يشهد اخفاق فيلم **عادل إمام** الأخير «**رسالة إلى الوالى**» من الناحية التجارية، ليس فقط لضعف مستواه الفنى (والذى أشرنا إليه فى العدد السابق) ،وإنما لأن فيلماً مثل« **تايتانك**» نزل إلى الأسواق فى نفس توقيت عرضه لينافسه منافسة غير عادلة ، تصحبه دعاية ضخمة غير مسبوقة ، تبرر للجماهير ما سوف تحصل عليه من« الفرجة» بكل أنواعها ،من الحب والرومانسية ،وحتى العنف والقسوة ، بصرف النظر عن أن الفيلم الأمريكى ليس فى التحليل الأخير إلا نموذجا على أكثر الجوانب السلبية ضحالة وابتذالا فى السينما الهوليوودية.

وربما لا نكون فى حاجة إلى القول بأننا لا ندافع عن **عادل إمام** ،بصرف النظر عن القيمة الحقيقية للأعمال الفنية التى يقدمها، وإنما هو دفاع عن السينما المصرية ذاتها(**وفى كل بلاد العالم من الهند وحتى فرنسا تجد نظام «الكوتا» أو الحصة التى تفرض عرض الأفلام المحلية قبل الأفلام الأجنبية)** ،بل أننا نعيد التأكيد على أن اختفاء صانعى أفلام المقاولات مثل **ناصر حسين** أو **محمد مرزوق** من ساحة صناعة السينما المصرية هو الوجه الآخر لاضطرار مبدعين مثل **محمد خان وخيرى بشارة** إلى العمل فى الفيديو كليب أو الاعلانات لأنهم يعجزون اليوم عن صناعة الأفلام ، وسوف يزداد الأمر سوءا وقتامة عندما تفرض السينما الأمريكية وجودها ،من خلال «سياسة» رجال الأموال التى لا تختلف كثيرا عن الوساطة أو «السمسرة» ، بهدف الربح وحده ، لكن عليك أن تتذكر أيضا أن السينما الأمريكية لا تعتمد أبدا على الأسواق الخارجية فى أرباحها، فهى تجنى الحصاد الأكبر من السوق المحلية (وهذا ما نادى به للسينما المصرية أيضا) ،بينما نجاحها فى التغلغل إلى تلك الأسواق الخارجية يمثل

بالنسبة لها انتصارا ثقافيا وسياسيا ،لن يكون استسلامنا له إلا تكريسا لذلك الواقع السائد الذى يطلقون عليه«**النظام العالمى الجديد**».

هوليود تعاقب الديناصورات!

وأرجو ألا يتصور القارئ أننا نأخذ من السينما الأمريكية موقفا مسبقا رافضا ، فمن الحق القول أن هذه السينما قد ساهمت بقدر غير قليل من الابداع الجمالى والتقنى لتاريخ هذا الفن (وهناك عشرات الأسماء التى تؤكد ذلك) ، لكن تلك الحالة من الابداع كانت مشروطة على الدوام بنوع من التفاعل والمنافسة مع الابداع السينمائى فى بلاد العالم كله، ودائما ما كانت هوليود تقفز قفزات جمالية حقيقية فى مناخ تزدهر فيه الحركات السينمائية فى البلاد الأخرى ،**وفى كل الأحوال كانت هوليود -بذكاء المؤسسات القوية الراسخة -قادرة على أن تستوعب وتتمثل الانجازات الفنية لموجات سينمائية متلاحقة بدءا** من التعبيرية الألمانية ومدرسة المونتاج السوفيتية ، ومروراً بالواقعية الجديدة الايطالية والسينما الحرة البريطانية والموجة الجديدة الفرنسية ، وانتهاء بالحركات السينمائية العديدة التى ظهرت فى بلاد الكتلة الاشتراكية مثل يوجوسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا.

أما وقد خلا الجو اليوم لهوليوود ،فى ظل أزمة صناعة وفن السينما فى معظم بلاد العالم (وهى الأزمة التى لا تعكس نهاية للتاريخ كما قد يتصور البعض، لكنها انعطافة للتاريخ تحمل فى طياتها بذور التطور فى المستقبل)فقد تصورت هوليوود أنها أصبحت تملك فرض معاييرها وحدها فى الإبداع السينمائى ، الذى كاد أن يقتصر على مجال تقنيات الكومبيوتر والمؤثرات الخاصة حتى أن معظم الأفلام الأمريكية قد تحولت إلى ما يشبه لعبة«الأتارى» المبهرة ، دون أن يعنى ذلك إبداعا فنياً حقيقياً.

على الجانب الآخر ، فإن السينما الأمريكية قد لا تخلو اليوم- على مستوى الشكل أو المضمون-من إنجازات فنية متناثرة لا يمكن انكارها، لكن عليك أن تتأمل أيضا مصائر هذه الانجازات التى لا ترحب بها المؤسسة الهوليودية لأنها تمثل بالنسبة لها تمرداً على سياساتها ، فإن فيلما مستقلا تم صنعه بأقل التكاليف مثل«**الفصل المعلق**» (أتيحت له فرصة العرض فى مهرجان القاهرة الأخير) ، قام بكتابته وتمثيله وإخراجه الفنان السينمائى **بيلى بوب ثورنتون** ، قد تم تجاهله، من السينما الأمريكية نفسها لأنه لا يحتوى على عناصر «الفرجة» كما تتصورها هوليوود ، فى دراسته العميقة لعالم المرضى النفسيين الذين صنعتهم ثقافة العنف والفردية الأمريكية.

كما أن فيلماً ضخماً مثل«**محامى الشيطان**» يلقى نفس المصير ، على الرغم من الاجماع النقدى على تميزه الفنى واعتباره واحداً من أفلام العام الماضى، لأنه يشير إلى أن الطموح ومعايير النجاح كما تفرضهما الثقافة الأمريكية قد أصبحا أقرب إلى بيع المرء روحه للشيطان . (للأسف فإن الاحتمال الأغلب هو أن يتم منع عرض الفيلم فى مصر لأسباب رقابية ذات ظلال دينية، أو أنه سيتعرض فى أفضل الأحوال لحذف لقطات وجمل حوارية منه).

وأخيرا ، هل يمكنك أن تجد مثالا أكثر وضوحا على تحيز السياسة التى تحكم صناعة السينما الأمريكية ،من نموذج ستيفن سبيلبيرج فى فيلمه الأخير« أميستاد »؟ لقد ظل**سبيلبيرج** هو فتى هوليوود المدلل منذ أن صنع أفلاماً هروبية عن« **الفك المفترس**» و« **إى . تى**» و«**حديقة الديناصورات**» ،حتى أعتلى القمة فى فيلمه الصهيونى «**قائمة شندلر**» ، لكنه اليوم لا يلقى إلا الإهمال والازدراء، لأنه صنع فيلمه الأخير «**أميستاد**» عن سفينة أمريكية أخذت العبيد من سواحل إفريقيا ، وحين يتمرد الأرقاء على العبودية تواجههم العدالة الأمريكية العرجاء بقمعها الوحشى ، التى لا تمنح فيها الحرية إلا للرجل الأبيض!

من السفينة الأمريكية إلى وصيفتها الفرنسية!

لا تريد السينما الأمريكية إذن الحرية إلا لنفسها ،من خلال مؤسساتها التقليدية الرأسمالية التى لا تعنى كثيرا بالابداع الفنى أو دور فن السينما كرسالة لها دورها الايجابى فى تنوير وتثوير الجماهير . على العكس تماما، فإن تلك المؤسسة التقليدية ترسخ فى الأغلب الأعم لسينما هروبية، قد تعكس جانبا يسيراً من الواقع- ومن ذلك تستمد فى خبث ودهاء بعض قدراتها على جعل المتفرج يصدق ما تحكيه له من حواديت **-لكنها تمضى بهذا الواقع إلى عوالم مصطنعة زائفة.**

هوليوود.. تجسيد للنظام العالمى الجديد فى السينما

ولن تجد دليلا مجسدا على ذلك أكثر من فيلم «**تايتانك**» الذى يختار نمط أفلام الكوارث، وهو نمط ينمو ويزدهر فى تلك الفترات التى يشعر فيها المجتمع الأمريكى بحالة من التوتر الغامض تجاه مستقبل مجهول ، لذلك فإن نجاح فيلم مثل «تايتانك» لدى الجمهور الأمريكى يشير إلى أن فى أعماق الوجدان الجمعى عندهم شكاً عميقا من أسطورة «النظام العالمى الجديد» واحساسا جارفا بوجود خطر جاثم يحدق بعالمهم، ولكن الخطر كل الخطر يكمن فى أن نمط أفلام الكوارث لا يضع يده على أى خطر حقيقى ، بل يثير حالة من الخوف من حظر التجول ، لا يفرق بين كبير أو صغير ،غنى أو فقير ، ويوحى بأن مواجهة هذا الحظر تتطلب أن ينسى الجميع مشكلاتهم الحقيقية ، لأن الديمقراطية المتاحة فى مثل هذا المجتمع ليست هى ديمقراطية اختيار شكل الحياة ومنهجها ، لكنها فقط ديمقراطية البقاء ،على قيد الحياة.

ومن نمط أفلام الكوارث قدم جيمس كاميرون «توليفة» لن تجد فيها ابداعا فنيا حقيقيا ، وإنما تعتمد على الافراط فى النزعة المغرقة فى العاطفية ،وهى عاطفية مجانية تبدو كأنها ضربات فرشاة تم توزيعها كيفما اتفق ، على شخصيات نمطية مسطحة لن تعرف أبدا دوافعها أو مبرراتها لما تفعل،المهم هو أن تدور الحدوتة حول شاب أمريكى متصعلك(**ليوناردو ديكابريو**) يركب بالصدفة السفينة البريطانية «**تايتانك**» ، ليقع فى هوى فتاة انجليزية ارستقراطية (**كيت ونسليت**) أخنى عليها الدهر فاضطرت للارتباط بشاب ثرى متعجرف (**بيلى زين**) ،وهكذا تمضى قصة الحب التقليدية -التى لابد أنك قد شاهدتها مرارا فى أفلام مصرية متواضعة- فى تلاعب ساذج على الفوارق الطبقية بين الفقر والثراء ، دون أن يقترب الفيلم لحظة واحدة على المستوى الإنسانى من هؤلاء الفقراء وإنما تعامل معهم على أنهم كتلة صماء لا تثير تعاطفك أو فهمك لقضيتهم. ولو للحظة واحدة.

فكأن الفيلم يقول لك أن مثل هذا التفاوت الطبقى لا يتطلب أبدا أى نوع من التمرد أو الثورة ، فالكارثة أولى بالمواجهة من أى تغيير حقيقى للمجتمع، وكل ما يتطلبه الأمر هو بعض الشفقة من الأغنياء على الفقراء ،فى عالم لا يستطيع ولا يفكر فى الاستغناء عن هذا التفاوت الطبقى،ناهيك



عن أن الفيلم يوجه نقده- إن كان يحتوى على وجهة نظر نقدية بالمعنى الحقيقى للكلمة- للمجتمع البريطانى، بينما يقدم أمريكا- العالم الجديد-على أنه الجنة الموعودة ، والشخصية «الديمقراطية» الوحيدة فى الفيلم هى البطل الأمريكى الصعلوك!.

كل ما يبقى من الفيلم هو المزيد من المؤثرات البصرية والسمعية المبهرة ، التى قد تخطف أحاسيس المتفرج بوهجها لكنها لا تعمق أبدا وعيه بالمأساة أو تزيده دخولا إلى أعماق الشخصيات،**بل إن هذا الاستطراد فى الابهار جاء على حساب البناء الدرامى الذى حفل بأخطاء لا يرتكبها طالب مبتدئ فى أى معهد سينمائى**!فاذا كان الفيلم يختار أسلوب الفلاش باك ليحكى قصة السفينة الغارقة ، فإن الجدة العجوز التى تحكيها لنا(من المفترض أنها الفتاة نفسها بعد أن تقدم بها العمر) تستطرد إلى روايات لم تشهدها ولم تكن طرفا فيها (**فكيف لها أن تعرفها وترويها لنا؟**) مثل مشاهد مؤامرات خطيبها المتكررة على حبيبها ، أو مشاهد الحبيب الصعلوك قبل أن يعرفها وهو يتسكع فى الحانات مقامرا سكيرا ، يعيش الحياة البوهيمية الفقيرة كما تتجلى لها فيما بعد على أنها الحياة المثالية السعيدة.(إنه الفرق بين ضمير المتكلم وضمير الغائب فى القص الروائى).

يقول **كاميرون** عن نفسه- بعد حصوله على إحدى عشرة جائزة أوسكار - **أنه «ملك العالم»** ، ويقول عنه بعض نقادنا إنه«**فنان السينما ومؤلفها**» ، ولا ندرى من أين جاءت هذه الصفة أو تلك، والتاريخ الفنى لكاميرون ينحصر فى أفلام الرعب والعنف الرديئة مثل سلسلة «السمك المتوحش» و«المدمر» ،كما أن كل أحلامه وأفلامه القادمة تدور حول انجازه لفيلم «المدمر- الجزء الثالث» و«أكاذيب حقيقية -الجزء الثانى»، وهو ما يعنى **أن كاميرون لم يكن ليستحق -فى سياق أكثر خصبا وإبداعا -إلا أن يظل «مخرجا للوحدة الثانية»، وهو التعبير الذى يطلقونه على الفنى المسئول عن تنفيذ مشاهد المعارك أو الأحداث الخطرة، فكاميرون قد يكون فنيا حرفيا جيدا ، لكنه ليس أبدا فنانا أصيلاً**.

لذلك يجب أن نسأل أنفسنا إذا ما كان ما نراه فى«**تايتانك**» هو الفن السينمائى الذى يستحق منا الاشادة، ليصبح النموذج للأجيال القادمة من سينمائيينا ؟ وهل ينبغى علينا أن نستسلم لصناعة السينما الأمريكية ونفرد لها قاعات العرض حتى لو أدى ذلك إلى تدمير السينما المصرية؟.

وقد يثير فيلم« **تايتانك** » فى النهاية مقارنة مهمة مع فيلم فرنسى باسم « **وصيفة السفينة تيتانك** »(تم عرضه فى مهرجان القاهرة الأخيرة ، لكنه للأسف لن يجد فرصة للعرض التجارى) ، والذى أخرجه المخرج الأسبانى الأصل **بيجاس لونا** ، فأنت هنا أمام حالة من الابداع الحقيقى، فحادثة السفينة«**تايتانك**» ليست مجرد ذريعة لصنع فيلم من أفلام الكوارث ،كما أن الفيلم لن يعرض لك السفينة الضخمة إلا فى مشهد عابر ،**وإذا كان هناك من غرقى بالملايين- وليس بالمئات -فإنهم ليسوا هؤلاء الذين ركبوا على متن السفينة، وإنما هم العمال الفقراء الذين يكتفون بالفرجة عليها فتدب فى قلوبهم الحسرة، ويعودون إلى واقعهم القاسى فلا يجدون إلا الخيال عزاء لنفوسهم المنكسرة**.

فالسفينة إذن ليست إلا الشرارة التى تندلع منها دراما الفيلم، الذى يبدأ بواحد من عمال المناجم الفرنسيين، يفوز فى سباق محموم وسط أحجار المناجم ومستنقعاتها برحلة لمشاهدة السفينة، وهى تبدأ رحلتها من الميناء البريطانى، وهناك يقابل فتاة يعرف منها أنها تعمل وصيفة تنظيف غرف السفينة(سوف نعرف فيما بعد أنها كانت مجرد فتاة ليل مخادعة)، ليعود إلى فرنسا مرة أخرى يجتر ذكرياته الشحيحة عنها ، وسط الواقع البائس لعمله اليومى، ليضع الحكايات الخيالية عن علاقته بها ، فتعجب تلك الحكايات رفاق عمله البائسين، ويتسلون بها فى أمسياتهم ،مما يجعل البطل- على طريقة شهرزاد فى ألف ليلة وليلة- ينسج لهم فى كل ليلة حكاية خيالية جديدة، حتى أن رجل مسرح متجولاً يعرض عليه أن يقدم تلك الحكاية على المسارح الشعبية التى يرتادها الفقراء، الذين يحرمهم الواقع القاسى من فرصة الشعور الحقيقى بتلك العواطف المشبوبة.

إن كنت تبحث فى الفيلم الفرنسى«وصيفة السفينة تيتانك» عن الرومانسية التى يحدثونك عنها فى الفيلم الأمريكى، فهى ليست العاطفية الزائفة التى تهرب بها من واقعك، لكنها الرومانسية التى تذكرك على الدوام بقسوة وخشونة الحياة اليومية للعمال الفقراء، يقدمها لك الفيلم فى نعومة تليق بالابداع الفنى الحقيقى الذى لا يلجأ لابهار مجانى لتقنيات الكومبيوتر، وإنما بالتلاعب الرقيق على التناقض بين بؤس الواقع وسحر الخيال، بين الحقيقية والوهم، وبين الحياة والسينما. وأرجو ألا تصدق بعد ذلك أبدا ما تقوله السينما الأمريكية عن نفسها ، وعن أسطورة جوائز الأوسكار التى تمنح فى الأغلب للأفلام التجارية التى تريد هوليوود أن تروج لها ، ولتسأل نفسك عن السبب وراء عدم منح الجائزة- طوال تاريخ طويل-لأفلام أو فنانين هم الأجدر بها.

وربما يبهرك فيلم« **تايتانك**» بمؤثراته السمعية والبصرية المفرطة فى تعقيدها ، أو بميلودراميته المفرطة فى سذاجتها ، لكن هذا أو ذاك وحده لا يعنى إلا أنك أمام عمل لا يرقى إلى مستوى الابداع الفنى الأصيل ، يفتقر إلى رهافة المعالجة وعمق الفكر، **فكل ما فى الأمر هو أن هوليوود أنتجت بضاعة رائجة ، وختمتها بعلامة الجودة الخاصة بها التى تسميها الأوسكار ، لتحصد من ورائها أضعاف ما أنفقت**،ولتجعلنا ننسى ما هو الفن الحقيقى، الذى لا يحتاج إلى مائتى مليون من الدولارات ، وثلاث ساعات من العرض، وإنما يحتاج إلى الصدق الفنى والانسانى ، لا يملكه صاحب « **أكاذيب حقيقية**» ، الذى سوف يستمر فى صنع أكاذيبه عنا أو عن غيرنا ، لأن هوليوود أصبحت تجسد فى السينما ما يسمى« **النظام العالمى الجديد**» ، ولكنها ليست أبدا نهاية التاريخ!.

فن تشكيلي

مبادرة "الأوبنتو" باستوكهولم وطموح كوم غراب في مصر

أنا ناقدة من العالم الثالث ، أتمتع بفورة النشاط ولدى من السذاجة مايجعلنى أحلم بأننا نستطيع تغيير اتجاه تاريخ الفن ، من خلال تقديم منتج مغاير ، ونص مختلف .. عام ٢٠٠٠ .."

حلمت بذلك وأنا فى الطائرة فى طريقى إلى **مؤتمر استوكهولم** الذى شرفت فيه بدعوى من مجلس إدارة **حركة الأوبنتو"** لتنمية ودعم التعاون الثقافى الأفريقى داخل وخارج دول أفريقيا .. ، هذه الدعوة فى سياق المؤتمر الدولى العام لليونسكو لتنمية ودعم التعاون الثقافى بين دول العالم عام ٢٠٠٠ ، وقد تم اختيار مدينة استوكهولم باعتبارها العاصمة الثقافية لأوربا عام ١٩٩٨ ..

ورغم أن الحلم وردي ، إلا أن شاشة داكنة طفت على السطح وارته خلف مجموعة من الأسئلة تلاحقت كالكابوس فأدارت رأسى وأنا أعيدقراءتها.

* إلى أى مدى من الجدية تسعى دول العالم الأول ، إلى إتاحة الفرصة العادية أمام التعددية الثقافية ..؟

* إلى أى مدى من العالمية وصل الوضع الفنى العالمى الجديد؟

* ماذا يعنون عندما يتحدثون عن التعددية الثقافية ..؟

* ماهى الأسباب الحقيقية لتوسيع نطاق الحدود الحالية للساحة الفنية..؟

* ماهى الخطوات التى أدت إلى النظام العالمى الجديد والعالمية الجديدة ..؟

* مامدى مسئولية النصوص ومن كتبوها عن التغيرات فى الفنون خلال العقد الماضى..؟

* هل سيتعادل الأمر حقيقة أن أكون ناقداً أو فناناً ولد فى مصر أو فى شيكاغو أو ميلانو أو جوهانسبرج.

* ماهى بالتحديد أزمة الغرب..؟

* وقبل أن نفكر فى أزمة الغرب .. ماهى بالتحديد أزمتنا فى مصر أو أفريقيا .. أو أى دولة من دول العالم الثالث..؟

هذه الأسئلة الكثيرة ، لاأجزم بأننى أملك الاجابة عليها دفعة واحدة .. وخاصة أن بعض تلك الأسئلة هو فى مجال التشكك والاستنكار وبعضها حقيقة فى مجال الاستفسار:

*** لماذا نتشكك فى نوايا القرية العالمية..؟**

لدينا الإعتقاد أن **الفن مازال شوفونيا (يتأثر بالنعرة القومية)** وحماية مكان تسويقه .. ومايؤكد هذا الاعتقاد ماجاء فى كلمة القوميسير الأمريكى **آلان سولومون لبينالى فينيسيا** عام ٦٤ حين تحدث عن فوز الفنان الأمريكى **روبرت روشنبرج** بالجائزة الأولى . باعتبار ذلك إعترافاً بهيمنة الفن الأمريكى .

وفى عام ١٩٧٠ كتب الناقد الأمريكى **بيترسيلز** مقالاً بعنوان (**انتصار الفن الأمريكى)** أوضح فيه انتقال مركز الفن لأمريكا بظهور التعبيرية التجريدية .. وفى عام ١٩٨٣ ، رد المؤرخ والناقد الفرنسى **سيرد جيلبو** على **بيتر سيلز** بكتاب تحت عنوان

" كيف سرقت نيويورك فكرة الفن الحديث": وقد جاء فيه:

" ولاشك أن نيويورك هى المكان الذى تصدر فيه القرارات المصيرية بالنسبة لعالم الفن . ولكنها أفسحت المجال للفنانين الأجانب بدرجة أكبر مما أتاحته باريس لهم عندما كانت مركزاً رئيسياً للفن . والواقع أن السنوات القليلة الماضية فقط هى التى شهدت إهتماماً حقيقياً بالفن القادم من الخارج وحتى هذا التطور يعود فى بعض من أسبابه إلى عدم قابلية الفن المفاهيمى للتسويق . **وإذا لم يكن الفنان الآن ألمانياً أو إيطالياً فان فرصته فى جذب الانتباه والاهتمام من جانب المؤسسة الفنية تكون محدودة** . إن التربع داخل " **مابعد الطليعة"** هو مشارطه مقصورة على الفنانين الذين يعيشون فى الغرب.

*** حادثة متحف سان فرانسيسكو للفن الحديث**

فى عام ١٩٨٤ أعد متحف **سان فرانسيسكو** للفن الحديث معرضاً تحت عنوان: **"الفن الألمانى والإيطالى والفرنسى الأمريكى الجديد "**. فى هذا المعرض حاول فنانون من تركيا واليابان التفاوض مع قوميسير المعرض للعرض ، ولكنهم قوبلوا بالرفض ، واقترح القوميسير ، أنه يمكن لهؤلاء الفنانين أن يشاركوا مع آخرين من فنانى الشرق الأدنى فى معرض يقام فى مكان آخر - ليس متحفاً بالطبع - فى نفس الوقت إن رغبوا .. وقد اضطر الفنانون إلى كتابة وتوزيع منشور أثناء افتتاح المعرض جاء فيه.

" .. هل يقوم عالم الفن الغربى والأمريكى مرة أخرى ببناء تاريخ الفن الحديث باعتباره تاريخ الفنانين الغربيين والأمريكان وحدهم..؟"

* ١٩٩٧ معرض **الدكومنتا بمدينة كاسل** بألمانيا لم يمثل فيه من قارة أفريقيا أو من العالم الثالث إلا عمل ردئ (فيديو) لفنان نيجيرى وضع فى ممر القاعة..

لكل تلك الأسباب ، تتلاحق الأسئلة السابقة ، فتبدو مبادرة القرية العالمية ، والكونية ، والقبول بالتعددية الثقافية أمراً مشكوكاً فيه ، وصورته قائمة إلا أن مبادرة " الأوبنتو" الأفريقية ، جعلت الأمل يراودنى مرة أخرى ، ولكن دون سذاجة هل حقيقة نستطيع تغيير اتجاه تاريخ الفن؟ وهل نستطيع تحريك المركز إلى أفريقيا..؟

ماذا تعنى كلمة "الأوبنتو"..؟

كلمة أوبنتو" تعنى **الإنسانية"** وهى من ثقافة جنوب أفريقيا . وتعنى أيضاً.. **أنا**

فاطمة اسماعيل



الفنان مع أهل حى كوم غراب (عدسة وسام مهنا)

موجود من أجل وجودك . و" الأوبنتو" هى مبادرة إفريقية تهدف إلى ابتكار إستراتيجية ثقافية تضم الثقافات الأفريقية فى جميع أنحاء العالم .. وهى **طرح لصيغة بديلة لما يطلق عليه نظام العولمة "Globalization"** للتغلب على فكرة **الهيمنة المستبطنة لهذا النظام الذى يعتبر كل مالايخص تعاوناً مع الغرب يحدد فى نطاق المحلية ، ويرهن إعتباره ك" عولمة" عند نقطة التقائه مع الغرب ..!!** يعنى هذا أن هناك مركزاً للعولمة -! وهو ضد المقولة نفسها .. يقتضى ذلك بالضرورة محاولات جادة لطرح بدائل تحبط طموحات " العولمة" المشكوك فى مصداقيتها ..

لذلك كان هناك احتياج حقيقى لمبادرة " **الأوبنتو**" لتحقيق تفاعل حقيقى على المستوى الثقافى والابداعى بين الدول الأفريقية والمؤسسات والأفراد فى أنحاء العالم، يسعى هذا التفاعل لخلق اشكال جديده للتعددية الثقافية ، من شأنه تحريك مركز العولمة إلى دول الهامش.

ويشير مفهوم الأوبنتو إلى فهم التنوع والإنخراط وإذابة الخلافات من أجل تحقيق تنمية ثقافية لها خصوصية.

***أهداف "الأوبنتو"**

تهدف مبادرة الأوبنتو كما جاء فى منيفستو " **أوبنتو ٢٠٠٠**" إلى

*** تأكيد وإثراء الشخصيات الثقافية للشعوب الأفريقية فى القارة وخارجها.**

*** دعم نشر وتبادل الثقافات داخل أفريقيا ومع الأفارقة الذين يعيشون خارجها " Diaspora"**

*** تطوير سياسات مستديمة واستثمار تنمية الصناعات الثقافية.**

*** الدفاع عن سياسات واستثمارات سليمة للتعبيرات الفنية الثقافية ، والفنية الأفريقية فى التجربة الأفريقية.**

***تنمية أسواق لمجالات الابداع الأفريقية داخل أفريقيا وخارجها.**

*** خلق مركز جديد يجمع كافة الشعوب من جميع الثقافات للمشاركة فى الخبرة الأفريقية.**

وقد نوقشت مبادرة"**الأوبنتو**" أول مرة خلال المشاورات الإفريقية حول **تنمية الفنون والثقافات الإفريقية** فى جوهانسبرج بجنوب أفريقيا من ٥ إلى ٧ أغسطس ١٩٩٦ ، وقد نظمت مؤسسة روكفلر هذا النشاط بالتعاون مع اليونسكو ومنظمة الوحدة الأفريقية، ومؤسسة فورد ووكالة السويد للتنمية والتعاون ومجموعة الجنوب الأفريقى للتنمية ، وكان الهدف من هذه المشاورات هو تقييم السياسات والممارسات الحالية من أجل تنمية البرامج الثقافية فى أفريقيا وخارجها.

وقد حضر هذا اللقاء ٥٥ شخصية من صناع السياسات والمسئولين الثقافيين والفنانين ومسئولى التجارة والباحثين ومحترفى الفن والإعلام من أفريقيا ومن خارجها ، وقد حضر من مصر المخرج المسرحى الفنان **حسن الجريتلى** . الذى شارك أيضاً فى مؤتمر استوكهولم ٣/٢٩ إلى ٩٨/٤/٢ بالسويد.

ماهى طموحات" مبادرة الأوبنتو" ؟

إن التحدى الحقيقى الذى وضعته مبادرة " **الأوبنتو**" فى **استقلالية القرار**، فلأول مرة يكون لنا حق القرار .. نقترح مشروعنا الثقافى مستقلاً عما يقترحه لنا الغرب وأمريكا ، فقد اقترحنا مسبقاً المشروع الثقافى العربى ، إلا أنه لم يصمد كثيراً ، واقترحت لنا أوربا " الشرق أوسطية" وأيضاً أثبتت سوء نواياها ، **والآن وفى ظل العولمة كان علينا أن نبحث عن تواجد حقيقى وخاص** يطمح فى إتاحة فرصة لإبتكارات معاصرة فى لغة الفن وعلاقاته ، تخرج عن سياق تاريخ الفن الغربى ، وتصل زمننا بنسبنا السابق.

ماهى أشكال الإبداع التى تقترحها مبادرة"الأوبنتو"..؟

وحتى لاتتحول مبادرة " **الأوبنتو**" إلى طموح بالنوايا الحسنة . كان لابد من الحوار حول أشكال الاختلاف فى المنتج الثقافى والابداعى الذى يعبر عن خصوصية هذه القارة .. وبذلك تحبط محاولات الغرب المستمرة فى تأخير التجربة الإفريقية وحصرها على" زمنها الغابر" والإصرار على تقديمها فى صوره" الغريبة"Exotic. أما الفكرة الطموحة التى تعلنها المبادرة فهى فى حد ذاتها "**الاختلاف**" .. إذ أنها تكتشف " الإنسانية " الثقافية بالتوحد فى الآخر وهى هنا تتعارض مع كل ماطرحه النظام الغربى الذى قام على فلسفة " **أنا والآخر " أما الأوبنتو فهى " أنا فى الآخر " ، وجودى لايتحقق إلا من خلالك**. وبذلك تتحول الثقافة والابداع إلى الحياة اليومية ، فهو الممارسة اللحظية فى الواقع

كوم غراب " التجربة المصرية وورشة عمل فى " الأوبنتو" :

جاءت مشاركتى فى هذا المؤتمر بعرض تجربة " **كوم غراب**" وهى لمجموعة من الفنانين والنقاد ، تؤمن بمبادئ مبادرة **الأوبنتو** قبل أن تتعرف عليها .. وإنما تلاقت

معها فى الإحتياج فجاءت تجريباً عملياً للجهد النظرى الذى أعلنته " **الأوينتو** " تؤمن تلك المجموعة بأن هناك محاولة ممكنة لم نستنفذها بعد ، وهى محاولة للدخول للناس فى حياتهم والاشتباك معهم ، بهدف إيجاد شكل جديد للعلاقة بين الخبرات الفنية المفردة والواقع الحياتى والمادى . العلامات والمكان .. من خلال العمل فى حى عشوائى بمصر القديمة .. وهذا نص المشاركة.

قوة الهامش فى كوم غراب:

حين نتحدث عن الهامش تصيبنا الحيرة أى هامش نقصد.. ؟ ومن هم الهامشيون.. ؟

هل الهامشيون هم هؤلاء المثقفون فى مجتمع غلب عليه التسليع.. ؟

هل الهامشيون هم أهالى الأحياء العشوائية .. ؟

هل الهامشيون هم مبدعو ومثقفو دول العالم الثالث.. ؟

هل الهامشيون هم الـ Diaspora فى أنحاء العالم .. ؟

هل الهامشيون هم اللاغربى .. ؟ اللأمريكى .. ؟

***

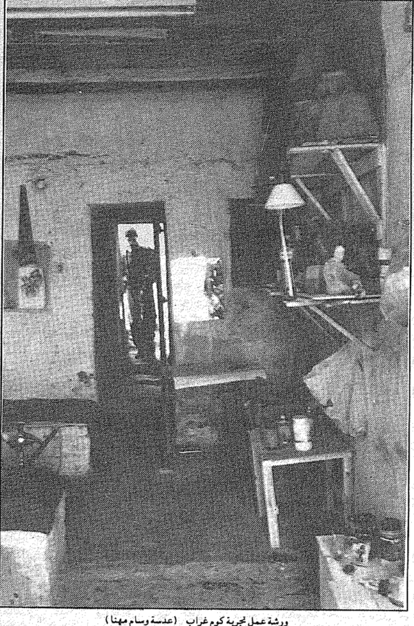
فى مواجهة الواقع الثقافى والفنى العالمى الجديد ، الذى لايزال فى دور الانتقال والتشكل هناك أكثر من موقف:

* **هناك أولاً موقف** قد حسم إنتهاء دور تاريخ الفن (تاريخ الفن الغربى) وإعتماده كذاكرة .. مشكوك فى أمر مصداقيتها.

ثانيا: مقولات مازالت قيد الحوار والتحرى فيما يخص موضوعيتها مثل **العولمة** أو **الكونية الحضارية** ، وإن كانت موجات التصدى لها وتوجس سوء النوايا ، قد أعلن من قبل دول العالم الثالث ودول الهامش الحضارى تبدى ذلك فى طرح رؤى حضارية مناقضة لهذه العولمة تدعو إلى التشدد فى" الهوية القومية"

ثالثا: هناك موقف آخر يدعو إلى وضع التنبؤات بما سيجلبه علينا القرن القادم ، مع الوضع فى الإعتبار مقتضيات وضرورات الحفاظ على" **الحق العام**" فى الحضارات ، واعتبار " الثقافات المتعددة" كمقترح حضارى هى وسيلة الحفاظ على هذا الحق .

وفى إطار الملل من التجريب ، وقناعات الأقواس ، وإرتباك المقولات ، والإحتماء بالجائز والممكن والمحتمل ، برزت فكرة متواضعة لمجموعة من الفنانين والنقاد بمصر ، تحتمى بهذا الجائز والممكن.. جاء ذلك فى تجربة فنية تنحى المكعب الأبيض جانباً ،



ورشة عمل تجربة كوم غراب (عدسة وسام مهنا)

وتدير أزمتها مع جوهر الواقع الاجتماعى فى حى عشوائى ، فى قلب مصر القديمة .حى يجسد شراسة الوجود الهامشى على الجدران والبنايات ، وفى طبائع سكانه وأهله.

لماذا التوجه إلى كوم غراب.. ؟

نعود بهذا السؤال إلى إدراكنا لقوة الهامش والإحتماء به ، قد يكون " **كوم غراب**" وهو إسم هذا الحى العشوائى ، مساحة ولحظة محددة ، يعينها الفنانون للانتباه.

لحظة يترك فيها الفنانون استديوهاتهم ، ولوحاتهم والنقاد نصوصهم وندواتهم ، يتخلون عن قناعاتهم المعرفية ، وخبراتهم السابقة ، ويأنسون لتفاعل بكر مع خبرات لواقع استثنائى جديد لم يكتشف بعد..

هل تقترح تجربة كوم غراب توجهاً فنياً بديلاً ؟

قد تبدو التجربة عند البعض توجساً لنسق متعال من التصورات الفنية والثقافية .. يصل عند البعض الآخر إلى تبسيط التجربة واعتبارها زكاة الفنانين عن تجاربهم الأصلية داخل الأستديو..

حقيقة الأمر أن طموح "التفاعل" الذى تسعى إليه تلك المجموعة من الفنانين والنقاد يتجاوز تلك التوجسات وأكثر منها ، إذ أنه بتواضع شديد يكشف عن لحظة بعينها يتحول فيها الإنسان العادى إلى فنان ، والفنان يصبح هذا الانسان العادى فى الحياة ،



مبنى حى كوم غراب (عدسة وسام مهنا)

ويتنازل فيها الناقد عن عرش التقييم وإصدار الأحكام ، وإطلاق المقولات الكبرى ، ويخضع لفهم الحدس الإنسانى البسيط .

لم تعد الفكرة الفنية فى مشروع **كوم غراب** مجرد فكر إبداعى فى المطلق وإنما تحولت إلى فعل تثقيفى نقدى ، وإجتماعى تغييرى ، وإذا كان كوم غراب كنص مقتطع من نسق لجوهر الواقع المصرى ، تم اختياره لتلك التجربة الفنية ، إلا أن الحاجة إلى التجربة تجاوز النص البسيط إلى ثقل النقد الشامل للواقع الانسانى فى تناقضاته الاجتماعية والتى جعلت من ساكنيه تجسيداً لظاهرة التشيؤ والإغتراب والتهميش ، إلحاح أدى بالضرورة لمحاولة تنمية البعد الموضوعى للانسان فى ذاته وفى وجوده من خلال فن" **تواصلى"**.

ونقصد به إدراك تلك الفاعلية فى تجاوزها مركزية التجربة الفنية كابداع مطلق نقى أو مستقل ، وتتداخل مع إحداثيات المجتمع الاجتماعية ، والسيكولوجية والسياسية والثقافية وكذلك الأخلاقية من خلال منهج علمى حدسى. وهذا مايجعل مشروع كوم غراب يتميز بطبيعة خاصة عن تلك المشاريع التى تتماشى معه شكلياً للوهلة الأولى ، فرؤيته النقدية المفتوحة على مختلف الأنشطة والاجتهادات والأوضاع الانسانية فى تفاعلها وفعاليتها مع المجتمع ، ترفض الأفكار التنبؤية أو النهائية المكتملة التى تصطبغ بها تلك المشاريع الأخرى.

ينطلق مشروع " كوم غراب" فى طبيعته الفنية التواصلية من أبعاد كثيرة :البعد الاجتماعى ، البعد الانسانى ، البعد النفسى ، البعد السياسى ، البعد الفنى ، كأساس للتفاعلات وتتشابك تلك المنطلقات فى أولوياتها.

وإذا كان مشروع كوم غراب كمشروع فنى يكتشف البدائل فقد جعل من إنجاز العمل أولوية الوجود على التنظير ووضع الأفكار أو الفلسفات حول التجربة **فحوائط كوم غراب هى الدلالة الإتصالية التى يقترحها الفن فى كوم غراب ،** وهى التى تجعل من هذا الفن تشابكاً ثقافياً فاعلاً مع الواقع الانسانى فى الحى فى مختلف تجلياته الفنية والثقافية والفكـرية والاجتمـاعيـة والسـياسـية والاقتصادية بل والتكنولوجية أيضاً.

تشير نتائج كوم غراب إلى أن هذا الفن " **الملتحم"** هو فن منحاز ، فهو غالباً التحام نقدى تغييرى ، رغم أن عملياته جميعها عمليات استفسارية وإختبارية إلا أنه فى" التحامه " هو أقرب إلى أن يكون إجابة عن سؤال موقع الفن الآن فى هذا المفترق الزمنى وفى مواجهة الخيارات العنصرية التى تطرح علينا بأثواب مختلفة ، قد يكون هو فى حد ذاته تجاوزاً لتلك الأزمة.

لايعنى هذا الفن الاتصالى أو الملتحم افتعال قطيعة مع المشاكل التقليدية المتخصصة فى الفن ، ولكن قد يكون هذا النوع من الفن إغناء لرؤية تاريخية ومنهجية متجددة كما لايغفل خصوصيات وخبرات التجارب السابقة عليه فى العالم العربى والأفريقى والأوروبى.

فكرة أخرى تبحثها تجربة **كوم غراب** عن **علاقة الفن بالوجود** من خلال الناقد والفنان الذى هو ذلك الكائن المتحد بين ذاتيته الوجودية وموضوعيته الانسانية والكونية ..

إذا كانت تجربة كوم غراب فى بحثها عن الإنسان ، بعلاقاته المتشابكة فى ذاتيته وخصوصيته وحياده ، فهى أحد أشكال التعبير التى تتبناها " الأوبنتو" كطموح ثقافى وإبداعى.





رفع الحصار عن النظام وليس عن الشعب

تثير الرسالة التى تنشرها اليسار فى هذا العدد [إقرا، ص ٨١] للأستاذ « عبد الرزاق الصافى » - عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى- تعليقا على مقالى « التعاطف الحقيقى مع شعب العراق » [مشاغبات / يناير ١٩٩٨] التأمل ، ضمن الاهتمام الضرورى والواجب بالمسالة العراقية ، التى ستظل فى تقديرى أعقد مسائل السياسة العربية ، حتى بداية القرن القادم..

ومن حق الأستاذ « عبد الرزاق » أن يصحح ماورد فى مقالى عن موقف الحزب الشيوعى العراقى من الحصار ومن التهديد الأمريكى بتوجيه ضربة عسكرية للعراق، وقد اسعدنى حقاً أن اعرف موقف الحزب ، الذى أتيح لليسار إعلانه ، فى عددى فبراير ومارس الماضيين ، من خلال مقابلتين مع اثنين من قادته ، وان كنت أتمنى لو أن الأستاذ « عبد الرزاق» قد أفضى قليلاً فى الحديث عمن سماهم « غالبية قوى المعارضة العراقية الحقيقية على أرض الوطن وفى الخارج ، التى تتخذ موقفا ضد الحصار»، فالتطورات التى لحقت بالمعارضة العراقية تنظيميا وسياسياً خلال السنوات السبع الماضية ، كانت كثيرة على نحو يصعب معه على المهتمين بالمسألة العراقية تتبع مواقفها ، والتمييز بينها ، خاصة وأن فصائلها جميعاً لا تتساوى فى اهتمام الاعلام العالمى بها، فضلاً عن أن عجزها عن بناء تحالفات قوية ، حول برنامج للبديل الديمقراطى ، دفع كثيرين من المحللين، إلى استبعادها كعامل مؤثر في الحالة العراقية الراهنه..

و«شعار رفع الحصار عن الشعب .. وليس عن النظام » الذى يرفعه الحزب الشيوعى العراقى، منذ انعقد مؤتمره السادس فى يوليو ١٩٩٧ ، ينطلق - كما اشار الاستاذ الصافى فى رده - من أن مطالبة النظام برفع الحصار تهدف إلى اطلاق يده فى التصرف بعائدات النفط لتعزيز مواقفه المتزعزلة ولبناء ترسانته العسكرية من جديد ، لاغراض عدوانية ضد الشعب وضد الجيران ، لذلك يطالب الحزب برفع الحصار عن الشعب وابقائه على النظام ، ويرى فى صغية « النفط مقابل الغذاء » مع تحفظات على اسلوب تنفيذها - نموذجا لتطبيق هذا الشعار.

ولا أظن ان المعادلة يمكن ان تستقيم بهذا الشكل ، فطالما أن النظام والشعب ، يعيشان على نفس الأرض ، فإن الحصار سوف يشمل الطرفين أردنا ذلك أم رفضناه، ثم أن فرض الحصار على النظام ، لابد وأن يستتبعه بالضرورة تدخل أمريكى مهما كان رهاننا على حجم الدور الشكلى الذى تقوم به الامم المتحدة ..

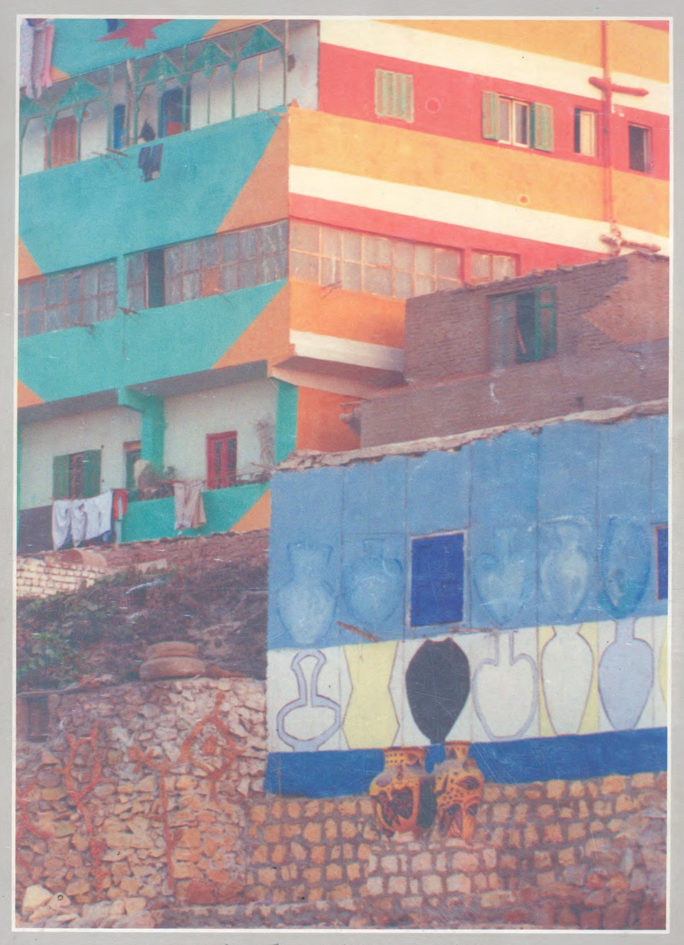
أما المهم ، فهو ان المزاج العربى العام ، رسميا وشعبيا ، حتى فى بعض دول الخليج ، قد أصبح يلح على المطالبة برفع الحصار عن العراق، من دون تمييز بين الشعب والنظام ، لأسباب بعضها انسانى يتعلق بأن معاناة الشعب العراقى قد اصبحت تفوق أى قدرة على الاحتمال ، وبعضها اقليمى يتعلق بأن انعاش العراق ، يمكن أن يوازن القوى فى الخيج التى تستشعر بعض اقطاره هواجس ايرانية ، وأن يوازن التسوية السلمية المختلة فى الشرق الأوسط..

وإذا كان ذلك كذلك ، فسوف تجد المعارضة العراقية صعوبة شديدة فى الحصول على مناصرين عرب لشعار رفع الحصار عن الشعب ، وليس عن النظام ، بما فى ذلك اليساريون العرب الذين أعلم أن كثيرين منهم لم يرتاحوا لما كتبته ، مع أننى لم اذهب إلى ما يذهب اليه الحزب الشيوعى، ولم اطالب ببقاء الحصار على النظام ، بل طالبت فقط ، بالضغط عليه، لكى يتغيير من الداخل ، ولكى يعلن برنامجاً سياسيا يلتزم فيه بالديمقراطية ، وحقوق الانسان والتعددية الحزبية ويفرج عن المعتقلين ، ويصدر عفواً عاما عن المسجونين والملاحقين ، ويتعهد باحترام سيادة وأراضى جيرانه ، بحيث تكون هذه المطالب شرطا لتأييده فى مطالبته برفع الحصار عنه!

وتلك مطالب اعتقد أنها واقعية وعملية ، وتراعى ظروف الجميع ، بما فى ذلك ظروف العراق نفسه ، الذى يصعب الاطمئنان إلى استقراره إذا ما انهار النظام من دون بديل ، وظروف المعارضة العراقية ، التى لا تنكر هى نفسها أنها باتت أضعف واعجز من أن تحسم الأمر بمفردها..

صلاح عيسى

حى كوم غراب



مقطع من منازل حى كوم غراب